
كتابي
١٠ قروش
حلمي مراد
"بيتي سوريل" بطلة قصة "آدم بيد"
كما تخيلها الرسام "چون كولير"



« المحبوبة » لوحة من روائع الفنان « دانتى جبرييل روزيتى » معروضة بمتحف « تيت » بلندن .. وقد استلهمها من قول سليمان الحكيم فى نشيد الانشاد « حبيبى لى وانا له » .



« تعليم كيوبيد » لوحة للفنان « كوريجيو » (١٤٩٤ ـ ١٥٣٤) تظهر الربة « فينوس » والاله « عطارد » يعلمان كيوبيد كيف يتهجى كلمة « الحب » !

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثانى والخمسون (السنة الخامسة) : يولية ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ــ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ــ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
رأيت وسمعت لك فى فرنسا : مشاهدات وتعليقات **للمحرر**	١١
حب فى الظلام : قصة بقلم الكاتب السعودى **حسن عبد الله القرشى**	٣٩
كاليجولا : قصة تمثيلية ساخرة للكاتب الفرنسى « **ألبير كامى** »	٥٧
كاترين الكبرى : امبراطورة روسيا الماجنة التى خلعت زوجها لتنفرد بالحكم	٨٥
آدم بيد (من روائع الادب الانجليزى) : للكاتبة الكبيرة « **جورج اليوت** »	١٠١
خفايا العلوم الفرعونية (الكتاب الذى يكشف أسرار بناء الاهرام) : للأب والعالم الأثرى والفلكى « **ت . مورو** »	١٢١
كتاب الشهر (**السلوك الجنسى**) : التقرير الذى هز الولايات المتحدة بما كشفه من أسرار الحياة الجنسية بين أهلها ، للباحث الامريكى الدكتور « **ألفريد كينزى** » **وآخرين**	١٣٧
حوادث سعيدة بالجملة (أى عندما يظهر الطفل !) : كوميديا تمثيلية للكاتب المسرحى « **بيير دوناى** »	١٦٣
مذكرات كازانوفا : الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة	١٧٧
أساطير القدماء	١٩٢
تاريخ العالم : للمؤرخ الفرنسى « **رينيه سيديللو** »	١٩٦

« كتابى » يتوسم هذه النتيجة !

عزيزى القارىء ..

• يسعد « كتابى » ان يوافى قراءه هـذا الشهر ، ومصر فى فرحة غامرة من أعيادها المتلاحقة : أعياد جلاء آخر فلول جيش الاستعمار .. والموافقة على دستور الشعب .. والانتخاب الاجماعى المنقطع النظير لقائد ثورتها البطل « جمال عبد الناصر » رئيسا لجمهوريتها الفتية ، الحرة ، المستقلة !

ولئن كان لمصر ان تعتز بهذه الاعياد الثلاثة ، وهذا الفوز المزدوج : لها ، ولبطلها الشجاع المثابر الذى « قفز » بها من حال الى حال .. فانه يحق لكتابى بدوره ان يعتز بهذه النتيجة الباهرة التى جاءت مصداقا لما توسمه فى الثورة وقائدها منذ اليوم الاول ، فلم يدع فرصة تمر أو محنة تعترض ركب الثورة خلال السنوات الاربع الماضيه ، الا وكان يسارع الى اعلان رأيه ، مشيدا بمبادىء الثورة وكفاءة قائدها وصحبه الابرار .. كى يضىء الطريق لقرائه – عشاق الثقافة والحق والخير – اذا ما اختلط عليهم الامر .. وحسبى ان أحيلك اليوم الى افتتاحية العدد ٣٢ الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، وقد قلت فيها – غداة توقيع اتفاقية الجلاء – بالحرف الواحد : « ان هذا الحاكم ، الذى استطاع بسياسته التى رسمها ان يحقق لمصر ما لم يحققه سواه فى مدى أكثر من سبعين عاما ، هو أولى بحكمها – لخيرها – من جميع من عرفت ومن لم تعرف ، لان بقاءه على رأس حكومتها يمنيها بتحقيق المزيد من أحلامها العريضة التى يعدها بها برنامجه المرسوم .. الخ »

واذا كان كتابى يتقدم اليوم بالتهنئة الخالصة لمصر ولرئيسها بهذا الفوز المجيد المتبادل ، والاعياد المثلثة .. فانه ينتهز هذه الفرصة فيخص الرئيس بتحية أخرى عاطرة ، يحيى بها فيه الرجل المثقف الذى لا يكف عن القراءة والاطلاع .

والذى يمد يده بالعون للحركة الثقافية فى كل مناسبة - وما العهد بتأليف المجلس الاعلى للآداب والفنون ببعيد !

القصة الخالدة : جين اير

عزيزى القارىء ..

• وفى الوقت الذى تطفر فيه مصر هذه الطفرات الاخيرة المباركة ، فى كفاحها السياسى .. يسعد « كتابى » ان يطفر هو الآخر فى كفاحه الادبى طفرة كبرى ، فيقدم لك فى عدد منتصف هذا الشهر من « مطبوعاته » ، التحفة الادبية الكلاسيكية الجبارة : « جين اير » ، التى تحتل فى الادب الانجليزى - بل وفى الادب العالمى عامة - مكانة لا تدانيها فيها سوى قصص قليلة معدودة .. والتى يعتبر تقديمها الى قراء العربية بنصها الكامل - لاول مرة - عملا أدبيا تفخر به « مطبوعات كتابى » ، شاكرة للظروف ان هيأت لها الاضطلاع به.

و « جين اير » من القصص النادرة - فى الادب العالمى - التى تسرد وقائعها على لسان بطلتها ذاتها ، فترويها هى جميعا ، بضمير المتكلم .. بحيث تحس وانت تقرأها كأنك تنصت الى صوت البطلة وهى تفضى لك - ولك شخصيا - بمكنون قلبها .. تحكى لك آمالها وأحلامها ، وتبكى آلامها وأشجانها !

والقصة من تأليف الروائية الانجليزية المشهورة «شارلوت برونتى » ، احدى الشقيقات الثلاث الموهوبات من أسرة « برونتى » ، اللواتى تركن تراثا من القصص الممتازة خلد ذكرهن الى الابد . ولعل أشهر تلك القصص - بعد جين اير - هى قصة « مرتفعات وذرنج » ، التى كتبتها الشقيقة الاخرى « اميلى برونتى » .. وأرجو أن أقدم لك فى مستهل قصة « جين اير» فصلا شائقا عن حياة مؤلفتها ، وعن أسرة برونتى بصفة عامة

فالى اللقاء على صفحات « جين اير » ، فى منتصف يوليو الحالى باذن الله

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الارض** » . والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » . والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون «**ترويض النمرة**» . والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون «**الجريمة والعقاب**» ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

◆ **وتطلب** من ادارة «**كتابى**» : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية او اذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات « كتابى »

صدر منها حتى الآن :

قصة مدينتين ـ ذات الثوب الابيض ـ الخالدون ـ الخاطئة ـ حياة امرأة (جزءان) ـ الخطيئة الاولى وفتاة من الاقاليم ـ أوديب ـ مدام بوفارى (جزءان) ـ عاشقات فى الخريف ـ قلوب ضالة ـ ديكاميرون (ألف ليلة وليلة الايطالية) ـ الظمأ للحب

وثمن كل من الاول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والتاسع والعاشر والحادى عشر والثالث عشر والرابع عشر ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الاولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعـــداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. **فقد رأت الادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائهـــا بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، عـــلى أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) . ١٢٠ قرشـــا وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية **Money Order** عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنســا وألمانيا وأستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف أجر البريد الجوى

المطبعة العالمية

١٦ ، ١٧ شـــارع ضريح سعد بالقاهرة

تليفون ٢٩٣١٧



نافذة «كتابي» تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

من مونت كارلو ٠٠ الى « كان » !

◆ فى الفصل السابق ختمنا جولتنا فى باريس بزيارة قصر (فونتنبلو) الذى شهد أمجاد نابليون ٠٠ ثم غادرنا العاصمة الفرنسية الى الجنوب، الى شاطىء الريفييرا أو « الكوت دازور » ٠٠ فزرنا مشتى (نيس) ذا الشهرة العالمية ، ثم انتقلنا الى امارة (موناكو) المستقلة المجاورة ، التى احتل اسمها الصفحات الاولى من صحف العالم منذ أسـابيع . لمناسبة زواج عاهلها الامير « رينييه » من نجمة السينما الامريكيـة « جريس كيلى »

واليوم نواصـل جولتنا فى (الريفييرا) ، بادئين بمدينة (مونت كارلو) ، وكازينو القمار العالمى الذى يحمل اسمها :

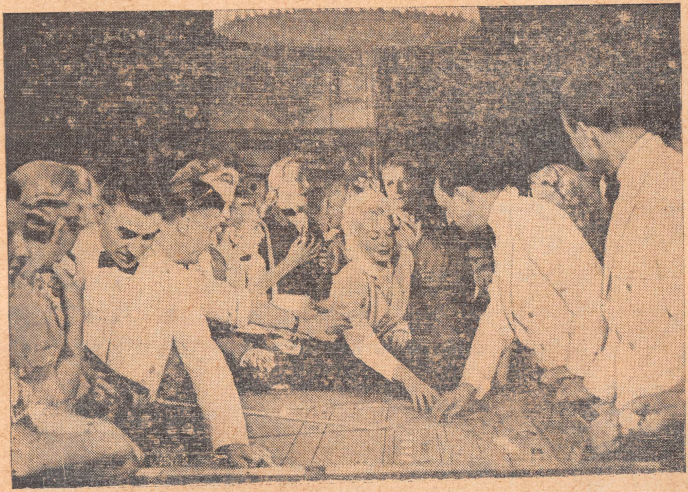
كازينو القمار الاشهر ٠٠ وقصته !

◆ **ومونت كارلو** هى أشهر مدن امارة موناكو الثـلاث ـ والثلاث فقط ! ـ واعجب معى لدولة هذا عدد مدنها جميعا !

أما المدينة الاولى ، والعاصمة ، فهى موناكو ذاتهـا ، التى سميت باسمها الامارة ٠ وهى مشيدة على قمة صخرة يمتـد أحد أطرافها مسافة ٨٠٠ متر فوق الماء ، فيؤلف شرفة هائلة، أقيم فيها قصر الامير ، وحـدائق البلدة ، والمتحف البحرى ، وادارات الحكومة

أما البلدة الثانية فى الامارة فلعلك لم تسمع باسمها قط ، فهى تدعى (لاكوندامين) ، وتقع بين موناكو ومونت كارلو ٠ وهى تؤلف الحى التجارى للامارة

أما المدينة الثالثة ـ أو بالاحـرى « الاولى » ، من حيث الشهرة ـ فهى مونت كارلو ، أشهر مراكز القمـار ٠٠ فى

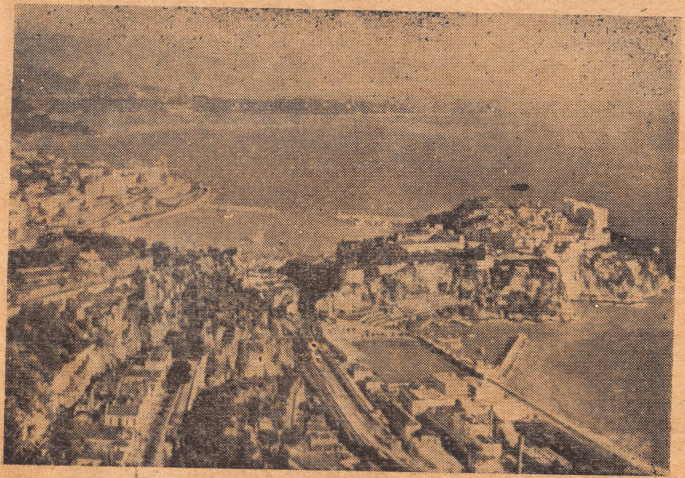


المقامرون فى كازينو مونت كارلو يلعبون لعبة جديدة مثيرة أطلق عليها اسم « كرابس »

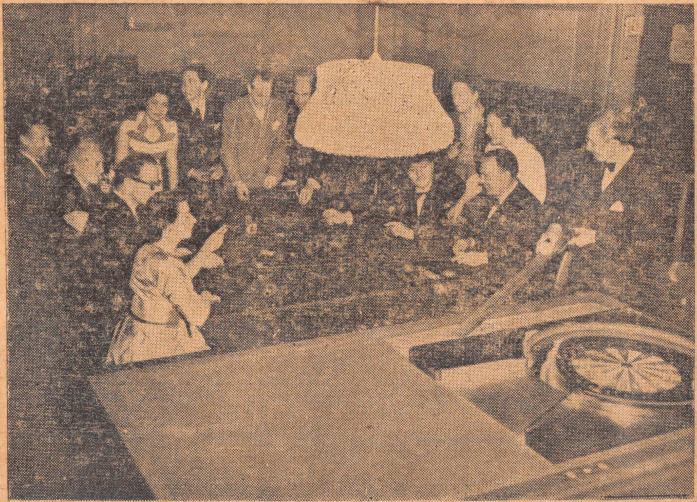
العالم !٠٠ وهى تحفة جميلة ، تتيه دلالا وزهوا ، سواء بالكازينو العالمى الفخم المعروف باسمها ، أو بقصورها الشامخة ، وفيللاتها الانيقة ، ومتاجرها الجميلة ، وحدائقها المنسقة ، وأشجارها النادرة المدللة ٠٠ الخ

وشهرة مونت كارلو بالقمار حديثة العهد نسبيا ، ترجع الى أقل من مائة سنة : ففى سنة ١٨٥٦ رخص أمير موناكو لاثنين من رجال الاعمال الفرنسيين بافتتاح كازينو للقمار فى بلدة موناكو ذاتها ، فوق قطعة أرض فضاء كانت مواجهة للميناء • وكان غرض الامير من الفكرة زيادة الدخل القومى لدولته ! لكن النتائج الاولى للمشروع لم تكن مشجعة ، فسرعان

ماباع الرجلان رخصة الكازينو الى شخص ثالث ، نقل الملهى الى مكان أنسب ، فى وسط البلدة ، وجعل الطابق الاسفل منه مطعما . لكن عدد المقامرين استمر قليلا ، لايفى بنفقات ادارة المشروع ، فبـــاع صاحب الملهى رخصته الى رابـع ، فخامس .. حتى استقرت الرخصة فى يد شركة مالية كبرى، أدركت ان قلة عدد رواد الكازينو ترجع الى صعوبة المواصلات بين (نيس) و (موناكو) ، فأقنعت السلطات بتسيير سفينة بحرية تنقل الركاب بين البلدين فى نحو ساعة . وصـــار اللعب يبدأ بعدالظهر ويستمر الى الساعة الحادية عشرةمساء ، كى يبلغ اللاعبون بيوتهم فى موعد مناسب



منظر عام لامارة (موناكو) ، وفى أقصى اليمين الصخرة الكبرى التى شيدت عليها مدينة موناكو



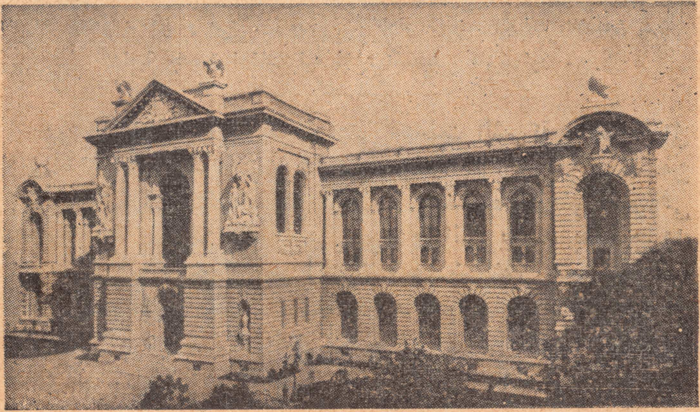
احدى موائد القمار فى كازينو مونت كارلو ، وقد انهمك اللاعبون فى لعبة جديدة أدخلت فيه أخيرا اسمها « ملتيكولور »

وراجت أحوال الكازينو ، حتى أحست الشركة بالحاجة الى انشاء كازينو أكبر وأكثر فخامة وتوفيرا للراحة ، فحصلت من الامير « شارل الثالث » على ترخيص ببنـــاء كازينو أكبر فى بقعة قريبة تقع بين الجبل والبحر ، وكانت يومئذ بقعة جرداء ليس بها غير بضع أشجار زيتون • وأذن الامير بتسمية البقعة الجديدة (مونت شارل) ـ أى « مرتفع شارل » ، نسبة الى اسمه ـ ثم حرف هذا الاسم بمضى الايام الى « مونت كارلو » !

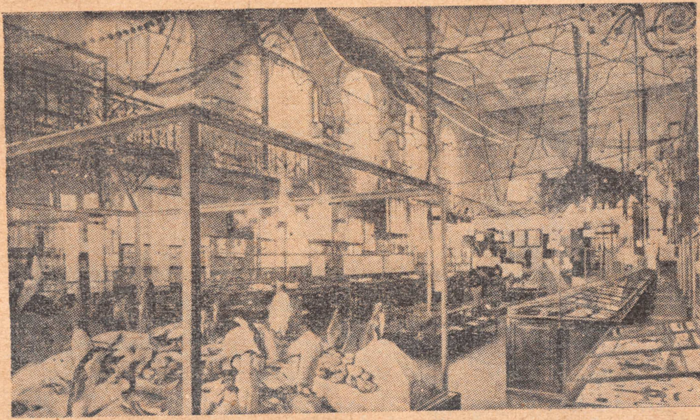
وبدأ العمل فى بناء الكازينو فى عام ١٨٦١ ، وانتهى بعد عامين • وفى هذه الاثناء أدركت الشركة ان أطماعها المتزايدة تتطلب زيادة رأس المال ، للتوسع فى المشروع ، فعرضت على

أحد كبار الماليين الاوربيين ان يساهم فيه ٠٠ لكن المفاوضات انتهت بشرائه حقوق المشروع بأكمله من أصحابه ٠٠ وبفضل حسن ادارة المالك الجديد للكازينو ، تضخمت ايراداته بصورة لم يسبق لها مثيل ، حتى صار الرجل — ويدعى « مسيو بلون» — يلقب بـ « ملك مونت كارلو » غير المتوج ! — وبفضل الكازينو انتعش الدخــل القومى لامارة موناكو ٠٠ وسرعان ما ازدحمت البلدة الجديدة بالفنادق الفخمــة والدور الانيقة والحدائق الغنــاء ، حتى صارت أجمــل مناطق الريفييرا السياحيه !٠٠ وفى عام ١٨٧٨ شيد بالكازينو جناح جديد يضم دارا للمسرح والاوبرا ، وضع تصميمها نفس المعمارى الذى صمم دار أوبرا باريس !

بقى ان تعرف ان وراء الكازينو شرفة فسيحة مدرجــة ، تعرف باسم « شرفة الانتحار » ، لانهــا تعين الخاسرين فى



واجهة المتحف العالمى للاحياء المائية بمدينة موناكو



احدى القاعات الفسيحة بمعهد موناكو للاحياء المائية ، وقد امتلأت فتريناتها الزجاجية بنماذج الاصداف والاحياء المائية الصغيرة ، كما بدت فى الركن الايسر بعض طيور البحر المحنطة

القمار ـ العاجزين عن دفع خسائرهم ـ على انهاء حياتهم بأيديهم ، للابقاء على الشىء الوحيد الباقى لهم ، وهو الشرف !

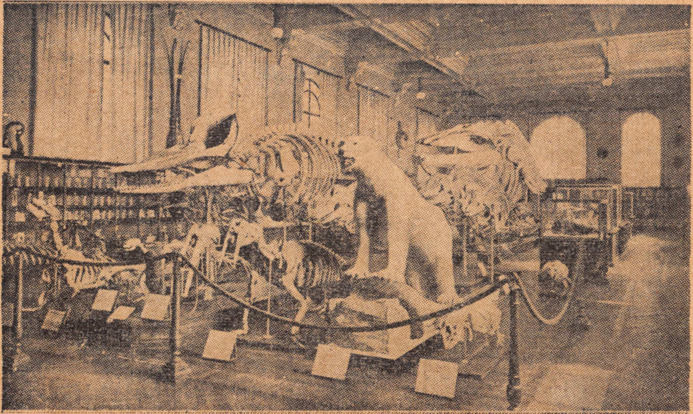
أسماك وحيوانات العالم .. فى متحف واحد !

◆ **ولكن** ، قبل ان نغادر الامارة السعيدة ، تعال نختم جولتنا فيها بزيارة متحف فريد فى نوعه ، ذى شهرة عالمية ، هو متحف موناكو للاحياء المائية . وهو مبنى فاخر شبيه بالقصر ، شيد على صخرة موناكو المطلة على البحر مباشرة . ويضم المتحف من بين المجموعات الثمينة التى يضمها مجموعة من الاحياء البحرية جلبها حاكم الامارة الامير « البرت الاول » من رحلاته العديدة ، ومنها ما اقتضى الحصول عليه الغوص

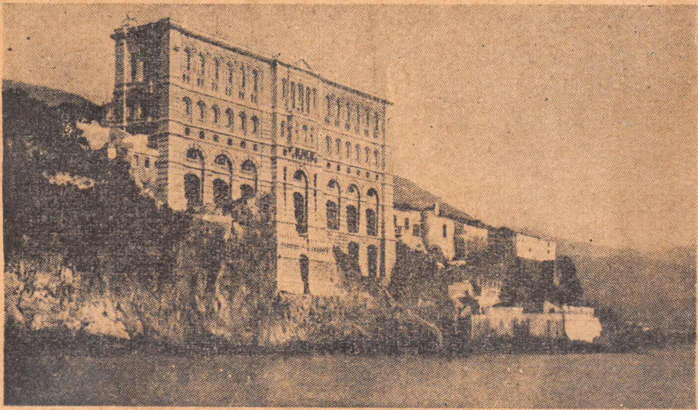
فى البحر الى أعماق سحيقة ·

وقد وضع حجر الاساس فى المتحف الذى نحن بصدده فى عام ١٨٩٩ ، وافتتح فى عام ١٩١٠ · وقد استنفد تشييده فى تلك البقعة الصخريه الوعرة جهودا هندسيه جبارة ،وشيد كله من الاحجار الصلبه التى تنتجها محاجر المناطق المجاورة ·

وقد خصص أحد طوابق المتحف للاسماك الحيـة المحفوظة وراء واجهات زجاجية مثبتة الى الحوائط · **وفى هـذا الطابق يذهل المرء اذ يشاهد « مئات » ـ ان لم تكن آلافا ـ من أغرب وأندر أنواع الاسماك والحشرات والثعابين المائية التى جلبت من جميع بحار العالم ، والتى لا تتاح للانسان فرصة لرؤيتها فى غير هذا المتحف ، الذى يعد أشهر متحف من نوعه فى العالم · وقد كان عدد الاحواض أو الواجهات الزجاجية التى**



هياكل محنطة لبعض الحيتان الضخمة والحيوانات الاخرى بمتحف موناكو للاحياء المائية



ظهر متحف الاحياء المائية المشيد فوق صخرة موناكو ، ويطل مباشرة على البحر

تحفظ بها الاسماك ، في أول عهده ، أربعة عشر .. فبلغ الآن خمسة وستين ، من بينها أحواض مزودة بالماء الدافيء على الدوام ، في درجة حرارة خاصة تلزم لحياة بعض الاسماك النادرة التي جلبت في عام ١٩٣١ من جزر جاوة والهند الصينية وزنجبار .. الخ

فاذا غادرنا الطابق الاسفل المخصص لهذه الاحياء المائية ، صعدنا الى طابقين آخرين شاسعى الاتساع ، بهما قاعات امتلأت بهياكل الحيتان الضخمة والحيوانات المختنفة المحنطة — التي نرى صورة لبعضها مع هذا الكلام — ويبلغ طول الحوت الواحد منها عشرات الامتار ، كما يبلغ ارتفاعه علوا شاهقا بالنسبة الى قامة الانسان !

والى جانب هذه الهياكل ، ازدحمت القاعات بمئات المناضد

المتراصة ، التى عرضت فيها ـ داخل صناديق زجاجية ـ ألوف النماذج الثمينة لاصداف البحر ، والمرجان ، وعشرات الانواع من الاحجار المختلفة التى تستخرج من صخور البحار . **وبالاختصار ، اذا أردت ان تتأمل كل عينة من معروضات المتحف ، وتقرأ الشرح المكتوب عنهـا ، لاحوجك الامر الى ان تقضى بين جدرانه عدة « أيام » !**

كورنيش « الريفييرا » !

• **فاذا** فرغنا من زيارة مونت كارلو وغادرنا امارة موناكو ، فتعال نزر معالم أخرى من شاطىء الريفييرا ، منها : مدينة (كان) ـ التى يعقد بها مؤتمر السينما الدولى كل عام ـ ثم شقيقتها الصغرى (أنتيب) ، وشبه جزيرة (كاب فيرا) ، وبعض البلدان الجبلية الخلابة التى تطل من عليائها على الشاطىء .. **ولعل أجمل مايمتاز به شاطىء الريفيرا على سواه من شواطىء البحر الابيض انه يجمع بين سحر البحر وسحر الجبل فى آن واحد ، فترى الجبل ـ المزدهر بالخضرة والازهار ـ يشرف على البحر مباشرة ، لا يفصله عنه سوى « الكورنيش » الثعبانى الطويل**

ولشاطىء الريفيرا ثلاثة « كرانيش » ، تمتد بمسافة ثلاثين ميلا ، بين (نيس) والحدود الايطالية : أولها يسمى « الكورنيش الاكبر » ، وهو أبعدها عن البحر وأكثرها ارتفاعا ـ اذ شق على ارتفاع ٤٥٠ مترا ، على سفح الجبل ـ وقد مهده وعبده نابليون بونابرت ، فى مكان الطريق القديم الذى أنشأه الامبراطور « أوريليان » الرومانى

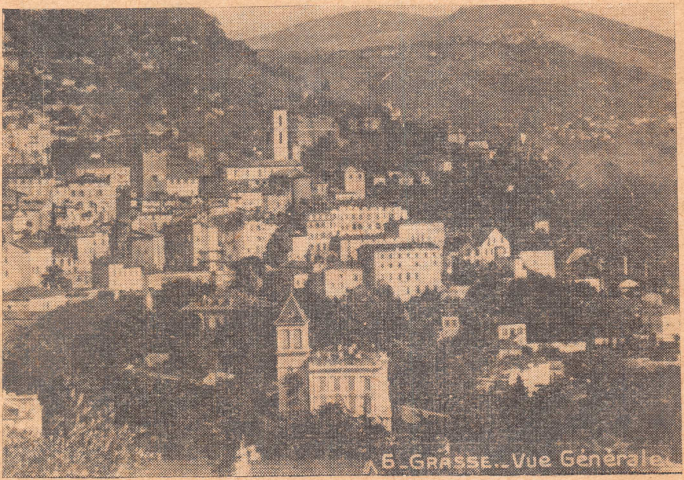
ويلى هذا الطريق ـ نحو البحر ـ « الكورنيش الاوسط » ، الذى أنشىء لاغراض سياحية ، وقد انتهى العمل فيه عام ١٩٣٩ .. وهو يشرف على مناظر طبيعية خلابة . أما

« الكورنيش الأسفل » ، المحاذى للبحر مباشرة ، فقد أنشأه أحد أمراء موناكو فى القرن الثامن عشر

طريق الرعب !

◆ **والآن** تعال بنا نستقل سيارة « الاوتوكار » المخصصة لنقل السائحين الى بلدة جبلية من أشهر بلدان الريفييرا ، هى بلدة (جراس)

وهناك طريقان يؤديان الى البلدة المذكورة : أحدهما طريق سهل منبسط ، والآخر طريق جبلى صعب المرتقى . ويشاء برنامج الرحلة المعد لركاب الاوتوكار ان يكون الذهاب الى (جراس) بالطريق الجبلى ، والاياب بالطريق المنبسط ، امعانا فى اتاحة الفرصة للسائحين كى يروا معالم الطريقين .



منظر عام لبلدة (جراس) الجبلية بالريفييرا



خليج مونت كارلو. وقد انتشرت فيه الزوارق الشراعية الانيقة لاصحاب الملايين

لكننى وددت لو وفر القوم على أنفسهم هذا « الكرم » وقنعوا بأن يرونا الطريق السهل فحسب ·· واليك البيان :

تبدأ السيارة رحلتهـا فاذا الطريق فى بدايته جميلا ، متعرجا ، تحف به الاشـجار والخضرة النامية على سفوح الجبال · وهنا وهناك دور وقصور متناثرة على السفح من جهة اليسار ، وعلى شاطىء البحر من جهة اليمين ·· ثم تأخذ السيارة فى تسلق الجبل رويدا رويدا ،وهى تدور وتدور مع تعرج الشاطىء ومنحنياته التى لاتقع تحت حصر · **وتدريجا تتزايد وعورة الطريق ، لا من حيث سطحه الاملس المرصوف ، الذى لا غبار عليه ، وانما من حيث شدة انحداره وضيق منعطفاته**

الحادة التى تطل على هاوية سحيقة ليس لها قرار !

٠٠ ويبدأ الركاب فى التململ ، فالقلق المكتوم ، فالانزعاج الصريح ٠٠ ويمسكون أنفاسهم خــوفا وذعرا من ان تنحرف عجلة السيارة الضخمة سنتيمترات ، أو تصاب فراملها بأدنى عطب ، فتنزلق فى مثل لمح البصر الى هاوية الفناء !

وبعد ان يستمر هذا التوتر أكثر من نصف ساعة ، يشرف الاوتوكار على بلدة (جراس) ، فنتنفس جميعا الصعداء ٠ فقد بلغنا آخر الامر طريقا مستويا ، آمنا !٠٠ وتمضى بنا « مضيفة » الســـيارة الى الاماكن التى تستحق الزيارة فى البلدة ، والتى اشتهرت بها على مر العصور ، وأهمها :

مصنع الروائح العطرية : وقد اشتهرت (جراس) منذ بعيد بأنها مهد صناعة العطور الفرنسية ذات الشهرة العالمية ،



الصخور العالية باحدى المناطق غير المأهولة من شاطىء الريفييرا



السفن البخارية تمرق أمام شاطىء بلدة (فيلفرانش سورمير) ، احدى البلدان الصغيرة الكثيرة المتراصة على شاطىء (الكوت دازور) بمنطقة الريفييرا

ولا سيما عطور الورد والياسمين ٠٠ وهى صناعة دقيقة ، كثيرة التكاليف - (ويكفى لايضاح نفقاتها ان الكيلو جرام الواحد من العطر يستخرج من نحو عشرة آلاف زهرة !) ٠ وفى البلدة نحو عشرين مصنعا من مصانع العطور ، تصدر منتجاتها الى جميع أنحاء العالم ٠ ويستهلك فى هذه الصناعة كل عام نحو مليون كيلو من زهر البرتقال ، ونصف مليون من زهر الورد ، وثلاثة أرباع المليون من زهر الياسمين ٠٠ أما زيات العطور المركز فيلزم لاستخراج الكيلو جرام الواحد منه نحو ٩٠٠ كيلو من زهور الورد أو البرتقال ، أو ٧٠٠ كيلو من الياسمين !

وتنتج منطقة الريفييرا المحيطة بمدن (نيس) و (كان) و (أنتيب) وحدها نحو خمسة عشر ألف « طن » من الزهور فى العام ، بينما يبلغ انتاج مناطق البحر الابيض باجمعها ١٧٫٥٠٠ طن ، أى ان هذه المنطقة تنتج ستة أسباع الانتاج الاجمالى . ويبلغ عدد المؤسسات والمصانع التى تشتغل بهذه الصناعة نحو ثمانى آلاف مؤسسة تنتشر على طول الساحل الفرنسى من أسبانيا الى ايطاليا (أى من طولون الى منتون) .



منظر رائع لقنطرة فوق هوة سحيقة عند الحدود الفرنسية الايطالية بجبال الريفييرا .

وتدين المنطقة جميعها بهذه الصناعة للشاعر الروائى الفرنسى المعروف « ألفونس كار » ـ مؤلف رواية (ماجدولين) المعروفه!
ـ ومما يدل على سرعة انتشار تجارة وصناعة الزهور فيها ان مايصدر منها بالطائرة الى الخارج بلغ فى عام ١٩٥١ نحو ٣٠٠ طن فى الموسم ، بعد ان كان فى عام ١٩٣٩ لايزيد على ثلاثة أطنان !

وأشهر مصانع العطور فى (جراس) هى : « مولينار » ، و « فراجونار » ، و « جاليمار » ، و « الكوت دازور » ٠٠ الخ

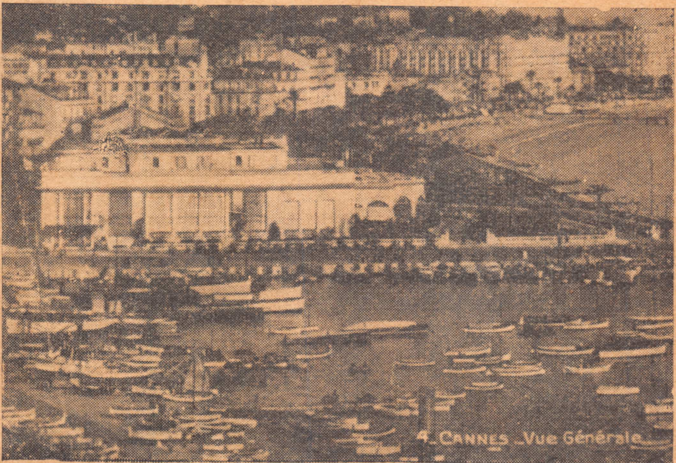
ويلى مصانع العطور فى الشهرة بالنسبة للبلدة مصانع الفواكه المحفوظة والمربى وزيت الزيتون والازهار المحنطة ٠٠ الخ ، وقد كانت (جراس) فى العصور الوسطى جمهورية مستقلة على نسق الجمهوريات الايطالية الصغيرة مثل فلورنسا وجنوا ٠٠ الى أن قضى على استقلالها الكونت دى بروفانس فى عام ١٢٢٧

حيث عسكر نابليون

• **وأثناء** مرورنا فى شوارع البلدة تشير لنا « الدليلة » الى الطريق الذى سلكه الامبراطور نابليون بونابرت عند فراره من جزيرة (البا) فى يوم ٢ مارس عام ١٨١٥ ، عندما اضطره الاستقبال الفاتر الذى استقبلته به مدينـــة (كان) الى أن يتجنب الطـرقات التى تخفرها قوات الملك ، فقرر ان يسلك طريق الالب الذى يمر بمدينـــة (جرينوبل) ومنهـــا الى (جراس) ٠ ودخل الاخيرة بالفعل فى اليوم المذكور مع مائة من جنوده وأربعة من الفرسان البولنديين ٠٠ وخـوفا من ان يستقبله أهل البلدة استقبالا عدائيا ، آثر الا يتغلغل فى قلبها فسلك طريقا يدور حولها ، وعسكر مع رفاقه فى السهل الذى أطلق عليه منذ ذلك اليوم (سهل نابليون) ٠ **وهنـــاك قضى**

ساعة واحدة ، تناول فيها غداءه المكون من دجاجة محمرة أكلها وهو صامت ، وكان يجلس على بضعة أكياس محشوة بحاجيات جنوده ، في ظل شجرتين من أشجار السرو ماتزالان باقيتين الى اليوم ، ترويان قصة تلك النهاية الذليلة للجبار الذى دوخ أوربا دهرا طويلا !

وفي شتاء عامى (١٨٠٧ ـ ١٨٠٨) ، أثناء مدة انفصال أخت نابليون ـ « بولين » ـ عن زوجها الامير « بورجيزى » ، وفتور علاقتها بأخيها الامبراطور ، نصحها الاطباء بأن تقضى الشتاء فى (جراس) ، فجاءت اليها تنشد الصحة وراحة الاعصاب من المتاعب العائلية .. وهناك كانوا يحملونها على مقعدها كل يوم الى بقعة تشرف على الجبل المدرج المكسو



منظر عام لشاطىء مدينة (كان) السياحية المشهورة ، حيث يعقد مؤتمر السينما الدولى كل عام

بالخضرة ، ويطلق على تلك البقعة اليوم « بستان الاميرة بولين » . وبلغ من حرص القوم على توفير الراحة لها يومئذ ان كفت بائعات اللبن عن المناداة على بضاعتهن كل صباح .. وامتنع الحراس عن دق أجراسهم كل ليلة .. بل انتزعت الاجراس من رقاب الابقار والماشية !

وفيما بعد ، قضت الملكة فيكتوريا البريطانية أشهر الشتاء - لعدة سنوات - فى (جراس) ، وكانت تقيم فى فندق (جراند أوتيل) ، أو فى قصر المليونير اليهودى « روتشايلد » ، أو (روتشيلد)

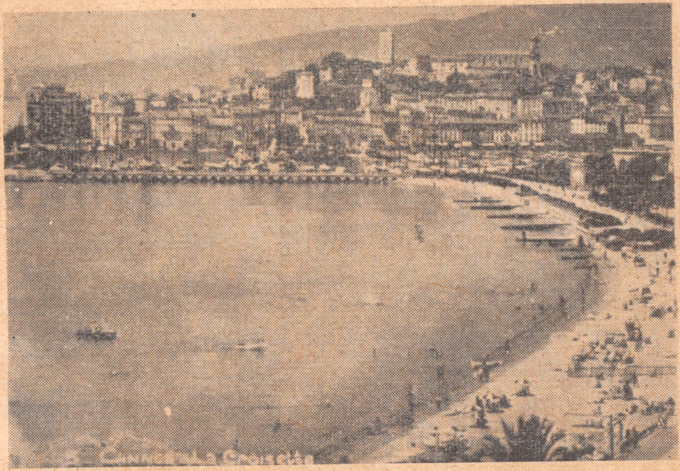
وفى طريق العودة من (جراس) الى الشاطىء - بالطريق الآمن فى هذه المرة - تمر السيارة بمنطقة واحدة خطرة يطلقون عليها « حلق الذئب » ، نسبة الى قنطرة ضيقة تشرف من جانبيها على هاويتين سحيقتين !.. ثم تعرج بنا « دليلة » الرحلة على قرية بها مصنع للخزف ، الى جواره نبع ماء يزعم أهل القرية انه يطيل عمر من يشرب منه !.. وقد أنشأوا له حوضا وصنبورا وتقاطر المارة والسائحون على تناول جرعات من مائه !

وانتشر ركاب « الاوتوكار » فى ارجاء المعرض الذى أعده مصنع الخزف لعرض نماذج من انتاجه ، فابتاع كل منا تذكارا من المعروضات - كما حدث من قبل فى مصانع العطور والحلوى .. الخ - وهكذا برع القوم فى استغلال فرصة زيارات السائحين للاقليم ، كى يروجوا لمنتجاته ويساهموا فى تصريفها !

والآن .. هذه هى السيارة قد اقتربت بنا من لؤلؤة الريفييرا الرشيقة الانيقة : (كان) !

المدينة المحظوظة !

• على حافة خليج وادع ، من خلجان الريفييرا ، وفى حمى



« البلاج » الدائرى لمدينة (كان) بالريفييرا ، وقد بدت مبانيها وخلفها الجبل . وفى مقدمة الصورة احدى أشجار النخيل المتناثرة على الشاطىء

سلسلة من التلال ، ترقد مدينة (كان) الصغيرة الجميلة ، التى تدين بشهرتها ومكانتها الى روعة موقعها الطبيعى ، وعذوبة طقسها ، الامرين اللذين أغريا باختيارها مكانا مفضلا لكثير من المهرجانات والاحتفالات الدولية .. وزادتها هذه المهرجانات بدورها شهرة على شهرة ، وضاعفت من اقبال الزائرين عليها ، حتى غدت بحق ملتقى المترفين وعشاق الرياضات الانيقة ، أو « الصالون الشتوى للارستقراطية العالمية » !.. ومنذ عهد قريب ، أضافت (كان) الى شهرتها كمشتى ممتاز ، شهرة جديدة لها كمصيف ممتع ، حافل بأسباب اللهو والترف .. **ومن أشهر المهرجانات التى تجذب السائحين الى (كان) : مهرجان الزوارق الشراعيه ، مهرجان**

« معارك » الزهور ، عيد « الميموزا » – وهو عيد للنباتات سمى باسم نبات « الميموزا » الذى يكثر فى تلك المنطقة بصورة خيالية ، والذى جلب لاول مرة من جزيرة (سان دومنجو) عام ١٨٣٥

ولعل أجمل معالم (كان) طريق (لاكروازيت) ، بحدائقه الانيقة ، وأشجار النخيل الوارفة التى تحف به ، وحوانيته ذات الواجهات الخلابة ، وفنادقه الفاخرة .. بل وهوائه الذى يتضوع بعطر الازهار التى تملأ الحقول حواليه .. هناك يتسكع زوار المدينة فى ضحى أيام الشتاء ، وفى ليالى الصيف ، يمتعون أبصارهم بمنظر الخليج الرائع الذى يلتف حول شاطىء المدينة .. ويختلسون النظرات الى بعضهم البعض ، كما هى العادة فى التسكع !



منطقة (ايز سورمير) الخلابة بشاطىء الريفيرا

فاذا أشبعنا أنظارنا من مفاتن هـذا الطريق ، مضينا الى « طريق الحرية » الذى يشرف على ميناء للصيد والنزهـة . وهناك تعقد كل صباح سوق الزهور التى تستحق ان ترى ..

ومن شاطىء الميناء يستطيع المرء ان يستقل زورقا الى جزد (ليران) ، حيث يقوم قصر تاريخى عريق جدير بالمشاهدة .. أو يمضى بالسيارة من طريق (لاكروازيت) الى كازينو « بالم بيتشى » - (شاطىء النخيل) - المطل على خليج جوان .. أو يتسلق التل المواجه لقصر (كروا دى جارد) ، ليطل من قمته على منظر عام خلاب للمدينة .. أو يصعد الى برج (جبـل الفارس) ، ليشرف منه على جزيرة (سانت مرجريت) ..الخ

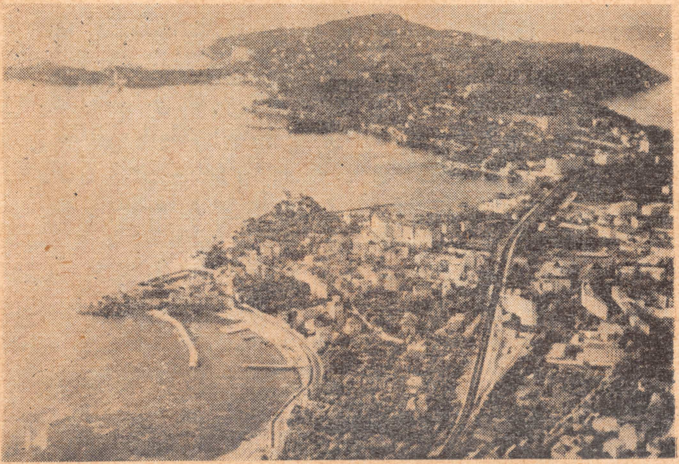
فاذا رغبنا فى زيارة « أثرية » ، مضينا الى «متحف حضارات البحر الابيض المتوسط القديمـة » ، الذى يحفل بالآثار : المصرية ، والسورية ، والفينيقية ، واليونانية ، والرومانية ..الخ

أما اذا صادف ان كانت زيارتنا لمدينة (كان) معاصرة لاحد مهرجاناتها العالمية ، فحـدث ولا حرج عن اللهو الصـاخب والحركة الدائبة التى تبيت فيها المدينة وتصحو ، وكأنهـا خلية نحل تموج بالمرح ، والموسيقى ، والغنـاء ، والمتعة .. والحب !

ولنتدارك أنفسـنا فنغادر « المدينـة المحظوظة » قبـل ان يصيبنا منها مايخلف فى قلوبنا فراغا .. ووحشة !

حيث يعيش « سومرست موم »

◆ **فلنمض** اذن فى رحلة آخرى من رحـلات الريفييرا ، الى شبه جزيرة (كاب فيرا) ، التى تبعد نحو ١٤ كيلو مترا من (نيس) .. وتستغرق الجولة فى شبه الجزيرة نحو ساعة ، تتلوى فيهـا السيارة فتحاذى حينا سفح جبـل تحف به الغابات ، وتشرف حينا آخر على منحدر سحيق يتلاطم البحر على أعتابه .. وهنا دار أنيقة وسط الغـابة ، فى أعلى ..



شبه جزيرة (كاب فيرا) بالريفييرا ، حيث يقيم الروائى الانجليزى « سومرست موم » فى فيللا أنيقة شيدها لنفسه على شاطئ الاحلام

وهناك قصر شامخ تستحم أقدامه فى الخليج .. وهذه « فيللا الارز » التى كان يملكها « ليوبولد الثانى » ملك البلجيك .. وتلك دار الروائى الانجليزى « سومرست موم » - الذى هجر انجلترا منذ وضعت الحرب الاخيرة أوزارها ليقيم بصفة دائمة فى جنة الجنوب - **وأول مايلفت نظرك على باب الفيللا ، نفس الشارة التى تراها مرسومة على غلاف كل كتاب من كتب الروائى الكبير .. الشارة المقتبسة بتصرف عن « حدوة الحصان » ، والتى يقول « موم » انه يتفاءل بها كتميمة تقيه حسد الحساد !**

ويبدو ان طقس الريفييرا المعتدل يحبب الانسان - كما يحبب الدولة - فى اقتناء الحيوان .. فكما أقامت (موناكو)

متحفها الهائل للاحياء المائية والاسماك ، نرى هنا فى بداية الطريق الى شبه الجزيرة دارا جميلة تعمرها صنوف من الحيوانات الصغيرة ، والزواحف ، والسحالى ، والحشرات ٠٠ الخ ٠٠ والى جانبها مزرعة للفراشات الجميلة ، المختلفة الفصائل والالوان ، التى يحلو الاستمتاع بمنظرها فى موسم الربيع

وفي نهاية شبه الجزيرة ، يقوم فنار لهداية السفن ، وتستطيع اذا صعدت الى قمته ان تمتع ناظريك بمنظر طبيعى خلاب للمنطقة بأسرها ٠٠ واذا تركت السيارة عند عتبة فندق (جراند هوتيل) ، ألفيت الى يمينك ساحة من الارض أشبه بالشرفة ، تطل على منظر بديع يمتد على مرماه البصر حتى يعانق موضع التقاء الحدود الفرنسية والايطالية ، بل يتطاول وراءها الى (بورديجيرا) بايطاليا !٠٠ فاذا سرحت بصرك فى المناطق القريبة حولك ، لفت انتباهك حوض للسباحة نحت فى قلب الصخر ، وقد أطلقوا عليه « شاطىء الشمس »

فاذا تابعنا جولتنا بعد ذلك ، بلغنا منطقة الاستحمام والرياضات الشتوية ٠٠ فاذا واصلنا المسير نهضت فى مواجهتنا كنيسة ، تنقل مشاعرنا فجأة من أمور الدنيا الى أمور الدين !٠٠ ثم نرى برجا أثريا ضخما ينقلنا ، بنفس السرعة ، من القرن العشرين الى القرن السادس عشر !٠٠ فتمثالا للعذراء من البرونز ٠٠ الخ

وقد تعجب اذا علمت ان فى شبه الجزيرة « أكاديمية » للفنون الجميلة ، أسسها المالى الكبير روتشيلد ٠ وتحيط بها حدائق رائعة التنسيق ، منها ماهو على الطراز الفرنسى ، ومنها ماهو على الطراز اليابانى ، والاسبانى !٠٠ وفى الاكاديمية متحف يضم الكثير من روائع الفن القوطى ، وفن عصر النهضة الايطالية ، وصالونات من عصر لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر ٠٠ ولوحات لاساطين الفن فى القرنين السابع

عشر والثامن عشر ·· وتحف من مجموعات « السيفر » و « الساكس » ·· وسجاد من « الجوبلان » الذى يعلق على الجدران ·· ونماذج من الفن الصينى ·· الخ ·· كل هذا فى متحف واحد ، أقيم فى منطقة لم تعد للدراسة ، ولا يقصدها أحد للبحث والتبحر فى العلم ، وانما جعلت للنزهة والمتعة العابرة !

وبهذه الطريقة تفرض النزعه الفنية على الافراد فرضا فى تلك البلاد ، حتى تتغلغل فى دمائهم وتغدو جزءا من كيانهم !

« مرجانة » ·· فى سان ريمو !

• **والآن** ، حان موعد مغادرتنا الريفييرا الفرنسية ، الى الريفييرا الايطالية ·· فتعال نستقل سيارة « الاوتوكار » الفاخرة المريحة كى تنهب بنا الكورنيش نهبا ، وسط مناظر خلابة تتوالى على البصر من البحر ، والجبال التى تكسوها الغابات ، والاشجار النابتة فى الصخور لتخيم فى انحناءة أفقية حانية على الطريق ، بحيث تكاد أغصانها تربت على ظهر السيارة !

وأول مدينة ذات بال نبلغها على الشاطىء الايطالى هى (سان ريمو) ·· المدينة التى تنافس (مونت كارلو) على عرش القمار – ففيها كازينو ضخم لايقل كثيرا فى الفخامة عن كازينو مونت كارلو ، وقد شهد الكثير من ليالى « فاروق » فى الاعوام الماضية !

و (سان ريمو) تقل كثيرا فى الرواء والجمال عن (نيس) و (كان) ، وليس فيها ما يلفت النظر بصفة خاصة أو يميزها عن مدن الشواطىء العادية ، فى أى بلد ·· اللهم الا اذا استثنينا نظافتها التامة ، وذلك الطابع الايطالى المرح الذى يطبع مقاهيها ومطاعمها ، حيث تستطيع ان تجلس فى الساعة

الثانية بعد منتصف الليل ، فتجد من يقـــدم لك قدحا من النبيذ الجيد وطبقا من فطيرة « البيتزا » التقليدية فى ايطاليا ـ (الفطيرة المحشـــوة بالزيتون والطماطم والانشـــوقة وخليط حريف من التوابل !)

وفى العـــدد القادم ، نواصل جولتنا فى أقاليم الريفييرا الايطالية





نافورة « أورفيوس » بمدينة استوكهلم

صرح رائع من صروح الفن والجمال بعاصمة السويد



« فلاحة حلبت البقرة » لوحـــة من معروضـــات متحف « اللوفر » بباريس ، تعطى فكرة عن جمال ونظافة الريف الفرنسى


حب .. في الظلام!
للكاتب السعودي:
حسن عبد الله القرشي

كنا نسكن فى شقة بالطابق السادس من احدى العمارات الشاهقة بالدقى .. أنا وأمى وأخواتى . وكانت الشقة المقابلة لسكننا هى شقة صاحبة العمارة « ست نظيرة » ، وهى سيدة فى منتصف العمر توفى زوجها وورثت عنه مالا كثيرا وعقارا - من ضمنه هذه العمارة الشامخة - وقد خلفت منه بنتيها « سنية » و « ناهد » ، وكانتا مثالا للجمال الباهر والخلق الكريم ..

وقد انعقدت اتصالات بيننا وبين هذه الاسرة الكريمة ، بحكم الجوار .. على أنه لم يكن لى من مطمع فى احدى البنتين، فقد كانت « سنية » مخطوبة لابن عمها ، وهو ضابط بوليس برتبة « ملازم أول » ، وكانت تحبه ويحبها .. اما الاخرى فمخطوبة لشاب فى السنة النهائية من كلية الحقوق ، ومن ذوى قرباهم هو الآخر ..

ومع هذا فقد كانت أسرتانا تجتمعان كل ليلة تتسامران .. واذا صادف أن عدت مرة من سهرتى فى الخارج مبكرا فاننى كنت أبادلهم السمر ونقضى جميعا وقتا طيبا ..

وكنت أحذق العزف على العود ، فكثيرا ما كانت اسرة ست « نظيرة » تلح على فى العزف عليه ، فكنت ألبى طلبها بعد اعتذار قصير .. ثم أنسجم فى العزف وأروح أردد بعض الاغنيات الشائعة المعروفة .. وينسجم بقية بنات الاسرتين فيرددن معى مقاطع الاغنيات التى أغنيها وكأنهن (كورس » لمطرب شهير

وتنتهى سهرتنا البريئة هذه حوالى منتصف الليل . وفى احدى هذه السهرات اقترحت ست « نظيرة » ان تدعو الى شقتنا احدى جاراتنا اللواتى يسكن فى العمارة ، وذكرت انها فتاة حديثة أبوها طبيب عيون مصاب بالشلل منذ عامين ، وأمها سيدة جميلة فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وحالتهم ميسورة ..

وكان السر فى دعوة « الفتاة » انهـا تجيد الرقص البلدى ، فقد شاهدتها ست « نظيرة » فى حفلة عرس ، وقد تبرعت أن تشارك فيه برقصها بعض الوقت !

ورحبنا بفكرتها ..

وبعثت خادمتها الصغيرة تدعو الآنسة « كريمان » الى شقتنا . وبعد قليل ولجت الفتاة الشقة .. ومسنى - لحظة ان **دخلت - مايشبه السحر !.. أبدا لن تكون هـذه الفتاة من فصيلة الآدميين أمثالنا !.. انها حورية هربت من الجنة .. أو ملكة من ملكات الجن اللاتي نقرأ عنهن فى الاساطير !**

كانت هيفاء مشرقة الوسامة ، بهية الطلعة .. بيضاء مشرب بياضها بحمرة متألقة تزيد من جمالها وحيويتها . وكان أنفها دقيقا ، وثغرها الصغير تتوهج فيه جمرتان همـا شفتاها العذبتان ، وفى عينيها سحر لايقوى على الصمود له كل انسان .. منظر يوحى بالذهول لشاب أعزب مثلى !

ودخلت فحيت بأدب .. وضوأت ابتسامتها فى انحاء المكان فكأنها القمر يضىء بأشعته رحاب الكون الفسيح !

وأحسست بقلبى يتفتح لهذه الفتاة ولما تمض على لقائنـا هنيهة قصيرة !

وكان حديثها رقيقا آسرا وهى توزعه على الجميع بالعـدل والقسطاس ..

وعاودت العزف على عودى .. ورجت ست « نظـيرة » من مدموازيل « كريمان » أن تتكرم برقصة .. واعتراها حيـاء جميل وخفر لذيذ ، وعلت خديها حمرة قانية ، واعتذرت ثم ترددت .. ثم وافقت أن ترقص !

وانتصب أمامى قوامها الرشيق وهى تتلوى فى رقصـات بارعة خلابة ، كان قلبى يتماوج معها فى رعشات وخفقـات . ورحت أعزف على العود عزفا لم أكن أتصور اننى أجيده هكذا الا لحظتها .. وكأنها كانت تلهمنى هذا العزف الغريب !

وغمرت المكان موجة من السحر لم يكن لنا عهد بها من قبل . ثم توقفت « كريمــان » عن الرقص ‥ ولم تعـاوده رغم الحاحنا جميعا عليها ، معتذرة بأنها قد تعبت وآن نها ان تعود الى شقتها ‥

وانتهت سهرتنا تلك ‥

★ ★ ★

ومرت أيام كنت أعود فيهـا كل يوم مبكرا . وكانت ست « نظيرة » تبعث للآنسة «كريمان» ، آملة أن تشاركنا سهرتنا ، ولكنها كانت تعتذر مرة ان عندها صداعا شديداً ، ومرة اخرى ان امها متأثرة ببرد ، وثالثة ان اباها عنده زائرون ‥ الخ

وهكذا ظلت تلك المرة هي الوحيدة فى تاريخ معرفتى بـ « كريمان » ‥ وظلت صورتها منطبعة فى مخيلتى لاتفارقنى لحظة من اللحظات !

وشعرت أننى بدأت أحب هذه الفتاة ‥ بدأت أحبها بكل قوة الحب وعنفه وجبروته . أحببتها ذلك الحب القاسى الجبار الذى يتفجر تياره فى الصدر كأنه بركان ثائر ، ومع هذا فلم يقدر لىّ أن أراها مرة واحدة خلال ايام هــذا الحب المفاجىء المعذب ‥

كم من مرة قضيت الساعات أمام باب شقتها أرتقب أن يطل على وجهها اطلالة عابرة ، ولكن دون جدوى ، فالباب مقفل فى وجهى ‥ وكأن الشقة سجن كبير رهيب لايزور ساكنيه أحد ، ولا حتى حارس السجن !

وبرح بى الشوق وتسرب اليأس الى نفسى ‥ وبدأ يعمل عمله فى أعصابى ، ويذوى جسمى ، ويعصف بسكينتى ‥

وعبرت وحدى مرة « أسانسير » العمارة ، وقبل ان أضغط الجرس للصعود ، تراءى لى طيفها وهى مقبلة مع سيدة صغيرة



تشبهها ، حدست فورا انها والدتها ٠ اذن فهاهى ذى أخيرا !

وتسمرت فى مكانى ٠٠ ودخلنا الاسانسير ، وسرعان ماحييتها فى لهفة خجلى وشوق حبيس ٠ ثم وجهت اليها أثناء صعود الاسانسير سؤالا عن « الآنسة » التى تصحبها ،وهل هى أختها ؟

ولكنها أجابتنى فى ابتسامة منشرحة بأنها والدتها ، ثم قدمتنى اليها مشفعة عبارة التقديم بذكر ما أمتاز به من أننى أجيد العزف على « العود » اجادة فنان مبدع ٠٠ وابتسمت الام ٠ وقبل أن تبارحا « الاسانسير » ، قالت انه يسرها أن أزورهم قريبا اذا شئت ، فشكرتها ٠ ثم واليت صعودى ، والدنيا لاتكاد تتسع لى من الفرح والمسرة ٠ أهكذا يصفو الزمن بعد طول عبوس ، وتبتسم الايام بعد طول تجهم ؟!

ولو أطعت نداء قلبى لطرقت منزلهم فى مساء اليوم نفسه ، ولكنى أصغيت قليلا لنداء العقل ، ورأيت أن أصبر النفس بضعة أيام ، حتى تتسم الزيارة بطابع من الوقار ، وحتى لا أبدو فى مظهر المتلهف ، الذى ما ان أحس بوادر اطمئنان ووثوق ، حتى سارع ينتهز الفرصة فى خفة « العبيط » ٠٠ ومع هذا فما ان وافى مساء اليوم التالى ، حتى كنت أدق جرس الشقة ، وقلبى يكاد يقف من شدة وجيبه وخفقانه !

وفتحت الباب خادم صغيرة سألتنى عمن أكون ؟٠٠ واستفسرت من الداخل ، ثم أشارت لى بالدخول ٠٠ وأحسست

ـ وأنا فى حجرة الاستقبال ـ بأننى افىء الى جنة وارفة ، ذات ظلال وخمائل . وبعد هنيهه قصيرة دخلت الام ـ الست «ثريا» ـ فحييتها فى احترام شديد . أما هى ، فقد ابتسمت لى ابتسامة غامضة ، لم أستطع لها تفسيرا !

وما ان رشفت فنجان القهوة ـ وأنا لاأزال أغالب ارتباكى ـ حتى هتفت بى : « كريمان فى السينما مع ابن خالتها ، انما زمانهم جايين .. تحب تتعرف بالدكتور ؟ »

ورن ذكر ابن خالتها فى نفسى رنينا مزعجا ، فما عسى أن تكون صفة ابن الخالة هذا ؟ .. ولكننى داريت قلقى وأجبتها : « طبعا .. طبعا . دا شرف كبير » . وادخلتنى حجرة «الدكتور» .. كان شخصا فى حوالى الخمسين من عمره ، جالسا فى سريره ، باسطا ساقيه، وبيده صحيفة أجنبية يقرؤها .. وكانت ملامحه الباهتة تدل على الضنى والاجهاد . وقدمتنى له .. فحيانى ببرود عجبت له ، ثم عاود قراءة صحيفته وكأنه لايوجد فى حجرته ضيف غريب !

ولم ينقذنى منه الا صوت « كريمان » وهو يجلجل فى فضاء الشقة كأنه جرس فضى موسيقى النبرات

★ ★ ★

وهمست لى الست « ثريا » ان « كريمان » قد وصلت . فاستأذنت من الدكتور وبارحت الحجرة وأنا لا أدرى هل رد على استئذانى اياه ام لم يرد ! .. ولكننى احتملت جفاءه فى سكون . أليس هو والد « كريمان » ؟!

وحيتنى « كريمان » تحية مرحة ، ثم أشارت الى شاب جالس فى حجرة الاستقبال لم تلمحه عيناى ، وقدمته الى :

ـ « عادل » ابن خالتى .. الاستاذ « سمير » جارنا

ـ أهلا وسهلا .. تشرفنا

ونظرت الى عادل · كان طرازا من الشبان المخنثين ، الذين يسمونهم ناقصى الرجولة !·· كان شعره مزرعة للفازلين · وخداه يلمعان بما أشرباه من « كريم » الوجه ، وملابسه يفوح منها عطر نسائى من أحدث ماصدرته معامل (فرنسا) !·· وقد رشق فى صدره وردة حمراء ، وطعن كرافتته الفاقعة - المطبوع عليها صورة امرأة شبه عارية - بدبوس ثمين ذى لؤلؤة متألقة بارزة !

وجلست « كريمان » أمامنا ثم هتفت :

- وعلى فكرة ·· الاستاذ « سمير » موسيقى درجة أولى · · يعزف على العود بصورة مدهشة ··باسلام لو سمعته ياعادل!

وأجاب عادل دون أى تحرج :

- بس العود بقى موضة قديمة قوى ! لو كنت تعرف تعزف على الكمنجة يا أستاذ كان يكون أحسن ، انما أهى مزيكه وخلاص ·· حاجه يسلى الواحد نفسه بيها ·· وواحد زيك يظهر عليه كأنه شايل هم الدنيا كلها على دماغه لازم يشوف له حاجه تسليه !

وردت « كريمان » وكأنها أحست بوادر ما انتابنى من حنق:

- لا ياعادل ·· العود آلة موسيقية مفيش تحت يمكن يستغنى عنها ، ومش موضة قديمة زى مابتقول !

وكأنها أرادت أن تبدد الجو الذى انعقدت سحابته بسبب كلام ابن خالتها عادل ، فهتفت :

- تحبو تشربو حاجه ياجماعة ؟

وأجاب عادل :

-طبعا عاوزين ويسكى ·· بس مش تخلص الفزازة قوام زى النوبه اياها ·· ويفضل الواحد وكأنه ماشربش الا بيره ساقعه ·· انا كنت حاجنن المرة اللى فاتت !

وهتفت أنا :

ـ على أى حال انا ما باشربش خمرة ٠ ثم انى شربت قهوة ، فكفايه على !

وصرخ عادل ، وكأنه رأى أمامه أحد مخلوقات الله الغريبة :

ـ مابتشربش خمرة ازاى يا أستاذ ؟ هوه فيه حد الايام دى مابيشربش خمرة ؟ ٠٠ وكمـان عامل لى مـزيكاتى !٠٠ أمـال تتسلطن ازاى وانت بتعزف على العود من غير خمرة؟ لا٠٠ لا٠٠ باين عليك دقة قديمة خالص٠٠مش كده والا لأ يا «كريمان»؟!

وكاد الدم يحتقن فى وجهى من الغيظ،ونظرت الى «كريمان» فشاهدت على وجهها علامات الحرج واضحه ، وهى تقول :

ـ لا ياعادل ٠٠ انت زودتها قوى النهاردة ٠٠ وشـايفاك أخدت على الاستاذ « سمير » أكتر من اللزوم ٠ ٠ ايه الكلام اللى بتقوله ؟ همه كل الناس زيك ماهمهمش فى الدنيا الانهم يرقصو ويشربو خمرة ؟ ٠٠ فيه ناس كتير قوى مايحبـوش الخمرة ٠٠ يعنى هيه الخمرة بتجيب ايه غير الصداع والقرف ؟

ولم يبد أى تأثر على وجه عادل من جواب « كريمان » وأردت أن أكتفى بالدفاع المجيد الذى تطوعت به ، ولكننى رأيتنى أرد على عادل بالرغم منى :

ـ فيه ناس كتير فعلا يا أستاذ عادل مايشربوش الخمـرة لاسباب مفيش لزوم انى أذكرها لك دلوقت ٠٠ وكمان أظن انك غلطان ، فأنا مش مزيكاتى بالصورة اللى فهمتها حضرتك ٠٠ أنا انسان هاوى ٠٠ أهوى العود بس ، وما أعزفش لـكل الناس ، وعمرى ماحضرتش فرح علشان احييه !

وتراجع عادل وهو يقول :

ـ أنا مش عاوز أجرح حد ، وأنا مقصدش انك مزيكاتى يعنى تغنى فى الحفلات ٠٠ انمـا انا أعرف بالتجـربة ان الواحـد مايبقاش فى حالة انسجام الا وهوه سكران !

ـ بالعكس يا أستاذ ٠٠ فيه حالات كتير يكون الواحد فيها مبسوط قوى وهو ماشربش ولا كاس واحد ٠٠

– ما أظنش يا أستاذ !

ثم وجه كلامه الى « كريمان » وكأن الموضوع أصبح منتهيا :

– انت ياكريمان هانم حتجيبى لنا الويسكى قوام والا عاوزانى أروح ؟! وعلى فكرة ، مامتك فين ؟

وضحكت « كريمان » وهى تجيب :

– ماما جايه حالا والويسكى أهوه !

وجاءت « ثريا » هانم

★ ★ ★

وأحضرت الخادم مايلزم للشراب ، فأتت بالكؤوس ، وصفت قنانى الخمر . وشرب الجميع ماعداى .. فقد اكتفيت بأن ملأت كأسى بزجاجة الكوكاكولا التى طلبتها بعد الحاح على بالشراب من جانب « ثريا » هانم ، وبعد اعتذار منى

وانتظرت حتى مضى مايقرب من نصف الساعة ، ثم وقفت مستأذنا فى الخروج

ولم يلح على أحد بالبقاء فيما عدا « كريمان » التى هتفت بى :

– كنا عاوزينك تقعد معانا شوية يا أستاذ « سمير »

ثم تلطفت فودعتنى . وعند الباب همست لى باغراء :

– حشوفك بكره الساعة ستة قدام سينما (مترو) .. اوريفوار !

ولم تنتظر جوابى ، بل انفلتت الى الداخل فى خفة الطيف ، وعبيرها النشوان يسكر رئتى ويحملنى على أجنحة الاحلام ..

لماذا لم تنتظر جوابى ؟ ولكن هل كانت فى حاجة الى جواب؟ ان ما أطل من تعبيرات عينى فيه ألف جواب وألف رسالة غرام حافلة بمشاعر العشق واللوعة !

كان موعدها خير تعويض عن مأساتى فى التعرف الى عادل ، والاستماع الى حديثه الممج ووقاحته السمجة . ومع هذا ، فقد كنت فى دوامة من الافكار : ماهذه الحياة التى تحياها «كريمان» ؟ .. أب نصف ميت وأم لاشك انها عابثة مستهترة ،

ووسط منحل يمثله ابن خالتها عادل .. ولعل هذا الانحلال ينسحب على أكثر معارفها وأقاربها !

وأحسست بغصة وألم . ثم عدت الى التساؤل : ماهو مستقبلى اذن مع هذه الفتاة ، وقد فهمت بيئتها فى ساعة واحدة ؟ .. ثم ماهو السبب الذى يدعوها الى مقابلتى أمام سينما مترو ؟.. **لقد كنت على وشك أن أخطبها دون أى تفكير، ولكن ماشهدته من كيفية حياتها قلب برنامجى رأسا على عقب!.. أفى مستطاعى أن أخطبها بعدما رأيت ؟.. ولكن ما الذى رأيت ؟!.. فتاة خلقت فى بيئة خاصة ، ودرجت على أوضاع بيئتها منذ صغرها .. فهل أستطيع أن أغير شيئا فى تكوين هذه البيئة ؟ لابد أن أتقبل الامر على علاته أو أن أعود أدراجى من الآن !..** ومعنى أن أعود أدراجى أن أفقد موعدها مساء الغد أيضا !

وأخذت أطرح على نفسى هذا السؤال : « هل فى امكانى ان أغفل موعدى معها ؟ » وكان جواب نفسى : « كلا .. وألف كلا » !

★ ★ ★

وما أن أزف الوقت ، حتى رأيتنى أمام (سينما مترو) ، وعيناى تفحصان الناس بصورة يحسدنى عليها رجال البوليس السرى !

ومرت عشر دقائق ، ثم ربع ساعة ، ثم نصف ساعة . وتقاطرت أفواج المنتظرين أمام السينما الى الداخل ، وبقيت وحدى أرتقب مجيئها . وحين وافت السابعة ولم تحضر ، عرفت انها أخلفت موعدها . ووددت لحظتها لو رأيتها حتى أمسك برأسها الجميل الصغير بين يدى وأحطمه فى قسوة .

لقد عبثت بى عبثا مريرا ، وتركتنى أتقلب على جمر الانتظار !.. ليتنى لم أحضر الى هذا الموعد .. ولكن ، هل كنت

أعرف انها سوف لاتحضر ؟ .. وهل من اللائق أن تواعدك فتاة ثم تخلف أنت موعدها دون ان تخطرها ؟!

شيء يتنافى مع الذوق والعقل !

ولكن لماذا لم تحضر وهى نفسها التى حددت الموعد ؟! .. أأخطأت اذناى كلامها ؟.. كلا لم تخطئا .. فقد كانت نبرات صوتها واضحة !

وعدت أدراجى وأنا فى حالة نفسية سيئة ، تكاد قدماى ألا تحملانى . وأوقفت « الاسانسير » عند الطابق الرابع ، ووقفت أمام باب منزلهم .. هل أدق الجرس ؟.. ماذا تقول أمها وهى التي لم تشجع بقائى معهم مساء أمس ؟.. ثم هل من المعقول أن أقحم نفسى هكذا على أسرتها ، ولم يمض على تعرفى بالاسرة سوى يوم واحد ؟!

ومن ثم فقدصعدت الى شقتنا وأنا أشعر بمدى ما كنت سألحقه بنفسى من هوان لو اننى طرقت بابهم ، متناسيا كرامتى !.. وشد ما كانت دهشتى وأنا أشهد « كريمان » فى شقتنا ، وعقد الاسرتين مكتمل : أسرتى ، وأسرة ست « نظيرة »

ورنوت الى « كريمان » فى عتاب وألم ، ورنت هى الى فى صمت حذر .. وأنبأتنى عيناها أن لديها ما ستقوله لى ..

وتناولت العود وأخذت أعزف عليه . ورقصت « كريمان » رقصا متوثبا مثيرا ، أحسست كأنه موجه لى وحدى !.. وشعرت باندفاع دماء الخجل متدفقة الى خدود العذارى ، وهن يشاهدن ماتبديه « كريمان » فى رقصها من تهتك داعر !.. وكدن ينقلن الى عدوى الخجل لولا اننى كنت لا أشهد أمامى الا جسما نورانيا يلتهمه قلبى قبل ان تلتهمه عيناى !

وبعد ان انتهت من رقصها ، ابتسمت للست « نظيرة » وهمست لها :

ـ أنا حاترجاك تترجى الاستاذ سمير يشرفنا الليلة دى علشان يتسلى ويا بابا ، ويعزف له شوية على العود

وسرعان ما وافقت على رجاء الست « نظيرة » ، وأخذت عودى ونزلت مع « كريمان »

وقبل أن نصل الى شقتهم سألتها :
ـ ليه خلفت ميعادنا قدام سينما (مترو) وسيبتينى انتظرك أكثر من ساعتين ؟
ـ أصل ماما نزلت مع الخدامة وما كانش فيه حد عند بابا غيرى .. وساعة مارجعت ماما عرفت انى مش ممكن أحصلك هناك ، فقلت أطلع عندكم لغاية ماتيجى انت

وكان عذرا منطقيا مقبولا !

★ ★ ★

ودخلت الشقة .. وفوجئت بما لايقل عن ثمانية أشخاص، يجلسون حول مائدة خضراء ، وتتوسطهم أم « كريمان » .. الست « ثريا » !

كانوا يلعبون القمار في شراهة الجائع ، النهم ، المقبل على مائدة شهية !

وما ان رأوا « كريمان » حتى تصايحوا : « انت فين يا « كريمان » .. حد يسيب ضيوفه ويغيب عنهم كده ؟! »

وأجابت « كريمان » :
يا الله خلصوا اللعب قوام أحسن أنا محضرالكم مفاجأة كويسة .. أقدم لكم الاستاذ الموسيقار سمير .. حيبسطكم الليلة دى ويعزف لكم على عوده

وقبل أن يرد أحد ، هتف صوت تذكرت صاحبه فور سماعى اياه :
ـ تانى يا استاذ (سمير) ؟ احنا مش قلنا ان العود بقى حاجة قديمة !

لقد كان قريبها .. عادل

ورد عليه صوت آخر من أفراد الشلة الجديدة :
ـ وماله القديم ياعادل ؟ دا القديم حلو .. أنا أموت فى القديم !

لقد كان صاحبه رجلا نيف على الستين ، ويبدو انه مقامر

بارع ٠٠ فقد كانت النقود تتراكم أمامه ٠

وتعالى صوت آخر يرد على الكهل :

ـ اسكت انت يا ابن القديمة ٠٠ خلينا فى شغلنا !

وكان الوضع الطبيعي ان انسحب فورا ، مخلفا لـ«كريمان» اصداء هذا العجيج الذى زجت بى فيه عامدة ٠ ولكنى لم أنسحب ، بل اتخذت لى مقعدا قريبا من حلقة اللعب ، ورحت أتفرج على اللاعبين كالانسان الذى يشمت فى نفسه !

ونظرت الى « كريمان » وهى تدور فى انحاء المكان ، وتدخل بعض الغرف كالملاك الطاهر الذى يحس بنجاسة المكان ودنسه دون أن يستطيع عمل شيء !

ويسكى ! وقمار ! وشلة هى فى رأيى من حثالة الناس !٠٠ ثم ٠٠ عادل !

تراءى لى كل ذلك أمرا غريبا ، حتى لقد تحسست جبهتى : أأنا فى حلم أم فى حقيقة ؟ ٠٠ وصفعتنى الحقيقة ، فوقفت ، ثم اقتربت من « كريمان » متسائلا فى حنق :

ـ عاجبك الحال دا ياكريمان ؟

ـ أرجوك يا أستاذ ماتسألش سؤال زى ده مرة تانية !

ـ ما اسألش ازاى ؟٠٠ بقى تنزلينى من بيتنا وتمرمطينى مع شلة مقامرين ، ومع عادل ابن خالتك ، ومش عاوزانى أوجه لك حتى سؤال ؟!٠٠ ده تهزىء لى يامدموازيل كريمان ٠ تهزىء ما استحقوش منك !

ـ انا ما هزأتكش ياأستاذ ٠٠ وانت تقدر ماتغنيش حاجة٠٠ مفيش حد حيجبرك على عمل شيء مايعجبكش ٠٠ أنت حر تمام!

ـ بقى كده ؟!

ـ أيوه كده !٠٠ ثم انا عايزه أسألك سؤال : باى حق يا أستاذ سمير بتزعل على بالشكل ده وتكلمنى باللهجة دى ؟

ـ لانى باحبك ياكريمان !

ـ ياسلام ٠٠ بتحبنى ؟!

ـ أيوه باحبك .. وكنت عاوز أخطبك ، بس شايف ظروفك ماتشجعنيش انى أخطبك .. مش كده ؟!

ـ ماتشجعكش ليه ؟!

ـ لانك مش لى .. لاسرتك .. ولابن خالتك عادل بيه .. ولشملتك .. وللخمرة !

وما ان انتهيت من توجيه جوابى هذا لكريمان ، حتى تراءى لى وكأننى وجهت اليها سوطا من نار .. فقد أزرق وجههـا ، واحتقنت عيناها ، ثم انهمرت منهما الدموع .. غزيرة متدفقة . وانفلتت من أمامى الى احدى الغرف ، وهى تغالب نفسها كى لا يرتفع صوتها بالبكاء والنشيج !

وعجبت لهذا الموقف الدراماتيكى .. أهو فصل تمثله على لكى تؤجج من نار حبى لهـا ؟ أم أنهـا شعرت بذلهـا أمامى ، وعرفت انها فتاة ليست جديرة بالحب والزواج ؟!

وأخذت عودى وانسحبت فى سـكون ـ دون ان يحس بى أحد ـ وكأننى مجرم يحاول أن يبتعد عن مسرح جريمته !

★ ★ ★

ولم أدر ماذا أفعل ! .. فقد كان حب الفتاة متغلغلا فى أعماق نفسى ، متسربا الى حنايا قلبى !

ومكثت يوما ويومين وأسبوعا دون أن ألمحها أو أراها ، أو تصعد الى شقتنا . ثم وجدتنى فى مساء أحد الايام واقفا أمام باب شقتها أدق الجرس فى انفعال واصرار ، وقد اعتزمت أمرا خطيرا

وفتحت لى أمها الباب ، فدخلت

وسألتها :

ـ كريمان هانم موجودة ؟

ـ لا .. هى معزومة على العشا الليلة دى .. ومش حترجع قبل الساعة حداشر

– اسمعى يامدام « ثريا » .. آنا عاوز أخطب منك مدموازيل « كريمان » ! واذا كان لازم أتقدم لابوها فحاكلمه دلوقت اذا سمحتى لى ؟!

– أصل « كريمان » يا أستاذ سمير صغيره ومش عاوزه تتجوز . واحنا كمان مانستغناش عنها فى بيتنا أبدا !

– « كريمان » مش صغيره للدرجة دى . ده كل البنات اللى فى سنها يحبو يجوزه ، وأهلهم يحبو لهم الجواز !

– هى قالت لك انها موافقة على الجواز منك ؟

– لا .. ماقالتليش ، انما ده مفهوم !.. وأنا فضلت انى أتقدم برغبتى ليك انت لانك والدتها وست البيت الاولى !

– ميرسى .. على العموم انا حاكلمها وحا اتكلم مع أبوها ، وتقدر تفوت على بعد أسبوع وتاخد الجواب النهائى

– متشكر يامدام .. أنا مش حانسى جميلك أبدا ، لو وافقت « كريمان » !

وخرجت وأنا أقول لنفسى : لقد نلت أحسن فتاة فى الدنيا، وأنقذتها من الوسط الموبوء القذر الذى تحيا فيه !

★ ★ ★

وبعد ذلك الحديث ببضعة أيام ، كنت فى زيارة « عصام » ابن عمى فى عائمته الانيقة التى ترسو على ضفه الزمالك . وكان « عصام » شابا بوهيميا لايقيم وزنا لغير بوهيميته . وكانت زيارتى له مصادفة ، وبعد مرور وقت طويل لم أزره فيه

ودق الجرس فى العائمة . والتفت الى « عصام » وعيناه تومضان بوميض خاص ، ثم أخبرنى أن عنده موعدا (رانديفوه) هاما جدا ، وان صاحبته ولا شك قد حضرت وهو لايود أن ترانى الآن ، وانه يمكنه أن يهيىء لى اجتماعا بها فى وقت آخر اذا شئت !



ودخلت احـدى الغـرف • وبدافع الفضول ، رحت أرقب من أحد ثقوب الباب «الحمامة» التى ولجت فى مصيدة ابن عمى « عصام » •• المصيدة التى لاتكتفى فى اليوم الواحد بأقل من « حمامتين » ؟

ودخلت الحمامة •• وكانت •• « كريمان » !!

«كريمان» بعينها ان لم تعم عيناى •• وقد دلفت الى حجرة الاستقبال بخطى رشيقة أنيقة ، وبمنتهى الاطمئنان ، وكأنها تدخل بيتها ، ثم راحت تقبل ابن عمى فى نهم وشغف !

وأطبقت على قلبى وعلى عينى ظلمة سرمدية !•• وشعرت ان كثيرين ممن يقدمون على الانتحار انما يقعون فريسة مواقف تشبه موقفى فى عائمة « عصام » ! •• مساكين •• انهم معذورون !

ورد « عصام » باب حجرة الاستقبال على صيده الثمين ، وابتسم لى وهو يقول :

ـ ايه رأيك •• حلوه ؟ آنا شفتك وانت بتبص عليها من خرم الباب

ولم يدر « عصام » أى سهم مميت وجهه الى قلبى الذبيح ، وأى زلزال مس أعصابى ، وعطل حواسى ، ونسف سكينتى !

وأجبته :

ـ حلوة طبعا •• بس اسمها ايه يا « عصام » ؟

كنت أريد أن اتعلق بالوهم .. بقشة طافية فى بحر عجاج متلاطم الموج

وأجاب « عصام » :

ـ اسمها (كريمان) .. وتعرف انها ساكنة فى نفس العمارة اللى انتم فيها .. فى الدور الرابع ياسمير !

ودارت بى الارض .. ولم أدر بعدها كيف حملتنى قدماى الى الشارع ، وقد شمل كل كيانى المنتفض شعور بالقهر والاشمئزاز .. الاشمئزاز من كل الناس !

* * *

وبعد هذا الحادث الاليم بأربعة أيام ، كنا ننتقل الى شقة أخرى بعيدة بحى (مصر الجديدة) ، بين دهشة الست «نظيرة» صاحبة العمارة ، وبكاء بنتيها البريئتين « سنية » و « ناهد »!

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى

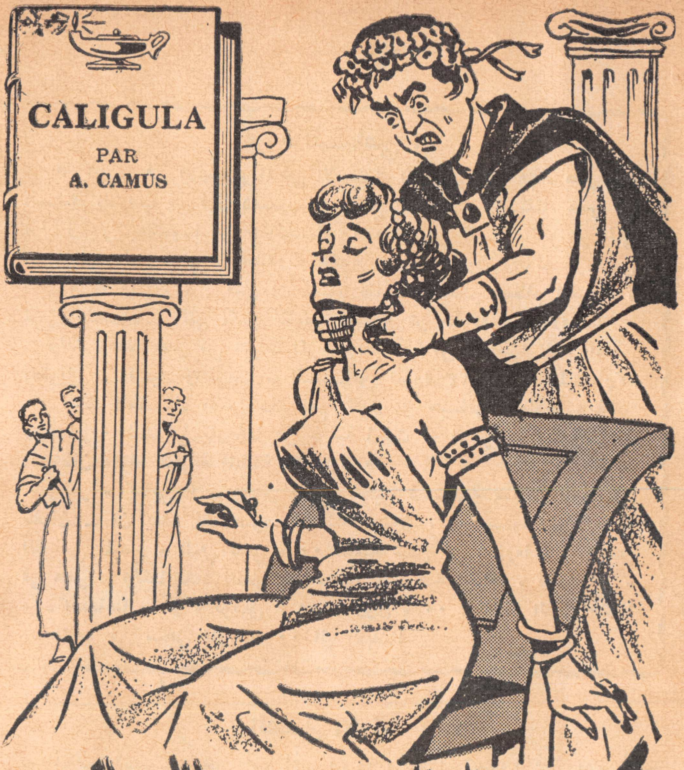
(التمثيل.. والتمثيل؟)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

• خطايا الحب : لاوسكار وايلد • نزاهة الحكم : جوجول • سلاح المرأة : أريستوفان • فولبون : بن جونسون • جيوكندا : دانونزيو • كلام الناس : جوزيه اشيجاراى • مدرسة الفضائح : شيريدان • سيرانو دى برجراك : روستان • لعبة الحب والموت : رومان رولان • مروحة الليدى وندرمير : وايلد • فاوست : جيته • أوديب الملك : سوفوكل • فى سبيل الحب : جون درايدن • ولم تل : شيللر • الام : مكسيم جوركى • الملك يلهو : فيكتور هوجو • الجنس الآلى : كاريل كابيك • الابن الاكبر : جالسورثى • هرنانى : فيكتور هوجو • ترويض النمرة : شكسبير • الحياة نفاق : لويجى بيراندللو • أغلال الحب : ستيف باسير • المنافق (طرطوف) : موليير • بيت الليل : تيرى مونييه • علموهم الحب : روجيه فردينان • زوج مثالى : أوسكار وايلد • سالومى : أوسكار وايلد • مدرسة الارامل : جان كوكتو • برهان الحب : جان انوى • لوسيد : بيير كورنى • كيف نقع فى حبائلهن : بروفانس • أحزان هان • حلاق اشبيلية • تشيترا

واليوم ، أقدم لك مسرحية وقعت أحداثها منذ ألفى عام



كاليجولا

الامبراطور الذى اعتبر نفسه "ربة الجمال" ..!

قصة تمثيلية ساخرة للكاتب الفرنسى "البير كامى"

تلخيص : ميخائيل بشاى

عبرة الماضى !

◆ أجرى فى الاسبوع الماضى الاستفتاء التاريخى فى حياة مصر .. استفتاء الشعب فى أول دستور من وضع الشعب ، واستفتاء مصر فى أول رئيس يحكمها من أبنائها .. وكان من أنبل الظواهر التى سيسجلها التاريخ ، ان أصدرت حكومة الثورة قانون محاكمة رئيس الجمهورية والوزراء ، قبل ان تسلم مقاليد الحكم للنظام النيابى ، لتعزز الضمانات التى تكفل للشعب الدفاع عن حقوقه عند الاقتضاء

ولقد وقفت مصر على عتبات المرحلة الجديدة من تاريخها تذكر الماضى الطويل - البعيد والقريب - السابق لثورة ٢٣ يوليه المباركة .. تذكر الطغاة الذين دفع بهم القدر الى حياتها ليبلوها ويختبر روحها .. فكم فى تاريخها من طاغية زينت له الاهواء والشهوات ان السلطان معناه الحرية المطلقة بلا قيود ..

ويسر « كتابى » - ومصر تتأهب لحياة دستورية سليمة تقيها كل طغيان - ان يقدم لك صورة لطاغية مجنون ، رسمها قلم الكاتب الفرنسى المبدع « ألبير كامى » .. طاغية عاش فى (روما) - وليس فى مصر - ولكنا نكاد نلمس بين سطور المسرحية أطياف « محمد على » و « اسماعيل » و « توفيق » و « فاروق » .. الطغاة الذين ختمنا صفحاتهم فى سجل تاريخنا .. الى الابد !

الفصل الاول

◆ **ترفع** الستار عن أشراف روما وقد اجتمعوا فى بهو قصر الامبراطور « كاليجولا » ، يسودهم قلق شديد ، وانفعال قاس، اذ اختفى الامبراطور ، واخفقت كل المحاولات فى سبيل العثور عليه . ويغلب على الامراء الظن بأن الامبراطور الفتى قد هام على وجهه حزنا على أخته التى ماتت .. فيقول أحدهم : « لقد كان يحب دروسيلا .. واذا كان قد شاركها مخدعا واحدا،فهذا أمر حدث كثيرا من قبل .. اما ان يقلب روما رأسا على عقب لانها ماتت ، فذلك شىء لايليق ! .. **ومهما يكن من شىء فان واجب الولاية لايسمح بقيام علاقة غير مشروعة تأخذ طابع المآسى .. الا فى الخفاء !** » .. وقال « سكيبيون » - أحد النبلاء -

ان بعض المزارعين رأوا الامبراطور فى الليلة السالفة يجرى فى جوف العاصفة ، وانه (أى النبيل) كان معه منذ أيام ثلاثة ٠٠ « وكنت أتبعه كما تعودت أن أفعل،وتقدم نحو جسد دروسيلا، فمسه بأصبعين ٠٠ ثم بدا كأنه يفكر منطويا على نفسه وما لبث أن خرج فى خطو متزن ! »

وقال « شيريا » - وهو نبيل آخر - ان الامبراطور كان بالغا حد الكمال ، فأجابه آخر : « **أجل ٠٠ كان كما ينبغى أن يكون: مترددا ، وتعوزه التجربة !** » ٠٠ وعاد « شيريا » يقول : « كان هذا الغلام يعشق الادب ٠٠ ان يكن المرء امبراطورا وفنانا ، فشىء لانعقله ! » ٠ فقال الشريف الذى أجابه أولا : « لننتظر ، فاذا لم يعد ، حق علينا أن نقيم غيره ٠ فالعثور على أباطرة من بيننا أمر ليس بالعسير » !

ويفد حارس ينبئهم بأن « كاليجولا » شوهد فى حديقة القصر ، فيبادر الجميع الى الخروج ٠ ولا يلبث « كاليجولا » أن يفد مستخفيا ، شاردا ، قذرا ، مبتل الشعر ، ملطخ الساقين بالوحل ٠ ويدخل « هليكون » - وهو أيضا من الاشراف - فيقف ويرقبه فى صمت ، ثم يتقدم ويحييه ، ويستدرجه الى الحديث ، فيعلم انه سار طويلا وراء مطلب عسير ٠ ويسأله هليكون : « وما هو ؟ » ، فيقول كاليجولا فى لهجة طبيعية : « القمر ! ٠٠ انه أحد الاشياء التى لا أملكها » ٠٠ ولكنه لم يستطع أن يحصل عليه ! ٠٠ وكأنما لمح من نظرات « هليكون » انه يشك فى سلامة عقله ، فيقول : « **لست مجنونا ، ولكننى لم أكن كذلك حريصا على موافقة العقل يوما ! ٠٠ كل ماهنالك اننى شعرت فجأة بحاجة الى المستحيل !٠٠ ان هذا العالم ، بحاله الراهنة ، لايحتمل ٠ ولهذا فأنا فى حاجة الى القمر ، أو الى السعادة ، أو الى الخلود ٠٠ الى شىء قد يكون جنونا ، ولكنه ليس من هذا العالم فى شىء !** »

وينهض « كاليجولا » فى هدوء وبساطة ، فيحدق فى هليكون

ويقول :
ـ أعرف مايدور بخلدك ٠٠ هناك روايات تتعلق بموت امرأة، ولكن الامر ليس كذلك ٠ هناك فى الواقع أيام أذكر فيها ان امرأة أحببتها يوما قد ماتت ، ولكن ، ماهو الحب ؟٠٠ شىء ضئيل ٠٠ وذلك الموت ليس شيئا !٠٠ إنه لايعدو أن يكون اشارة الى وجود حقيقة معينة تجعل القمر ضروريا لى ٠٠ حقيقة جد بسيطة ، وجد واضحة ٠٠ سخيفة بعض الشىء ، لكن اكتشافها عسير ٠ أما تلك الحقيقة فهى : ان البشر يموتون ، وانهم ليسوا سعداء ! »

وهنا يقول هليكون : « تلك حقيقة نتقبلها ، وننظم شئوننا وفقا لها ! » ٠٠ فيجفل كاليجولا ويقول : « اذن فكل ماحولى كذب ٠٠ اننى أريد أن يعيش القوم فى الحقيقة ٠٠ انهم محرومون من المعرفة ، وينقصهم معلم على دراية بالموضوع الذى يتكلم فيه ! » ٠٠ ويحاول « هليكون » أن يقنعه بأن ينال نصيبا من الراحة ، فيقول الامبراطور : « اذا أنا نمت ، فمن الذى يعطينى القمر ؟ »

* * *

◆ **ويخرج** الامبراطور ، فلا يلبث « سكيبيون » ان يفد مع « سيزونيا » ، وينكر « هليكون » انه رأى « كاليجولا » ، ثم يخرج ، واذ ذاك تجلس « سيزونيا » فى اعياء وتقول : « لقد رآه أحد الحراس ٠٠ ان روما كلها ترى كاليجولا فى كل مكان، فى حين ان كاليجولا لايرى غير ٠٠ مثاله ! »٠٠ ويسألها : « أهذا المثال دروسيلا ؟ » ، فتقول : « من ذا الذى يستطيع أن يقول هذا ؟٠٠ ولكنه كان فى الواقع يحبها ! » ٠٠ فيسألها متهيبا : « وأنت ؟ »
ـ اواه ! ٠٠ آنما انا الحبيبة المكتهلة !٠٠ (وبينما يتحدث الرجل عن مناقب كاليجولا وحكمته ، تقف المرأة أمام المرآة

تتأمل صورتها ، ثم تقول) **لم يكن لى قط من اله سوى جسدى .. وهذا هو الاله الذى أتوسل اليه اليوم ، ليعود كاليجولا الى !**

ويفد « كاليجولا » اذ ذاك ، فما ان يراهما ، حتى يهم بالخروج ، ولكن الاشراف يقبلون من الناحية الاخرى ومعهم رئيس الديوان ، الذى يعرب للامبراطور عن قلق الجميع لغيابه ، فيقول : « وما الداعى ؟ » ..ويرتبك رئيس الديوان ، ثم يلهمه خاطره أن يقول : « هناك من شئون الخزانه العامة مايجب ان تراه » .. فيلتفت « كاليجولا » الى « سيزونيا » قائلا :

ـ أليست الخزانة شيئا بالغ الخطر ياعزيزتى ؟.. ان لها فائدة واقتدارا .. ولكل شىء خطره : مال الدولة ، والاخلاق العامة ، والسياسة الخارجية ، وامداد الجيش ، وقانون الاراضى !.. كلها أمور أساسية . اننى مطالب بأن أهتم بكل شىء ، سواء فى ذلك عظمة روما ، والتهاب مفاصلك !.. ألا اسمع يارئيس الديوان .. سنحدث انقلابا فى الاقتصاد السياسى ، على مرحلتين

ويصرف الاشراف ، فلا يستبقى سوى « سيزونيا » و « سكيبيون » ورئيس الديوان ، ثم يمضى فى شرح انقلابه : **ان على الاشراف جميعا أن يحرموا أولادهم من ثرواتهم ويوصوا بها للدولة ، فى الحال .. وكلما دعت الحاجة ، سيق هؤلاء الاشراف الى الموت ، بترتيب ورود اسمائهم فى قائمة خاصة .. وهو ترتيب يمكن تبديله وفقا للمناسبات !..** واذ يحاول رئيس الديوان أن يعترض ، يصيح « كاليجولا » :

ـ ستنفذ هذه الاوامر دون تأخير .. لا قيمة للحياة الانسانيه اذا كانت الخزانة هى المهمة !.. ان المال هو كل شىء !.. لقد قررت أن أكون منطقيا . وما دمت أملك السلطان ، فسترون ماذا يكبدكم المنطق من عواقب . سأقضى على كل معترض ..

وسأبدأ بك اذا استلزم الامر !

واذ يخلو « كاليجولا » الى « سكيبيون » و « سيزونيا » تقول له هذه : « آكاد أنكرك !٠٠ ان هـــذه دعابة منك ٠ ٠ أليس كذلك ؟ » فيقول :

– ليس تماما ياسيزونيا ٠ انما هذا شيء من فن التربية٠٠ أن نجعل ممكنا ، ما ليس كذلك !

سكيبيون : ولكن هذا عبث لايقف عند حد ٠ ٠ انهـــا تسلية مجنون !

كاليجولا : بل هى فضيلة امبراطور ! ٠٠ آه !٠٠ **ها أنذا ، أخيرا ، أعرف فائدة السلطان ، فهو يهيىء الطريق للمستحيل ٠٠ لن تكون لحريتى حدود فى يومى هـــذا ، وفى كل يوم مقبل !**

ويقبل « شيريا » ، فيبـــادره الامبراطور بأنه لا يريد أن يراه ، لانه لم يعد يحب الادباء ، أو يحتمل الكذب !٠٠ ويحاول « شيريا » أن يدافع ، فيقول « كاليجولا » :

– خل عنك دفاعك ، فالقضيه واضحة : لاقيمة لهذا العالم٠ ومن يعرف حقيقته ، ينل حريته !٠٠ اننى أمقتكم جميعا لانكم لستم أحرارا !٠٠ ما من حر فى الدولة الرومانية ، سواى ٠٠ فابتهجوا ، اذ جاءكم أخيرا حاكم يرشـــدكم الى الحرية !٠٠ (لشيريا وسكيبيون) آذهبا ، فاعلنا روما ان حريتها قد ردت اليها ، وان مع الحرية تبدأ محنة عظيمة !

★ ★ ★

◆ **وما** ان يخرج الرجلان ، حتى تبكى « سيزونيا » وهى تقول ان موت « دروسيلا » قد بدله ، فيهتف بها : « أيتهـــا الحمقاء !٠٠ ألا يمكن آن تتصورى رجلا يبكى لسبب آخر غير الحب ؟٠٠ انما يبكى الرجال لان الامور ليست كما ينبغى أن تكون ! »

سيزونيا : فى مثل سنى ، يعرف الانسان ان الحياة ليست طيبه . **ولكن ، اذا كان الشر موجودا على الارض ، فلماذا نضيف اليه شرا جديدا ؟!**

كاليجولا : اننى أحس بكائنات لا أعرف لها أسماء تضطرب فى داخلى ، فماذا املك حيالها ؟ .. كنت أعرف أن الانسان عرضة لليأس ، ولكننى كنت أجهل ماتعنى هذه الكلمة .. كنت أعتقد ـ كغيرى ـ ان هذا مرض يصيب النفس ، ولكن .. لا ، ان الجسد هو الذى يتألم .. جلدى يؤلمنى ، وصدرى .. وأطرافى .. رأسى أجوف ، وانى لاشعر بالغثيان .. وأشد ما يضايقنى هو هذا المذاق فى فمى .. انه ليس مذاق الدم ، ولا الموت ، ولا الحمى .. وانما هو كل هذه مجتمعة !.. **لكم هو قاس ، مرير ، ان يصبح المرء رجلا !.. ماذا يجدينى العزم ، أو ينفعنى السلطان ، اذا لم يكن بوسعى أن أغير من طبيعة الاشياء .. أن أجعل الشمس تغرب فى الشرق ، والالم يتناقص ، والاحياء بمنجاة من الموت !!**

سيزونيا : ولكن هذا طموح الى مراتب الآلهة .. وما أعرف أشد من هذا جنونا !

كاليجولا : أنت أيضا تعتقدين اننى مجنون !.. ان ما أريده اليوم ، بكل قواى ، لشىء يسمو على الآلهة .. اننى أتولى شئون مملكة ، صار فيها المستحيل ملكا !.. **أريد أن أمزج السماء بالبحر ، والجمال بالقبح ، وان أطلق الضحك من أعماق الالم !.. وعندما يتحقق المستحيل على الارض ، ويستقر القمر بين يدى ، فلعلنى أتبدل والعالم معى ، واذ ذاك يخلد البشر ـ أخيرا ـ ويسعدون !**

وتقول له : « انك لن تملك ان تنكر الحب » .. فيهزها ، ممسكا بكتفيها ، ويقول : « الحب ياسيزونيا ؟.. لقد عرفت انه لم يكن شيئا ، وان صاحب الحق فى كل تقدير هو الخزانة العامة!.. آه ، الآن أوشك أن أحيا ، فى آخر الامر !..

أحيا ، ياسيزونيا ٠٠ أحيا ، وهذا نقيض الحب ٠٠ أنا الذى أقول لك هذا ، وأنا الذى أدعوك الى احتفال ٠٠ الى محاكمـة عامة ٠٠ الى أجمل المشاهد ! » ٠٠ ويروح يدق الطبل ، طالبا المذنبين ، ومن قضى عليهم بالموت ، والجمهور ٠٠ « أريد جمهورا شعبى ، قضاة ، وشهودا ، ومتهمين ٠٠ كلهم قد حكم عليهم مقدما ! ٠٠ أواه ياسيزونيا ، سأريهم ما لم يروا قط ٠٠ سأريهم الانسان الحر الوحيـــد فى الدولة ! ٠٠ وانت ياسيزونيا ، اقسمى ان تساعدينى ٠٠ ستكونين قاسية ، باردة ، شديدة الغضب ٠٠ وستألمين أيضا ! » ٠٠ فتقول : « أجل ياكاليجولا ٠٠ ولكننى سأصبح مجنونة ! »

ويفد الاشراف ورجال القصر مذهولين ، فيدعوهم للاقتراب ، ويأخذ بيد « سيزونيا » فيقودها الى المرآة ٠ وبضربة مجنونة ، يمحو صورته بالمقرعة عن السطح المصقول وهو يضحك قائلا : « ها أنت ذى ترين ان لم يعد هناك شيء ٠٠ لم تعد هنـــاك ذكريات ٠٠ هل تعرفين ما الذى بقى ؟ » ٠٠ ويتخذ مظهرا جنونيا ، فتهتف مذعورة : « كاليجولا ! » ٠٠ فيضع أصبعه على المرآة ، وتجمد حـــدقتاه فجأة ، ويهتف فى انتصـــار : « كاليجولا ! »

الفصل الثانى

◆ **ويجتمع** الاشراف ــ بعد سنوات ثلاث ــ لدى « شيريا » يتبادلون الشكوى مما يتعمده الامبراطور من تحقيرهم والتعسف فى معاملتهم ٠ ويقول أحدهم : «لقد اغتصب عقارك ياباتريكيوس ، وقتل أباك ياسكيبيون ، وسلبك امرأتك يا أوكتافيوس ، وقتل ولدك ياليبيدوس ٠٠ أتحتملون هذا ؟ ٠٠ أما أنا ، فقد اخترت طريقى » ٠٠ فيقول سكيبيون : « وبقتله أبى ، اختار بنفسه طريقى ! »

وتشتد حمية القوم وثورتهم ، ويهمون بأن ينطلقوا ليقتحموا

القصر ليفتكوا بالامبراطور « النذل ، السفيه ٠٠ وأكثر الطغاة جنونا ! » ٠٠ ولكن « شيريا » يقول لهم : « لا ٠٠ انه ليس كامل الجنون ، وما يزعجنى منه سوى انه يعرف ما ينبغى !٠٠ انه يضع سلطانه فى خدمه شهوة جد عارمة ، و جد فتاكة ٠٠ انه يهددنا فى أعمق سرائرنا ٠ ولا شك فى ان هـذه ليست أول مرة يتاح فيها لرجل من بيننا سلطان غير محدود ، ولكنها أول مرة يستغل فيها السلطان عـلى نطاق لا حـد له ٠٠ انه ينكر الانسان والعالم ، وهذا ما يملؤنى رعبا ٠٠ وهذا ما أريد مقاومته !٠٠ ان نرى احســاسنا بالحياة يضـمحل ، وغاية وجودنا تختفى ، فهذا ما لا أحتمله ! »

ويهتف أحد الاشراف : « الثأر ذاته غاية ! »

شيريا : وانى مشاطركم اياه ، ولكن هذا لن يكون لدفـع مايحيق بكم من آهانات تافهه ، وانمـــا هو كفاح ضـد فكرة كبرى ، فى انتصارها نهاية للعالم !٠٠ اننى لا أقبل ان يعمل كاليجولا على تحقيق أحلامه ٠٠ فهو يحول فلسفته الى جثث٠٠ وهى ـلتعاستناـ فلسفة بغيرموضوع !٠٠ ينبغى ان نعمل!٠٠ ولكنكم لن تحطموا هذا الظالم عندما تواجهونه وهو فىعنفوان بأسه ٠٠ بل لابد من التذرع بالحيلة أمام ارادة الشر المطلقة ٠ يجب ان نذكى فيه هذه الارادة ، ونتربص حتى يصبح منطقه ذاك جنونا !٠٠ ولكننى لن أظل معكم الا الى أجل ، فما أريد سوى أن أجد السـلام من جـديد ، فى عالم قد عاد ملتئم الشمل ٠ ليس الذى يدفعنى الى آلعمل هو الطموح ، ولكنـه الخوف ٠٠ الخوف من ذلك الخيال الجامح ، المستبد ، الذى لايقيم لحياتى وزنا !٠٠ **أجل ، لنترك لكاليجولا الحبل عـلى الغارب ، بل لندفعه فى هذا الطريق ، حتى نجعل من جنونه حقيقة ملموسة ، ولن يلبث ان يحين يوم يصبح فيه وحيـدا تجاه دولة مليئة بالموتى وأبناء الموتى !**

* * *

• **ويكف** القوم عن الكلام ، اذ يدخل « كاليجولا » و « سيزونيا » ، يتبعهما « هليكون » ونفر من الجنود . ويطيل الامبراطور التفرس فى المتآمرين ، ثم يخرج . فتقول « سيزونيا » باسمة : « لعلكم تتضاربون ؟.. بحسن ان تعيدوا تنظيم المكان ، فان كاليجولا يبغض الفوضى » !..
ويقول هليكون : « سينتهى بكم الامر الى ان تخرجوا الرجل عن طوره .. لقد تآمرتم قليلا بالطبع .. انه يعرف ماتصنعون، ولكننى أحدس انّ هذا يشجعه بعض الشىء .. نتعاون على اعادة النظام ! »

ولا يلبث أن يعود « كاليجولا » ، فيقول : « ان عملا ينتظرنى أيها السادة ، لكننى قررت ان آخذ قسطا من الراحة أولا ، عندك ياشيريا ، وأمرت باحضار الطعام .. وقد سمحت لنفسى بدعوة امرأتك ياموكيوس .. أما روفيوس ، فمن حظه أن أحسست بجوع ملح .. انه الفارس الذى ينبغى موته .. ألا تسألوننى لماذا ينبغى موته ؟.. (وتعد المائدة فى تلك الاثناء ، فيقبل على الاكل) .. **ستدركون فى النهاية ان ليس من الضرورى ان يقترف المرء شيئا لكى يستحق الموت !** »

ويضطر الآخرون الى أن يتناولوا الطعام معه ، وهو غير مكترث لآداب المائدة ، ولا لقواعد الذوق . ولا يلبث ان يلتفت الى « ليبيدوس » قائلا : « انك تبدو منحرف المزاج ، فهل يكون هذا لاننى قتلت ولدك ؟ »

ويبادر الشريف الى انكار هذا ، فيقول الامبراطور : « آه !.. لكم أود أن يكذب الوجه شجون القلب .. فليس هناك من هو أعز الى نفسى منك .. لنضحك معا .. اسمع الآن (حالما) كان هناك امبراطور مسكين لايحظى بحب أحد ، فى حين انه كان يحب ليبيدوس ، فقتل ولده ليتلاشى هذا الحب !.. شىء مضحك .. ألا يضحك أحد ؟.. (فى غضب محتدم) أريد ان

يضحك الجميع ، وانت يا ليبيدوس ! » ٠٠ وينهض الجميع ، وهم يتحركون كالدمى ، بينما يتمرغ « كاليجولا » فى مقعده من شدة الضحك ، ثم يقول لموكيوس : « حدثنا عن امرأتك ! » ٠٠ وتبدو الحيرة على أسارير الرجل ، بينما يربت الامبراطور كتف امرأة موكيوس وهو شارد البال ، ثم يقول : « **لقد كنتم تتآمرون على ، عندما أقبلت ٠٠ اه ؟٠٠ لا أهميه لهذا ، فأنتم عاجزون عن القيام بعمل يحتاج الى شجاعة ٠٠ انما خطر لى ان هناك من شئون الدولة مايحتاج الى أن ننظر فيه ٠ ولكن . لنعرف أولا كيف نستجيب للرغبات الملحة التى تخلقها فينا الطبيعة ! »** ٠٠ ويجذب زوجة موكيوس الى مكان مجاور !

* * *

◆ **ويسود** القاعة صمت واجم ٠ ويقدم « موكيوس » خمرا الى « سيزونيا » وهو مغلوب على أمره ، بينما يشرع الآخرون فى تملق « كاليجولا » لديها ، فيقترح بعضهم ان يسجل آراءه ٠ وتجيب سيزونيا قائلة : « ستذهلون اذا ما عرفتم انه فكر فى هذا ، وانه يكتب الآن بحثا عظيما ! » ٠٠ ولا يلبث ان يعود كاليجولا ، فيقول لموكيوس : « ها أنا ذا أعيد اليك زوجتك ! » ٠٠ ثم يخرج ، بينما يقف موكيوس شاحب الوجه ، وقد علق بصره بالباب الذى اختفى كاليجولا خلاله ٠ ولكن هذا سرعان ما يعود ، فيعلن آنه آمر باغلاق مخازن الغلال ، لتسود المجاعة فى اليوم التالى ٠ ويهم رئيس الديوان بالاعتراض ، ولكن الامبراطور يصيح : « أقول انه ستكون ثمة مجاعة غدا ٠٠ العالم كله يعرف المجاعة ٠٠ انها محنة ٠٠ **وسأضع للمحنة حدا ، عندما يروق لى ٠٠ ومع ذلك ، فما أقل ما أجد من وسائل للدلالة على حريتى ٠٠ ان المرء يحقق حريته على حساب غيره ، وهذا شىء بغيض ، ولكنه طبيعى ومألوف٠٠ لنأكل يا سادة ! »**

ثم يعلن اليهم انه يعد بحثا فى « الاعدام » اعتزم ان يناقشه معهم ، ويطلب الى « هليكون » قراءة الفقرة الاولى من القسم الثالث منه ، فيتلو الرجل : « **ان الاعدام يريح وينقذ ٠٠ انه اجراء شامل يكفل القوة ، ويوافق العدل تطبيقا ومقصدا ٠٠ فالمرء يســاق الى الموت لانه مذنب ، وهو مذنب لانه تابع لكاليجولا ، ومادام الناس كلهم أتباعا لكاليجولا ، فهم ـ والحال هذه ـ مذنبون جميعا ، وبالتالى فقد حق عليهم الموت ٠ هــذه مسألة وقت وصبر !** »

ويستبقى « كاليجولا » بعض الاشراف ، ليبحث معهم أمرا كان يشغل باله ٠٠ فان تنظيم المتجر الذى أنشـأه لحسابه غدا مبعث هم كبير له ٠٠ فتقترح « سيزونيا » فى النهاية ان ينشىء وساما جديدا ، يمنح لاكثر المواطنين ترددا على متجر كاليجولا ، على أن يمنح فى كل شــهر مرة ، ومن لايفــوز بالوسام مرة ـ على الاقل ـ خلال اثنى عشر شهرا ، ينفى أو يعدم !٠٠ وفجأة ، يفيق كاليجولا المخمور ، فينظر الى أحــد الاشراف

كاليجولا : ماذا تشرب يامريبيا ؟

مريبيا : انه دواء للربو يامولاى ٠٠

كاليجولا : بل هو ترياق للسم !٠٠ انك تخشى ان أدس لك الســم ٠٠ آنك تتهمنى وتسىء الظن بى ٠ ٠ ترتاب فى ، وتتوجس منى ٠٠ اذا كنت تتعاطى ترياقا ، فأنت ترى عندى نيه تسميمك !

وعبثا يحاول الرجل ان ينفى عن نفسه هذا الاتهام ،فيقول الامبراطور : « منذ اللحظة التى اعتقدت فيهــا اننى قررت تسميمك ، أصبحت تناهض آرادتى ٠٠ وهذا يجر الى احدى جريمتين : آما اننى لم أكن أنتوى قتلك ، فأنت تتجنى على ، أنا امبراطورك ٠٠ وآما اننى كنت أعتزم هذا ، وانت ـ أيتهــا الحشرة ! ـ تعترض مشروعاتى !٠٠ وثمة جريمة ثالثة ، هى



انك تعتبرني أبله ! » ٠٠ويدفع اليه بزجاجة السم ويأمره بأن يشرب مافيها ٠ واذ يأبى الرجل ويعارض ، يطرحه الامبراطور على مقعد منخفض ، وبعدصراع يدس القنينة بين أسنان « ميرييا » ويهشمها بقبضة يده ٠ وبعد اختلاجات ، يموت « ميرييا » ووجهه ينضح ماء ودما !

ويدفع « كاليجولا » بزجاجة « ميرييا » الى « سيزونيا » متسائلا : « أهذا ترياق ؟ » ٠٠ فتجيب : « كلا ٠٠ بل هو دواء للربو » !٠٠ وينظر كاليجولا الى جثة ميرييا قائلا : « لا بأس ، فالنهاية واحدة ، سواء تقدمت قليلا ، أو تأخرت قليلا ! » ٠٠ ويخرج كاليجولا ٠ واذ ذاك يجتمع شمل المتآمرين ، فتسأل « سيزونيا » الشاب « سكيبيون » وهى تحدق فى عينيه : « أتريد ان تقتله ؟ »

سكيبيون : أجل ٠٠ أن أقتله أو أقتل أنا

سيزونيا : لن أغدر بك ، ولكنى أريد ان أخاطب خير مافيك

سكيبيون : خير ما فى هو حقدى !

سيزونيا : فكر أولا فى وجه أبيك المشوه ، وقد انتزعوا منه اللسان ٠٠ فكر فى ذلك الفم الملىء بالدم ، وفى صرخة الحيوان المعذب التى انطلقت منه ٠٠ ثم فكر فى كاليجولا ٠٠ حاول ان تفهمه !

* * *

• **ويلتقى** « كاليجولا » والشاب ٠٠ فيتساءل الاول عن

آخر أشعار الثانى ، ويجيب « سكيبيون » بأنهـــا كانت عن الطبيعة ، ثم يقول فى لهجة ساخرة : « انها تعزينى عن اننى لست قيصرا ٠٠ إنها ابرأت عندى جراحا بالغة الخطورة ! »

كاليجولا : جراحا ؟٠٠ تقولها متخابثـــا !٠، أذلك لاننى قتلت أباك ؟٠٠ آه ، لو عرفت مدى صدق هـــذه الكلمـــة : جراحا !٠٠ ليس هنـــالك مايجعل النـــاس اذكياء ، قـدر البغضاء !

ويحاول « كاليجولا » ان يحمل الشاب عـــلى أن يروى له قصيدته ، فيزعم « سكيبيون » انه نسيها ٠٠ ويقول أخيرا : « لقد تكلمت عن توافق ما ٠٠ »

كاليجولا : بين الارض والقدم التى تطأها ؟

سكيبيون : أجل ، وسلسلة التلال الرومانية أيضـــا !٠٠ وذلك السكون العابر ، المثير ، الذى يسبق المساء

كاليجولا : وفرقعات السياط فى جو الحقول ؟

سكيبيون : أجل ، وتلك اللحظة الجليلة التى تنقلب السماء الذهبية فيها فجأة ، فتريناوجهها الحافل بالنجوم الساطعة٠٠ ولكن ، كيف عرفت هذا ؟

كاليجولا (يضمه قائلا) : ربما كنا نحب عين الحقائق !

سكيبيون (يخفى رأسه مقشعرا فى صـــدر كاليجولا) : أواه ٠٠ ماذا يهم ، وكل شىء يتخذ فى نفسى صور الحب ؟!

كاليجولا : هذه فضيلة القلوب الكبيرة ٠٠ ليتنى أستطيع ـ عـــلى الاقل ـ ان أستشف نفسك !٠٠ ولكننى أعرف قوة حبى للحياة ٠٠ انه حب لايكتفى بالطبيعه ٠٠ لن تستطيع ان تفهم هذا ، لانك من عالم آخر ٠ انك نقى فى الخير ، وأنا ٠٠ نقى فى الشر !٠٠ ان شعرك ولابد جميل ، ولكن ، ينقصـــه الدم

ويتراجع الشاب مذعورا ، محملقا فى كاليجولا فى ذعر ،

ثم يقـول : « **أى قلب نتن ، دام !٠٠ أى شر وأى حقـد يعذبانك !٠٠ لكم أرثى لك ٠٠ ولكم أبغضك !** » ٠٠ ويحاول كاليجولا ان يحمله على السكوت ، ولكنه يمضى قائلا : « وأية عزلة مدنسة ٠٠ عزلتك ! » ٠٠ فينطرح عليه كاليجولا ويمسك به من طوقه ، ويهزه قائلا :

ـ العزلة ؟!٠٠ أتعرفها أنت ؟ انما هى للشعراء والعاجزين ٠٠ انت لاتعرف الا نوعا واحدا منها ، هيهات ان يجده المرء ٠ ان أثقال المستقبل ، والماضى معا ، ترافقنا !٠٠ الذين قتلناهم يعيشون معنـا ، وهؤلاء أمرهم يسـير ٠ أما أولئك الذين أحببناهم ، والذين لم نحبهم ولكنهم أحبونا ٠٠ والشجى ، والرغبة ، والمرارة ، والحلاوة ، والغوانى ، والآلهة ٠٠ **آه لو اننى أستطيع ان أتذوق ـ على الاقل ـ الحقيقة ، والصمت ، واهتزاز الشجر ، بدلا من هذه العزلة المريرة ، الحافلة ، التى تضمنى وحدى !٠٠ انها غاصة بصريف الاسنان ، واصداء الضجيج والصيحات المكروبة ٠٠ بالقرب من النساء اللواتى أغازلهن ، وقد أطبق الليل علينا أسـتاره ، وبدا لى ـ وأنا أتخلص من جسدى الذى نال أخـيرا كفايته ـ اننى أمسك ببعض نفسى بين الحيـاة والموت ٠٠ اذ ذاك ، تمتلىء عزلتى برائحة اللذة الكريهة ، عند ابطى المرأة ، التى تتهاوى بدورها الى جانبى !**

ويبدو منهكا ، فيتردد سكيبيون ، ثم يتقـدم من خلفه ، فيضع يدا على كتفه ويقول : « لكل انسان فى حياته سلوى تكون بمثابة الواحة الوارفة ، يستظل بهـا كلما قسا عليه الهجير ٠٠ أليس فى حياتك اذن مايشبه هذا ؟ »

كاليجولا : انه موجود ٠٠ (فى بطء) انه ٠٠ الاحتقار !

الفصل الثالث

• **وترتفع** الستار فى الفصل الثالث عمـا يشبه العرض

المسرحى ٠٠ دفوف تدق ، و « هليكون » ينادى فى الناس ٠٠ ان الآلهة عادت الى النزول على الارض ، اذ أعارها « كايوس ، القيصر والاله الملقب بكاليجولا » ، صورته البشرية !٠٠وتدعو « سيزونيا » الناس الى ان يقبلوا فيدفعوا دراهمهم ليتعبدوا٠٠ « فان الاسرار العلوية أصبحت اليوم فى متناول الفقير والغنى !» ٠٠ ثم تجذب الستار ، فيبدو « كاليجولا » فى زى « فينوس » وقد وقف على قاعدة تمثال ٠٠ وتصيح « سيزونيا » : « الآن تبدأ العبادة ٠٠ خروا سجدا »

ويسجد الاشراف جميعا ، ماعدا « سكيبيون » ، ويرددون وراءها صلاة « كاليجولا ـ فينوس » ٠٠ صـــلاة مخبولة ، يدعون فيها « فينوس » قائلين : « علمينا التغاضى الذى يجدد الحب ٠٠ ارشدينا الى حقيقة هذا العالم٠٠ الحقيقة التى لانعلم منها شيئا !٠٠ املئينا من عطاياك ، وانشرى عـــلى وجوهنا قسوتك الشاملة ، وبغضك الذى يتغلغل فى ذات الاشياء !٠٠ **ابسطى فوق عيوننا يديك المملوءتين زهرا وموتا ٠٠ اسكرينا من خمر مساواتك ، واشبعينا على الدوام ، من قلبك الاسود الذى له طعم الملح ! »**

وعندما يفرغون من الصـــلاة ، يهتف كاليجولا : « أحسنتم يا أبنائى ٠٠ ستجاب دعواتكم ! » ٠٠ ويضـــعون دراهمهم ثم ينصرفون ، فيقول كاليجولا : « لو لم يكن للآلهة من ثروة سوى حب الفانين ، لاصبحوا فقراء مثل كاليجولا المسكين ٠٠ أذيعوا فى المدينه أنباء المعجزة الرائعه ٠٠ لقد رأيتم فينوس بأعينكم ٠٠ ولقد تحدثت اليكم فينوس ! »

ويقف « سكيبيون » أمام « كاليجولا » ، والى جواره هليكون وسيزونيا

سكيبيون : لقد كفرت ياكايوس ، اذ تدنس السماء ، بعد أن أدميت الارض !

سيزونيا : ألا اعلم ان فى روما أناسا يساقون الى الموت فى هذه اللحظة ، من جراء أحاديث أقل بيانا من حديثك !

كاليجولا : أتؤمن بالآلهة اذن ياسكيبيون ؟

سكيبيون : كلا .. ولكنى أستطيع ان أنكر لشىء دون ان أضطر الى تدنيسه ، أو انتزاع الايمان به من الآخرين !

كاليجولا : ان جل مايؤخذ على اليوم ، هو اننى أحرزت تقدما يسيرا فى طريق السلطان والحرية !.. ان فى منافسة الآلهة - عند رجل يحب السلطان - شيئا مثيرا ، ولكنى وضعت حدا لهذا ، اذ برهنت لتلك الآلهة المضللة على أن الانسان يستطيع ، اذا شاء ، أن يمارس - وبغير تدريب ! - حرفتهم المضحكة .. لقد أدركت فى يسر ان ليس ثمة الا طريقة واحدة للمساواة بالآلهة .. يكفى ان يكون المرء مثلها قاسيا !

سكيبيون : يكفى ان يجعل من نفسه طاغية !

كاليجولا : وما عسى ان يكون الطاغية ؟

سكيبيون : نفس عمياء !

كاليجولا : بل رجل يضحى شعوبا فى سبيل مثله العليا. وأنا رجل لا مثل لديه ، فليس مايدعونى الى الجد فى طلب المجد والسلطان .. واذا كنت أمارس هذا السلطان ، فعلى سبيل التعويض .. التعويض عن بلادة الآلهة وبغضائها !

ويقول « سكيبيون » ان لا سبيل للتعويض الا بالفقر ، وبالكف عن القضاء على من حوله من الرجال ، فيقول « كاليجولا » انه تحاشى ثلاث حروب ، لانه .. يحترم الحياة الانسانية !..

« **أو على الاقل ، أحترمها أكثر مما أحترم فكرة مثالية عن الغزو .. ولكن من الصحيح كذلك اننى لا أحترمها أكثر مما أحترم حياتى الخاصة .. واذا كان يسيرا على ان أقتل ، فما هو بالعسير على ان أموت .. اننى كثيرا ما أفكر فى هذا ، فأقتنع باننى لست طاغية !** » .. ويمضى « كاليجولا » فى

الحديث عن « شطحات » خياله ، قائلا : « ان القدر عسير على الفهم ، وهذا هو السبب فى اننى جعلت من نفسى قدرا ! » .. واذ يجيبه « سكيبيون » بأن هذا هو التجديف بعينه ، يقول كاليجولا : « كلا .. هذا هو الفن الدرامى ! .. ان خطأ أولئك الناس جميعا ، هو عدم الايمان الكافى بالمسرح ، ولولا ذلك لعرفوا ان من المباح لكل انسان ان يمثل الفواجع السماوية ، وان يصبح الها » !

سكيبيون : لابد انك قــد فعلت اذن مايلزم لكى تنهض حولك ـ يوما ما ـ طوائف من الآلهة البشرية ، التى لاينطفىء لها هى الاخرى ضرام ، فتغرق فى الدم ألوهيتك آلموقوتة !

★ ★ ★

◆ **وما** أن ينصرف « سكيبيون » حتى يأخذ « كاليجولا » فى الالحاح على هليكون بأن يأتيه بـ .. القمر ! فيقول هليكون : « لنوقف هذه اللعبة ياكايوس ! » ، وينبئه بأن القوم يتآمرون عليه . ولكن الامبراطور يمضى فى هذيانه الجنونى ، فيترك له هليكون وثيقة اختلسها ، تتضمن سر المؤامرة ، ثم ينصرف . ولكن « كاليجولا » لايخلو الى نفسه ، اذ لايلبث أن يأتيــه الشريف الشيخ ، الذى كان من المتحمسين للتخلص منه ، كى يشى له بأن القوم يريدون قتله !

كاليجولا : أتعرف لماذا لا أستطيع أن أصدقك ؟ .. لو كان ماتقوله حقا ، فقد وجب على أن أحدس انك تخون أصدقاءك .. اننى كرهت الجبن ، حتى لم أعد أستطيع أن أمتنع عن قتل أى خائن !

ويحاول الرجل أن يؤكد له انه ليس خائنا ، وانه فى الوقت ذاته يحبه ، فيقول كاليجولا : « انك لست رعديدا . . أليس كذلك ؟ .. ولا أنت بخائن .. فالنتيجــة اذن ، ان لامــؤامرة هناك ! » .. ويطرده ليفرغ الى الوثيقة التي تركها هليكون ،

ثم يطلب استدعاء « شيريا » . وما أن يخلو الى نفسه ، حتى يتأمل صورته فى المرآة قائلا : « لقد قررت أن تكون منطقيا أيها الابله ، فحسبك أن ترى الى أين يقودك هذا ؟.. لو انهم جاءوك بالقمر ، لتغير كل شىء .. لاصبح المستحيل ممكنا .. **(يتلفت حوله) الناس يتناقصون حولى .. فيض من الموتى .. حتى لو أنهم حملوا القمر الى ، فلن يكون بوسعى أن أعود الى الوراء .. ولو عاد الموتى فتحركوا من جديد تحت أشعة الشمس ، فان عدد من يموتون من الناس لن يقل عن عدد من سيعودون منهم الى الحياة! ..(فى غضب) المنطق، ياكاليجولا !.. يجب اتباع المنطق ! .. لن نعود الى الوراء ! »**

* * *

◆ **ويأتى** « شيريا » فلا يحسن استقباله ، ولكنه لايلبث أن يدعوه الى حديث ودى ، ويسأله عما اذا كان يعتقد أن بوسع رجلين ـ اوتيا نوعا واحدا من الروح والكبرياء ـ أن يتجردا من كل رياء وغرض وكذب ، فيتكلما من صميم القلب ؟.. ثم يسأله : « لماذا لاتحبنى ؟ »

شيريا : لانه ما من شىء يستحب فيك .. ولان الانسان لايستطيع أن يحب فى غيره مايحاول أن يخفيه فى نفسه !

كاليجولا : ولماذا تكرهنى ؟

شيريا : تخطىء !..فلست أكرهك مادمت لاأراك سعيدا .. ولا أستطيع أن أحتقرك مادمت أعرف انك لست رعديدا !

كاليجولا : فلماذا تريد أن تقتلنى ، اذن ؟

شيريا : لانى أراك مؤذيا ، وأنا أميل بطبعى الى الامان . وأكثر الناس مثلى .. **فهم يعجزون عن العيش فى عالم يتاح فيه لاكثر الافكار شذوذا أن تدخل فى الحقيقة دخول الخنجر فى القلب !**

كاليجولا : ولكن الامان والمنطق لايتفقان . انك ذكى ،

والذكاء اما ان يدفع غاليا ، واما ان ينكـر ذاته • فمـا بالك لاتنكرها ، ولا تدفع الثمن ؟

شيريا : لاننى أريد أن أعيش ، وان أكون سعيدا ، وعندى ان الانسان لايستطيع أن يكون هذا ، ولا أن يكون ذاك ، وهـو يضع المستحيل نصب عينيه • اننى - لكى أستشعر الحرية - أتمنى أحيانا الموت لمن أحب ، وأشتهى من النساء من تحرم على قوانين الاسرة أو التزامات الصداقة اشتهاءهن ، فلـكى أكون منطقيـا ، يجب على أن أقتل ، أو أن امتلك ما أشتهى • ولكنى أعتبر هذه سوانح ليست بذات خطر ، الا ان يجعل الناس همهم الى تحقيقها ، واذ ذاك لانستطيع أن نعيش ، ولا أن نكـون سعداء • أنا لا أكرهك ، ولكنك مصدر للشقـاء ، فيجب أن تختفى !

كاليجولا : ولماذا تعلن ذلك لى وتخاطر بحياتك ؟

شيريا : لان هناك آخرين سيـأخذون مكانى اذا سـقطت ، ولانى لا أحب أن أكذب !

ويعرض عليه كاليجولا الوثيقة ، فيقول « شيريا » انه كان عالما بأنها فى حوزته ، ويقول : « ما أخالك تحتاج الى براهين لكى تسوق انسانا الى الموت ! »

كاليجولا : هذا حق ، ولكننى أريد - لمرة واحدة - أن أناقض نفسى •• اذ يحسن بالمرء أن يناقض نفسه بين آن وآخر ، ففى هذا راحة من العناء ! •• ها هو ذا البرهان فى يدى ، وأريد أن أعتقد أن ليس بوسعى أن أدفعك الى الموت بغيره ، ففى هـذا راحتى !

ويحرق الوثيقـة وهـو يقول : « ألا فلتمجد قدرتى •• ان الآلهة أنفسهم يتقبلون التوبة دون عقاب يسبقهـا ! •• أما امبراطورك فلم يحتج الا الى لهب ليبرئك ، ويشـجيك ! •• استـمر ياشـيريا ، واتبع الى النهـاية منطقك الرائع •• ان

امبراطورك ينتظر راحته ، وهذه طريقته التى يعيش ويسعد بهـا !

الفصل الرابع

◆ **وترتفع** الستار عن « شيريا » و « سكيبيون » . ويقول الاول : « ليس من عادتى أن أطلب العون ، ولكننى فى الواقع محتـاج اليك ، اذ لابد لهـذا الاغتيـال من شركـاء جديرين بالاحترام ، فلا يوجد ـ بين الزهو الباطل ، والمخاوف الدنيئة ـ غيرك وغيرى ، من يصدرون عن دوافع غير مشوبة ! .. اننى أعلم انك لن تخوننا اذا تخليت عنا ، ولكن الذى أتمناه هو أن تظل معنا »

ويقسم « سكيبيون » ان هـذا ليس فى مقدوره .. فيسأله شيريا : « أأنت معه اذن ؟ »

سكيبيون : كلا ، ولكنى لا أستطيع أن أكون ضده . . ان شيئا فى أعماقى يشبهه .. ان لهيبا واحدا يكوى قلبينا . . اننى أكابد عين مايكابده .. ان شقائى ينبع كله من افهم !

شيريا : ألا فاعلم ان كراهيتى له تزداد أيضـا من جـراء ما أصابك من تحول على يديه .. لقد ألقى بك فى هوة اليأس . . وان يدفع الى اليأس روحا شابة ، لجريمة تفوق كل ما ارتكب من جرائم حتى الآن !

وينصرف «سكيبيون» ، فيدخل حارسان يقـودان الشريف الشيخ ، وشريفا آخر ، وعلى أسـارير المقبوض عليهمـا آيات الارتياع الشديد . ويخرج الحارسان ، فيعرف « شيريا » من الشريفين أن كاليجولا قد اكتشف المؤامرة . ولكنه ينصحهما بأن لايظهرا الخوف ، لان كاليجولا يحب الشجاعة .. ويقول : « أتعرفان الكلمة المفضلة لديه .. انه بعد تنفيذ الاعدام فى أحد يقول فى جد : « ان أكثر مايعجبنى هو الجمود الحسى ! » .. ان هذا الرجل يتمتع بنفوذ لايمكن انكاره .. انه يقسر الناس جميعاً على أن يفكروا .. ولا يدفع الى اثارة الفكر سوى

عدم الامان ، وهذا هو السبب فى كل الكراهية التى تتعقبه ! »

ويظهر شبح كاليجولا خلف ستار فى الصدر ، فى ثوب قصير كثياب الراقصات ،وعلى رأسه عقد من الازهار ، وقد راح يرقص فى حركات مضحكة · ثم تدخل « سيزونيا » لتقول ان كاليجولا دعاهم اليوم ليشتركوا معه فى مهرجان للفن ، وان من لايشترك يقطع رأسه !·· وما ان تنصرف ، حتى يقول شيريا : « يجب أن نبادر الى العمل · ابقيا هنا · · سيبلغ عددنا الليلة نحو المائتين ! » ·· ويخرج · فلا يلبث أن يفد كثيرون من الاشراف·وتأتى «سيزونيا» لتقول ان كاليجولا يعانى آلاما فى المعدة ، وقد تقيأ دما · ويهتف الشريف « موكيوس » مقسما انه سيضع فى خزانة الدولة مائتى ألف درهم،لو أن الآلهة ردت الى الامبراطور صحته··فيهتف الشريف « كاسيوس » بأنه ينذر حياته للآلهة !·· وفى تلك اللحظة يدخل كاليجولا ، فيحتضن « موكيوس » ذاكرا انه يتقبل ما وعد من مال ·· كما يتقبل نذر « كاسيوس » ، فيرسله مع حارس ليقتله !

ويرى « شيريا » مقبلا ، فيصمت الجمع فى وجوم ، بينما تخرج « سيزونيا » لاستقباله متظاهرة بالبكاء ، زاعمة ان كاليجولا قد مات !·· فيجيل شيريا بصره فى القوم ، ثم يقول فى بطء ، وبعد لأى : « هذا خطب جلل ! » ·· وهنا يدخل كاليجولا هاتفا : « أجدت تمثيلك ياشيريا ·· لم تنجح الخدعة ! »

وبعد أن ينصرف كاليجولا ، يتساءل الشريف الشيخ : « أهو مريض؟ » ·· فتجيب « سيزونيا » وهى ترمقه فى حقد : **« لا ، ولكنه ينام ساعتين من كل ليلة ، ويقضى بقية وقته متجولا فى أبهاء القصر ، لايكاد يستريح · ان الذى تجهله ، ولم تحاول معرفته ، هو مايفكر فيه ذلك الرجل ، طوال الساعات القاتلة التى تمضى بين منتصف الليل ومطلع الشمس ··انكم ـ كجميع**

البلداء – لاتحتملون اولئك الذين تستعر الحمية فى افئدتهم .. مزيد من الحمية ! .. أهذا مايؤذى ؟ .. أيدعى هذا مرضا ؟ »

وتعلن اليهم ان كاليجولا كرس ذلك اليوم للفن ، وسيقترح على الشعراء – لاسيما « سكيبيون » و « ميتيللوس » - موضوعا يتبارون فيه ارتجالا .. وتضيف : « وطبعا ، ستكون هنـــاك مكافآت .. كما ستكون ثمة ألوان من العقاب ! »

★ ★ ★

◆ **ويفد** كاليجولا ، أشد اكتئابا مما كان فى أى وقت مضى . ويساق الشعراء أمامه ، فيقول : « الموضوع : الموت . الاجل» .. فيتساءل الشريف الشيخ : « ومن سيكون الحكم ؟ » .. فيقول : « انا .. أليست فى هذا الكفاية؟ » .. ويسأله شيريا : « وهل ستشترك فى المباراة ؟ » ، فيجيب : « لقـد كتبت منذ زمن فى هذا الموضوع .. اننى الفنان الوحيد الذى عرفتـــه روما .. الوحيد الذى يوفق بين فكره وأعماله ! »

شيريا : هذه مسألة سلطان فقط !

كاليجولا : حقا .. ان الآخرين يبدعون والسلطان يعوزهم ، أما أنا فلست فى حاجة الى شىء !

ويعلن المتبارين بأنه سينفخ فى صفارة ، فيبدأ أولهـم فى قراءة شعره ، فاذا نفخ فى الصفارة ، فليكف عن القـــراءة ، ليبدأ الثانى .. والفائز من لاتقطع الصفارة قصيدته !

ويتوالى الشعراء ، وكاليجولا يطلق صفارته بعد البيت الاول من كل قصيدة ، حتى يحين دور سكيبيون ، فيشرع فى قصيدته قائلا : **« الموت اقتناص للسعادة التى تجعل الخلائق اطهارا .. سماء ينسكب عليها من الشمس ضياء .. أعياد فريدة بربرية .. وانفعالى المحموم بلا رجاء ! »**

كاليجولا (يقاطعه فى لطف) : انك أصغر من أن تعـرف دروس الموت الحقيقية !

سكيبيون (مركزا بصره عليه) : لقد كنت أصغر من أن أفقد أبى كذلك !

ويصرف كاليجولا الشعراء على صفير منتظم ، فيمسك « شيريا » بالشريف الاول لدى الباب ، ويقول : « لقد حانت اللحظة ! » .. وما ان يسمع « سكيبيون » هذا ، حتى يتردد، ثم يعود الى كاليجولا ، فيقول له هذا : « الا تستطيع أن تتركنى فى سلام ، كما يفعل أبوك الآن ؟ »

سكيبيون : هلم ياكايوس ، فلن يجديك كل هذا .. اننى أعلم انك قد اخترت . لم يعد ثمة من خلاص،لا لك ، ولا لى .. أنا الذى يشبهك كثيرا !

ويطلب اليه كاليجولا أن يتركه ، فيقول : « سأتركك .. اننى راحل بعيدا .. فوداعا .. لاتنس اننى أحببتك » .. ويستولى الوجوم على كاليجولا بعد انصرافه،فتسأله «سيزونيا» عما به ..

كاليجولا : لقد رحل سكيبيون ، وبالتالى ، خلصت من الصداقة . أما أنت ، فانى أسائل نفسى : لماذا أراك باقية ؟.. لو قتلتك ...

سيزونيا : يكون ذلك حلا لمسألتك .. ولكن ، ألا تستطيع أن تتيح لنفسك العيش فى حرية ، ولو لدقيقة واحدة ؟

كاليجولا : منذ بضع سنوات وأنا أمارس العيش فى حرية !

وينهض ليهم بقتلها ، ولكنه يبدل من وضع المرآة ، ويدور حول نفسه ، معلقا ذراعيه فى الهواء دون أن يحركهما ، كأنه حيوان . ثم يقول : « **ان هذا غريب .. عندما لا أقتل ، أستشعر الوحدة !.. ان الاحياء لايكفون لتعمير الكون وتبديد الملل . كذلك وجودك أمامى يجعلنى أحس بفراغ غير متناه ، يتوه فيه بصرى . اننى لا أكون بخير الا بين ضحاياى !** »

سيزونيا : تعال ، فارقد بجوارى ، وضع رأسك على ركبتى

(يطيعها) انك بخير الآن ، وكل شىء يلفه الصمت ..

كاليجولا : انك تغالين .. ألا تسمعين وسوسة الخناجر ، ودمدمة متزايدة ؟.. (وتحاول «سيزونيا» أن تقول له أن أحدا لايجرؤ على قتله) ان مصرعى لن يكون بأيدى أولئك الذين قتلت لهم ولدا ، أو والدا ، فهؤلاء قد فهموا .. انهم معى ، وفى حلوقهم عين مافى فمى من مذاق !.. أما الآخرون .. أولئك الذين سخرت منهم ، وحقرتهم ، فلا أجد سلاحا أدفع به خيلاءهم ! .. ان مايقوم ضدى ليس هو الغباء فحسب ، ولكن لدى هؤلاء الراغبين فى السعادة ، امانة وشجاعة .. ولكن ، علام ينبىء هذا الغرام الدافق منك ، دفعة واحدة ؟.. (يأخذها بين ذراعيه) ان عمرى تسع وعشرون عاما ، وهو عمر قصير .. ولكنك فى هذه الساعة التى آستعرض فيها حياتى – فأراها ممعنة فى الطول ، مكتظة بالاسلاب ، مكتملة فى آخر الامر ! – تبقين أنت شاهدا أخيرا !.. ولست أملك أن أدفع عن نفسى نوعا من الحنان المعيب أستشعره نحو العجوز التى تكونينها الآن .. هذا الحنان هو العاطفة النقية الوحيدة التى اباحتها لى حياتى حتى الآن .. ألا يحسن ان يخنق هذا الشاهد الاخير ؟

سيزونيا : لايهم ، فأنا سعيدة بما قلت .. ولكن ، لم لاتقتسم معى هذه السعادة ؟

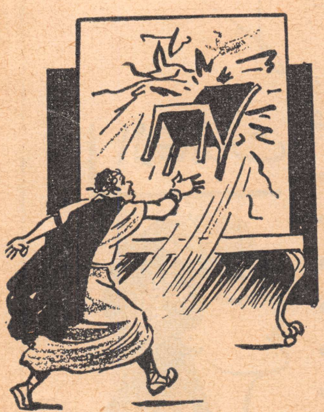
كاليجولا : السعادة نوعان ، وقد اخترت أنا سعادة السفاحين !.. لقد اعتقدت يوما اننى بلغت أقصى حدود الالم ، وليس هذا حقا. ان الضحك ليأخذنى عندما أفكر فى امتناع روما بأسرها – أعواما طويلة – عن النطق باسم «دروسيلا» .. فلقد انخدعت روما طيلة هذه الاعوام !.. ان الحب لايكفينى ، وهذا ماشعرت به اذ ذاك ، وما أدركه الآن وأنا أنظر اليك . اننا عندما نحب انسانا، نرتضى ان نكتهل معه ، ولست بقادر على هذا الحب .. فلئن تهرم « دروسيلا » لشر يفوق موتها . على ان هناك من

يعتقدون ان الانسان يألم ويشقى لموت من يحبه ، ولكن الشقاء الحقيقى انما يصدر عن علة أقل تفاهة ، لان الحزن ليس بأكثر دواماً من سواه ! ٠٠ وهكذا ترين انه لم يكن عندى مجرد طائف من حب ، ولا مرارة من اسى ٠ ولكننى اليوم أكثر حرية مما كنت قبل أعوام ٠٠ متحرر أنا من الذكريات والاوهام (يضحك فى أسى) ٠٠ اننى أعلم ان لادوام لشىء ! ٠٠أى سيزونيا ٠٠لقد تتبعت مأساة شديدة الغرابة ، حتى فصلها الاخير ، وقد حان الوقت لكى تهبط الستار بالنسبه اليك (ويأخذ فى خنقها وهى مذعورة ، مستسلمة)

٠٠ اننى أحيا ٠٠ اننى أقتل ٠٠ اننى أمارس قدرة المدمر ٠٠ قدرة محمومة تبدو مقدرة الخالق ازاءها تقليدا مضحكا ! ٠٠ هكذا يكون المرء سعيدا ، فالسعادة هى هذا الخلاص المرهق ، وهذا الاحتقار الشامل ، والدم ، والكراهيــة المحدقة بى ، والعزلة الفريدة للرجل الذى لايغفل عن حياته كلها طرفة عين، والغبطة الفائقة عند السفاح الذى لايناله العقاب !

★ ★ ★

• **وتموت** ، فيدور حول نفسه فى ثورة وحشيه ، ويتأمــل صورته فى المرآة ، قائلا : « وانت أيضا ياكاليجولا ٠٠ أنت أيضا مذنب ، ولكن ، من ذا الذى يجرؤ على آدانتى فى هــذا العالم الذى لاقاضى فيه ، ولا انسانا بريئا ! ٠٠ يالقســوة ان يكون للمرء حوافز تلزمه بالمضى الى النهاية ، فانى أخشى هذه النهاية ! ٠٠ قعقعة سلاح ؟! آنها البراءة تعد العدة لانتصارها٠ اننى خائف ! ٠٠ ياله من شىء مستهجن ، ان أشعــر - بعــد ازدرائى للآخرين - بجبنهم يدب فى أوصالى ٠ ولكن الخــوف لايدوم هو الآخر ، وانى لعائد الى ذلك الفراغ الكبير الذى يهدأ فيه القلب ! »



ويخر على ركبتيه باكيا ، وهو يقول : « لو أنني حصلت على القمر !٠٠ لو ان الحب كان كافيا ، لتبدل كل شيء٠ولكن٠ من أين أروى هذا الظمأ ؟ ٠٠ كان يكفى أن يتحقق المستحيل٠ لقد فتشت عنه فى أطراف العالم، وعند حدود نفسى (يمد يديه نحو خياله فى المرآة وهو يبكى) لقد مددت يدى ٠٠ اننى أمدهما فلا ألقى سواك ٠٠ أنت دائما فى وجهى ، فكم أبغضك !

٠٠ اننى لم أسلك الطريق الصحيحة ، وها أنا ذا لا انتهى الى شيء ٠٠ وليست حريتى هى الحرية الصحيحة ٠٠ اواه !٠٠ ان هذا الليل ثقيل ٠٠ ثقيل كآلام البشر ! »

تسمع قعقعة سلاح ، وهمسات ، فيتطلع الى صورته ، ثم ينهض فيقذف المرآة بمقعد وهو يصرخ : « الى التاريخ ياكاليجولا ٠٠ الى التاريخ ! » ٠٠ وتتحطم المرآة ، بينما يدخل المتآمرون ، فيضحك فى خبل وهم يطعنونه ٠ ٠ وتتحول الضحكات الى شهقات ٠٠ ثم يصرخ ٠٠ صرخة تجمع بين الضحك والغطيط : « اننى حى ، لا أزال ! » ٠٠ ويلفظ مع الكلمات آخر أنفاسه !

الخالدات



شهيرات النساء

عزيزى القارىء ..

فى أعداد سابقة قدمت لك فى هذا الباب من قصص حياة شهيرات النساء ، هذه السير :

- فلورنس نايتنجيل
- مدام كورى
- ساره برنار
- بيرينيس
- كليوباترا
- مدام دى ديفان ، وجوليا دى لسبيناس
- كريستين .. ملكة السويد
- راشيل
- مارى باشكرتسيف
- كاترين مانسفيلد

واليوم ، أقدم لك سيرة حياة امبراطورة روسيا الكبيرة .. « كاترين » ، أتبعها فى الاعداد القادمة بسير أولئك اللاتى تشتاق الى معرفتهن مثل : جان دارك ، ومدام شيانج كاى شيك ، ومسز روزفلت .. الخ



كاترين.. الكبرى!

امبراطورة روسيا الماجنة
التي خلعت زوجها لتنفرد بالحكم!

تلخيص : محمود حلمى

ثورة كاترين .. فى روسيا !

◆ كانت « كاترين » ألمانية ، ولكنها حين قدر لها ان تتزوج من أمير روسى « جلف » ، صارت روسية أكثر من الروس !.. وعندما تولى زوجها الحكم ، وأغرق فى ملاذه ، دبرت خطة لخلعه ، كى تنصرف بعد ذلك الى العمل من أجل روسيا .. فوسعت رقعة البلاد ، ووضعت من التشريعات ما استهدفت به اصلاح أحوال الشعب . وكان لها من الآراء التحررية ما اعتبرته فرنسا ـ التى كانت مهد الآراء الثورية اذ ذاك ـ « ثورة » !.. ولكنها مع ذلك ، لم تنس أنوثتها .. فكانت لها غراميات خلدها التاريخ !

نظرة .. قبل الزواج !

◆ **كانت** العربة تشق طريقها محدثة أصواتا كأنها الرعد فى طرق ألمانيا المغطاة بالثلوج . وكان الشتاء قارسا فى ذلك الوقت من بواكير عام ١٧٤٤ .. وتحالف الثلج والريح على المسافرين فى العربة الفخمة ـ وهما فتاة فى الرابعة عشرة من عمرها وأمها ـ فجعلهما ترتعدان وهما داخل معطفين من الفراء السميكة .. وكانت رحلتهما قد بدأت من مدينة (زيربست) ـ فى ولاية (انهالت) الالمانية ـ متجهتين فى سرعة هائلة ، نحو الشرق .. فلما بلغتا (برلين) ، رحب بهما « فردريك الاكبر » ـ ملك بروسيا ـ وتمنى لهما سفرا موفقا . ثم واصل الركب سيره بعد ذلك ، وسط الثلوج ، وظلت الجياد تضرب الارض بحوافرها ، حتى وصلت الى مدينة (ريجا)

واذ ذاك ، أدركت الفتاة ـ ابنة الاربعة عشر ربيعا ـ أنها دخلت بلادا جديدة لا عهد لها بها من قبل .. ومنها لم تخرج بعد ذلك أبدا !.. وكانت تلك البلاد ، روسيا !

ورحب القوم فى (ريجا) بمقدم الضيفتين ، ثم استأنفتا سفرهما بعد ذلك ، عبر فيافى (روسيا) ، الى مدينة (سانت بطرسبرج) ـ التى أصبحت تعرف باسم لينينجراد ـ ومنها

يممتا وجهيهما شطر (موسكو) ، فلما وصلتا اليها ، رحبت الامبراطورة « اليزابيث » بالفتاة الصغيرة ، واحتفلت بمقدمها احتفالا يليق بمقامها ٠٠ فقد كانت هذه الفتاة هى : الاميرة صوفيا أوجستا فردريكا ، أميرة (انهالت - زيربستبيرنبورج)، المرشحة للزواج ، اذا هى ظفرت بالاعجاب والرضى !

اذ كانت « اليزابيث » تبحث عن زوجة لابن أخيها « الغراندوق بطرس » ، ولهذا دعت الفتاة الالمانية لزيارتها ، لكى تلقى عليها نظرة ، فاذا ارتاحت اليها ، أغرت بها ابن أخيها !

البضاعة ٠٠ تروق للمشترى !

• **كانت** « صوفيا أوجستا فردريكا » قد عاشت - منذ مولدها فى عام ١٧٢٩ - مع والد طيب القلب ، خامل الروح، هو الامير « كريستيان أوجستس » - أمير ولاية (انهالت زيربستبيرنبورج) - وأم ذكية ، ولكنها شرسة ، مشاكسة ، هى التى رافقتها عندما قدر لها أخيرا ان «تشحن !» الى بلاد القياصرة ، وكأنها سلعة أرسلت الى عميل ليتفقدها ويفحصها ٠٠ عسى أن يبتاعها !

وقدمت الفتاة الصغيرة الى زوجها المقبل ، وكان صبيا فى السادسة عشرة من عمره دميم الشكل ، فظ الطباع ، عليل الجسم ، ضعيفا ، بطىء الفهم ٠٠ كان متخلف العقل والجسد، منحلا فى كل شىء ، سكيرا ، فاجرا ٠٠ **وقد بادر فى التو الى اعلان الفتاة الالمانية الصغيرة بأنه قد قبل الزواج منها ، وبأن قبوله نوع من استسلام المضطر ، اذ أنبأها - فى الوقت ذاته - بأنه على حب مع احدى وصيفات الشرف المحيطات بعمته ٠٠ ولابد أن الاميرة قد اغتبطت بهذا الغرام ، ولو على آمل أن يعفيها من تهالك زوجها على صحبتها !**

وكانت أمها فى تلك الاثناء منهمكة فى الشجار مع الامبراطورة ، فلم تفطن الى ماجرى بين الفتاة والامير ، ولا



حفلت بتعرف مشاعر ابنتها .. وما لبثت « صـــوفيا » ان مرضت ، فعالجهـــا الاطبـــاء بالطريقة التى كانت شائعة فى ذلك الوقت .. طريقة الحجامه وفصـــد الدم . وأسرفوا فى ذلك ، حتى لقد فصدوا دمهـــا ست عشرة مرة فى شـــــهر واحد !.. وعلى الرغم مما كان فى ذلك من ارهاق قاتل ، فان الفتاة شفيت .. ولعلها كانت كارهة لهذا الشفاء ، اذ وجدت نفسها ـ بعد ذلك ـ « غاية فى الدمامة » كمـــا كتبت تصف حالها !

وبرغم انها كانت حديثة عهد بالاقامة فى روسيا ، الا انها سرعان ما شرعت تبدى ما نم عن تأقلمها بالوطن الجـــديد ، وتحمسها لكل ماهو روسى ، ومن الامثلة على ذلك انها ـ وهى فى ذروة مرضها ـ طلبت استدعاء كاهن ارثوذكسى روسى ، بدلا من ان تطلب أحـــد القساوسة البروتستانتيين ، الذين نشأت فى أحضان مذهبهم !

وردة يانعة .. فى أحضان « جلف » !

• **ورأت** الامبراطورة « اليزابث » أ..يرا ـ وبعـــد تفكير وترو ـ أن الفتاة تصلح زوجـــة لبطرس ، فسرعان ما بدأت « صوفيا » الصغيرة فى تعلم اللغة الروسية ، ودراسة العقيدة الارثوذكسية .. ثم لم تلبث ان اعتنقت مبادىء الكنيســـة اليونانية ، التى كانت روسيا تابعة لها من الناحية الدينية ـ على الرغم من معارضـــة والدها ـ واختـــارت اسم « كاترين

الكسفنا » وأعلنت خطبة الفتاة رسميا بعد ذلك • حتى اذا بلغت السادسة عشرة ، فى أغسطس عام ١٧٤٥ ، عقد قرانها على بطرس • ولم تلبث والدتها - التى كانت لاتزال تتشاجر مع الامبراطورة ! - أن غادرت موسكو مهرولة الى بيتها فى ألمانيا • وكانت هذه آخر مرة ترى فيها « كاترين » أمها !

وأصبحت « كاترين » غراندوقة !•• ولكن الحياة بدت أمامها كالحة ، متجهمة • وظل زوجها سىء الطباع ، كما دل عليه مظهره منذ أول يوم رأته فيه ، فلم يبد منه ما ينم عن مجرد التظاهر بالحب أو التلطف نحو زوجته ، كما كانت عمته الامبراطورة « اليزابيث » مستبدة جبارة •• **وهكذا قدر للصبية الصغيرة التي نشئت فى وطنها خير نشأة ، وأرضعت لبان أعذب تقاليد الثقافة الفرنسية ، وأوتيت ذوقا رفيعا وعقلا ذكيا •• قدر لهذه الحسناء اليافعة ، ان تتزوج «جلفا» خشن الطبع ، تربى فى حجر امرأة مستبدة طاغية**

الطريق •• الى المخدع الملكى !

• **ولكن** الفتاة كانت فاتنة •• ومع انها لم تكن جميلة ، الا أنها كانت مليحة ، تروق لانظار الرجال •• **وبحثت عن التسلية وسرعان ما وجدتها ، اذ لم تنقض ستة أعوام على زواجها ، حتى اتخذت لنفسها أول عشيق !••** ولم يعر أحد هذا الامر التفاتا ، وكان « بطرس » - نفسه - أقل الناس اهتماما بذلك ، ولهذا استمرت « كاترين » فى لهوها ،وظلت ترشد الشبان الى طريق المخدع الملكى !

وفى عام ١٧٥٤ وضعت ابنها « بول » ثم أعقبته بعد أربع سنوات بطفلة •• ومن المشكوك فيه كثيرا أن لبطرس أى دخل فى انجاب كليهما !•• وأخذت الامبراطورة « اليزابيث » الطفلين لتربيهما تحت رعايتها ، فلم يعد أمام كاترين مايشغلها سوى عشاقها !

ومضت السنوات رتيبة بطيئة متثاقلة، وكل واحد من الثالوث الامبراطورى ، منصرف الى هواه .. فكانت « كاترين » تستغل وقتها ببراعه فى مطارحة الشبان الهوى ، بينما كان « بطرس » يزداد كل يوم انغماسا فى حمأة العشق والفجور . أما « اليزابيث » ، فكانت تجد اللذة كل اللذة فى تثبيت دعائم جبروتها

وفى صباح ذات يوم من أيام شهر يناير عام ١٧٦٢ ، لم تستيقظ الامبراطورة من نومها ، فقد كانت تلك رقدتها الاخيرة !

وهكذا اعتلى زوج كاترين عرش روسيا باسم القيصر بطرس الثالث .

الامبراطور يخلى السبيل ..

◆ **كان** هذا الحادث محنة فى حياة « كاترين » ، ولكنها كانت من الفطنة والذكاء بحيث توقعتها ، فلم تؤخذ على غرة . كانت تعرف الخطر الذى يتهددها ، فقد كان « بطرس » متفانيا فى حب وصيفة الشرف « اليزابيث فورونتزوف » ، وكان يبغى الزواج منها ، اذا قدر له الخلاص من زوجته

وكان يكره كاترين ، ولكنه كان ـ فى الوقت ذاته ـ مكروها من شعبه ، لانه كان قد أصبح شديد الولاء لكل ما هو ألمانى ، حتى بات أهل روسيا يخالون انه صار ألمانيا لحما ودما .. كان يسف فى تملق فردريك الاكبر ملك بروسيا ويتذلل له .. ولم يعد يستسيغ الحديث الا باللغة الالمانية ، وادخل النظم الالمانية فى جيشه .. كل هذا ، فى الوقت الذى احبت فيه زوجته ـ الالمانية الاصل ـ كل ماهو روسى ، فاصبحت روسية ، من أخمص القدم حتى قمة الراس . فلا عجب ان انحاز الوطنيون الروس الى صف « كاترين » ، وقد كرهوا من امبراطورهم هوسه الجرمانى !

يا للتناقض العجيب !٠٠ الروس يؤيدون سيدة ألمانية ضد قيصرهم المحب للالمان ؟!٠٠ على أن بطرس سرعان مافطن الى ذلك ، وأدرك ان زوجته أصبحت خطرا يهدده ، فبدأ يلاحقها بالاهانات ، ويتوعدها بالطلاق ٠٠ ثم رحل - فى ٢٢ مايو عام ١٧٩٢ - عن (سانت بطرسبرج) مع خليلته « اليزابيث فورونتزوف » ، ليقيم معها فى قصره فى (أورادينيوم) ٠٠ وكان هذا الرحيل فألا سيئا للامبراطور ، فكأنما كتب له أن يهجر الامبراطورية !٠٠ اذ أفسح « بطرس » الطريق أمام « كاترين » برحيله هذا ، كى تفكر فى العمل على اقصائه عن العرش ٠ وما ان أفصحت عن هذه الفكرة ، حتى سارع عشيقها « جريجورى أورلوف » واخوته الى الاهابة بالجيش كى يقف فى صف القيصرة ، ولم تلبث الكتائب ان بادرت الى اعلان الولاء لها ٠٠ كتيبة بعد كتيبة !

تجعل من عشاقها وزراء « صالحين » !

◆ « **تحيا** الامبراطورة كاترين » !٠٠ هكذا راح «أورلوف» واخوته يهتفون ، ومن ورائهم الجنود يرددون الهتاف ٠٠ وارتدت « كاترين » ذاتها بزة « كولونيل » فى الحرس ، وامتطت صهوة جواد ، وسارت على رأس فصائل الجيش الى مقر الامبراطور « بطرس » ، حيث قبض عليه ، والذعر يكاد يقتله ٠ ثم نقلوه الى (روبشا) ، حيث أودع السجن ٠٠ وكانت هذه نهاية نشاط « بطرس الثالث » كامبراطور ٠٠ ولم يمض الا زمن قليل ، حتى أعلنت « كاترين » - فى مرسوم ملكى - نبأ وفاته ، نتيجة اصابته بآلام فى المعدة ٠٠ وليس ثمة شك فى انه آنما قتل فى سجنه ، ولكن تفاصيل مصرعه لم تعرف على وجه الدقة حتى الآن !

وأصبحت كاترين الثانية الحاكم الوحيد فى روسيا !
وقامت هذه المرأة الالمانية المولد بواجباتها ببراعة استحقت

عليها لقب « كاترين الكبرى » •• فلقد عرفت الامبراطورة الجديده كيف تحكم • ومن الصحيح انها ظلت تصطفى لنفسها عشاقا ، وتصنع من هؤلاء العشاق وزراء ، ولكنها كانت تلهمهم العمل من أجل روسيا • وعلى الرغم من كل مانسب اليها من مجون ، فقد كانت هى التى تمسك زمام الحكم بين يديها ••
وكانت هى صاحبة الفضل ، كل الفضل ، فيما أصابته روسيا فى عهدها من ازدهار ورخاء •• كانت سياسية ماهرة لايشق لها غبار ، ولم تكن تسمح لشئون العشق والغرام ، بأن تطغى على ماكان يفرضه العقل والمنطق من احكام

•• وتعلمهم الوطنية !

◆ **وفرضت** « كاترين » اسمها على تاريخ روسيا بأربع وسائل : كعاشقة ، وكمصلحه وطنية ومشرعة ، وكغازية وموجهة للسياسة الخارجيه ، وأخيرا •• كامرأة مثقفة !

فتعال نستعرض هذه الوسائل ، والنواحى التى تمثلها واحدة واحدة :

لقد قيل ان كاترين أدخلت الخلاعة والفجور فى البلاط الروسى ، وهى تهمة ظالمة •• فقد كان العشق والسكر والعربدة أمورا مألوفة فى هذا البلاط ، قبل أن تولد «كاترين» بزمن طويل • واذا كانت هى قد فاقت ـ فى عدد عشاقها ـ كل من سبقتها من الملكات ، الا انها لم تكن مثلهن فى نهمهن البهيمى وادمانهن على الخمور ، وانما كانت فى ايثارها لعشاقها ، تزعم أنها تعدهم لخدمة روسيا •• وكانت تملأ جيوبهم بالمال وتمنحهم الهدايا والضياع وتخلع عليهم المناصب وهى تقول عنهم انهم « تلاميذها » الذين تدربهم على العمل لصالح الوطن !

كان « جريجورى أورلوف » أول عاشق لكاترين ، عندما اعتلت عرش القياصرة • ويبدو ان كل خدماته انحصرت فى

الاشتراك فى خلع بطرس - عام ١٧٦٢ - وقد حاول بعد ذلك أن يغرى « كاترين » على الزواج منه ، فظلت فترة من الوقت تقلب الفكرة فى رأسها ، ولكنها عدلت عنها ، بناء على نصح وزرائها الذين قالوا لها : « ان الامبراطورة تستطيع ان تفعل ماتشاء ، ولكن مدام أورلوف لايمكن ان تصبح امبراطورة لروسيا ! »

العشق شيء ٠٠ ومصلحة روسيا شيء آخر !

◆ وفى عام ١٧٧٦ ، اتخذت « كاترين » عشيقا جديدا لها، هو « جريجورى بوتمكين » ٠ وكان رجلا طويلا عريضا فيه خشونة وصلابة ، وكان له خلق يمنعه من ادعاء فضائل الآخرين ، كما انه كان قديرا فى الحكم والسياسة ٠ ولكن يبدو أن دوره فى تحقيق عظمة روسيا قد أحيط بكثير من المبالغة ، اذ كان الفضل الاكبر - فى الواقع - يعود الى القائد « سوفوروف » الذى كان عبقريا من الطراز الاول فى فنون الحرب والقتال ، والذى كان خيرساعد لكاترين فى الانتصارات الباهرة التى خلدت اسمها فى التاريخ الروسى

وكان لكاترين عشاق آخرون فى خلال حكمها ، ولكنهم كانوا تافهى الاثر ، لم يخلفوا مايستحقون من أجله الذكر ، فيما عدا الآخير منهم ، وهو « بلاتو زوبوف » ٠٠ وكان شابا غرا فى الثانية والعشرين من عمره ، بينما كانت « كاترين » - حين شغفت به - فى الستين من عمرها ٠٠ وقد وسوس له نزق الشباب ، وأحلام المجد ، وعظمة الجو الذى أحاطته الامبراطورة به ، ان يحاول دس أنفه فى شئون السياسة ، ولكن « كاترين » ردعته وأوقفته عند حده ٠ كانت هذه طبيعتها ٠ فهى وان كانت موضع نقد لغرامياتها وعبثها ، الا أنها لم تسمح قط لهذا العبث ، ولا لتلك الغراميات ، بالاضرار بمصلحه روسيا

« بطرس ثالث » جديد !

♦ **ولقد** بدأت « كاترين » حكمها بسياسة داخلية راعت فيها الاصلاح الاجتماعى .. كانت قد رضعت لبان الثقافة الفرنسية ، وتشبعت بالافكار الثورية التى كانت تدعو – فى ذلك الوقت – الى الحرية والاخاء والمساواة ، ولهذا فقدصممت على أن تفعل شيئا من أجل جماهير الشعب المهضومة الحقوق

وفى عام ١٧٦٦ نشرت «كاترين» كتابا بعنوان «ارشادات»، استندت فيه الى آراء المفكر الفرنسى « مونتسكيو » . وكانت تهدف الى أن تجعل من هذه « الارشادات » أساسا للمشروع الجديد الذى وضعته للاصلاح الداخلى ، والذى كان معدا لان يعرض على بساط البحث أمام لجنة رسمية فى (موسكو) . وقد حوى هذا الكتاب آراء اعتبرتها فرنسا – اذ ذاك – « ثورية » ! ولهذا حظرت تداوله فى بلادها . واعترض النبلاء وأصحاب الاراضى فى روسيا على ماتضمنه من أفكار أوجسوا من ان يودى تطبيقها بما كان لهم من سلطان اقطاعى على الفلاحين .. « رقيق الارض » !

وأخيرا تقهقرت كاترين أمام معارضتهم ، ثم اضطرت الى التسليم لهم بامتيازات جعلت حالة أولئك الفلاحين المسخرين أشد سوءا من قبل !

وفى عام ١٧٧٣ قام فلاحو حوض نهر (الفولجا) بثورة ، بقيادة زعيم من « القوزاق » يدعى « بوجاشيف » ، أعلن نفسه قيصرا لروسيا باسم « بطرس الثالث » ، فكأنما كان يرجو ان يبعث عهد القيصر السابق ! .. وبدت الثورة خطيرة فى بادىء الامر ، اذ أحرز الفلاحون بضعه انتصارات . ولكن الفتنة لم تلبث ان قمعت وأعدم زعيمها « بوجاشيف » .. فمات «بطرس الثالث » مرة أخرى !

« كاترين » : المشرعة ، والفاتحة !

♦ **وفى عام** ١٧٥٥ أصابت كاترين نجاحا رائعا كمشرعة ،

عندما أصدرت « قانون الولايات » ، بعد دراســة مستفيضة لآراء « بلاكستون » المحــامى الانجليزى الكبير ، وبعــد ان استعانت بخبرة أحد كبار رجال القانون الالمــان ٠٠ وكانت تهدف من وراء هذا القانون الى تنظيم الادارة المحليه وادخال نظام الحكم الذاتى فى الولايات ، ووضع أسس ثابته للقضاء والسلطات فى الاقاليم ٠ وقد حقق هـذا القانون من الخير ماجعل الروس يتمسكون به ، ويطبقون نصوصه حتى النصف الثانى من القرن التاسـع عشر ، عنـدما اسـتبدل به القيصر « اسكندر الثانى » قوانينه الاصـلاحية ٠ **وكان من الممكن ان تستمر « كاترين » فى تطبيق المبادىء الحرة التقـدمية ، لولا نشوب الثورة الفرنسية التى أدخلت الشكوك والهواجس فى نفسها ، وجعلتها تنقلب رجعية ، كما فعل غيرها من الملوك فى ذلك الوقت**

أما فى سياستها الخارجية ، فقـد سعت « كاترين » الى توسيع رقعه روسيا ٠ وكانت تعرف تماما المدى الذى تستطيع أن تذهب اليه ولا تتعداه ، كما كانت تحذق اختيار الحلفاء ، وتقدير مدى ماينبغى لها من اعتماد عليهم ٠٠ ففى عام ١٧٦٨ ، شنت أولى حروبها ضد تركيا والنمسا ، بعد أن تحالفت مع « فردريك الاكبر » ـ ملك بروســيا ـ ودامت الحرب ست سنوات ، ثم انتهت بانتصار روسيا ، واستيلائها على منطقة فى الجنوب ٠٠ وفى عام ١٧٨٧ ، انقلبت تحالف النمســا ، لتشن الحرب على تركيا وبروسيا ، وتفوز بمناطق أخرى !

وكان من نتيجة هذه الحملات ـ التى عقد فيها لواء النصر للجنرال « سوفوروف » ـ ان امتدت حدود روسيا حتى بلغت شواطىء البحر الاسود ، وشبه جزيرة القرم ، والقوقاز ٠وفى أثناء ذلك ، كانت كاترين ترنو بعينيهـا الى (بولندا) ، فلم تلبث آن آقتسمتها مع « فردريك الاكبر » فى عام ١٧٧٢ ، ثم ابتلعتها كلها فى عام ١٧٩٥ ، عقب انتصارها على بروسيا !

« كاترين » : الام والجدة !

• **ولقد** ظلت « كاترين » طوال حكمها مثال المرأة المثقفة الذكية الاريبة . فكانت تراسل « فولتير » و « ديدورو » وغيرهما من رجال الفكر الفرنسيين ، وكانت لاتمل المطالعة ، وتهوى جمع التحف الفنية .. وقد فرضت على بلاطها لونا جديدا من الثقافة والسلوك ، وجعلت له طابعا وتقاليد رفيعة .. وكانت تدون التاريخ وتكتب القصص والاساطير ، وتروى الامثال !

وماذا عن المرأة ذاتها ؟.. ماذا عن « كاترين » كزوجة ، وأم ، و .. امرأة قبل كل شيء ؟

اننا لا نكاد نعرف الا القليل عنها .. كانت تقول عن نفسها: « اننى أصفح بسهولة ولا أكره أحدا » !.. ولكنها اذا لم تكن قد كرهت زوجها ، فانها لم تغفر له .. وكانت تعامل ابنها « بول » بنفس الطريقة الاستبدادية التى عاملتها بها الامبراطورة « اليزابيث » . ومع انها كانت تؤكد دائما أنه ليس ابن زوجها ، الا ان الشبه كان شديدا بينه وبين «بطرس»، فى غرابة الاطوار . وكان « بول » يقول عن أمه : « ان المرأة العجوز تصر على اخضاعى لارادتها »

وكانت على النقيض من ذلك مع حفيديها .. ولدى بول : « الكسندر » و « كونستانتين » ، فقد كانت تحبهما . ومما يدل على تعلقها الغريزى بالاطفال ، وينبىء عن روح الانثى فيها، أنها كانت تكتب خطابات تصف فيها كيف كانت تصنع الثياب للطفل الصغير « الكسندر » ، عندما كان عمره ستة شهور . وكانت تقول مفاخرة أنها خاطت له ثوبا لطيفا بيديها، وان ملك السويد وأمير بروسيا طلبا نموذجين منه !

ونحن نعرف أيضا أنها كانت فاتنة ، وانها كانت تأسر الرجال بأناقتها ، وكانت تجمع العباقرة حولها بفضل ذكائها،



كما كانت تجذب بعض قادة الفكر فى العالم - اذ ذاك - برسائلها الرقيقة الظريفة . وبلغ من نشاطها وانكبابها على العمل ، انها كانت تستيقظ فى الساعة الخامسة صباحا ، وتشعل نار المدفأة ، ثم تسرع فورا الى القيام بواجباتها اليومية

وفى عام ١٧٨٧ ، قامت كاترين برحلة - بناء على اقتراح عشيقها « بوتمكين » ، وتحت حراسته - على طول نهر (آلدنيبر) فى جنوب روسيا . وسبق « بوتمكين » رجال الدعاية الروس فى العصر الحديث بما ابتدعه من أساليب الدعاية للامبراطورة ، فكان يحول الصحراوات الى أقاليم عامرة ، بأن يقيم مدنا من الخشب ، ثم يستأجر جموعا من الناس ليسكنوها فى أثناء مرور موكب « كاترين » . وكان رجال البلاط ينثرون النقود الذهبية من العربة الملكية على الشعب البائس المتذمر .

ووضعت كاترين أساس مدينة جديدة أطلق عليها اسمها : « كاترينا سلوف »

الزواج الذى قضى على حياتها !

◆ **ويشاء** القدر أن يكون « الزواج » ، الذى جاء بكاترين الى روسيا .. هو الذى يضع نهاية لحياتها ! .. فلقد دبرت الامبراطورة تزويج حفيدتها « الكسندرينا » من « جوستاف أدولف » ، ملك السويد . وتقرر اجراء مراسم الاحتفال بأعظم مظاهر الأبهة والجلال ، فى قصر الشتاء فى

(موسكو) • وجلست الامبراطورة مع حفيدتها فى احدى غرف القصر ، بينما جلس « جوستاف » فى حجرة أخرى فى انتظار بدء الاحتفال •• فلما قدم عقد الزواج الى ملك السويد ليوقعه ، وجد أن « كاترين » قد أدخلت فيه بنودا لم يتفق عليها ، ولهذا رفض التوقيع •

وحمل اليها عشيقها الصغير « زوبوف » هذا النبأ - وهو يرتعد من فرط الانفعال والخوف من غضبها - فصعد الدم الى وجه الامبراطورة •• وترنحت ، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها ، ثم صرفت حاشيتها •• وكان اندفاع الدم الى وجهها نذيرا بقرب نهايتها ، اذ لم تمض بضعة أسابيع حتى أصيبت بنزيف فى المخ ، لفرط ما أحست به من قهر ، وأسلمت الروح فى ١٠ نوفمبر عام ١٧٩٦

والحق أن « كاترين » كانت ملكة عظيمة ، حزنت عليها البلاد كلها عند موتها - فيما عدا ابنها - اذ ازدهرت روسيا تحت حكمها ، وصارت امبراطورية قوية مهيبة الجانب

جندى يحرس •• زهرة !

• **وثمة** قصة طريفة تدل على أن عاهلة روسيا الاوتوقراطية كانت - أولا وقبل كل شىء - مجرد امرأة !•• فقد اتفق ذات يوم من أيام عام ١٨٦٠ ، ان « بسمارك » - سفير ألمانيا فى موسكو اذ ذاك ، والذى أصبح فيما بعد مستشارا لحكومة الرايخ - زار القيصر « اسكندر الثانى » •• وفيما كان يسرح بصره خلال النافذة ، رأى جنديا يقوم بالحراسة فى مكان منعزل من حديقة القصر ، تنمو فيه الحشائش ، فسأل القيصر عن سر وجود الجندى فى ذلك المكان المنعزل ، فقال القائد : وسأله عن السبب ، فلم يحر جوابا •• فأرسل فى طلب الضابط الذى يتبعه الجندى ، ولكن الضابط بدوره عجز عن الاجابة • فأرسل القيصر في طلب قائد قوات القصر ، وسأله

عن سر وجود الجندى فى ذلك المكان المنعزل . فقال :
ـ معذرة ياصاحب الجلالة .. ان هذا الجندى يقف باستمرار فى هذا المكان طبقا لتقليد قديم .
وتدخل بسمارك فسأله : « وما أصل هذا التقليد ؟ »
ـ لا أتذكر فى الوقت الحاضر
وهنا أمره القيصر بالبحث عن الامر .. وبعد ثلاثة أيام من التحرى والتنقيب ، ظهر أن وقوف الجندى فى هذا المكان يعود الى أمر مكتوب منذ ثمانين عاما .. فقد حدث صباح ذات يوم ـ فى مستهل الربيع ـ ان كانت الامبراطورة « كاترين » تطل من نافذة القصر ، فأبصرت بأول زهرة تنبت من خلال الارض المتجمدة . فأمرت بوضع حراسة عليها ، لمنع أى شخص من اقتطافها .. ثم نسيت المناسبة ، وظل الامر ساريا ، والحارس واقفا كأنه يحيى ذكرى الزهرة ، وذكرى « كاترين » الكبرى !

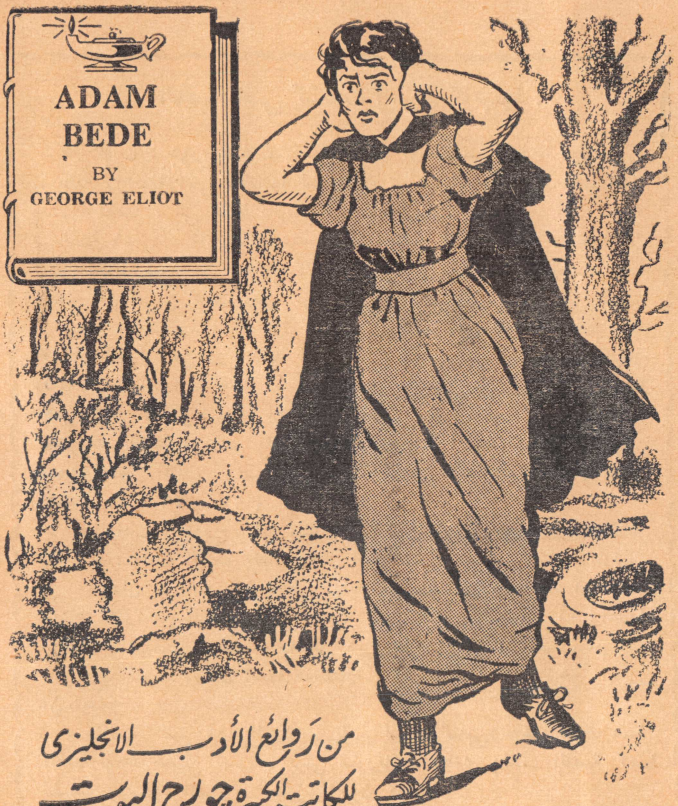
الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضيةقصص: • أموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ : بول هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • الشيطان على الارض : برتراند رسل • الحب الاول : تورجنيف • تاييس: أناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتشر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب: دستويفسكى •لحن كرويتزر :تولستوى • أميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار: سومرست موم • افروديت : بييرلويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا: ستيفان زفايج • كانديد • اشجان فرتر • فرانشسكا • لوريت • المعطف • يوميات زوجة • الافق المفقود • النار الخالدة • الوحل • أبناء وعشاق • « اليهودى التائه » • « صباح الخير أيها الحزن » • علاج الحب • العانس • وهاك اليوم « آدم بيد »



من روائع الأدب الانجليزى
للكاتبة الكبيرة جورج اليوت

آدم بيد

القصة التى كشفت أسرار كاتبتها !

◆ كانت « جورج اليوت » تردد دائما أن شخصية «دينا موريس» ـ بطلة روايتها التى نلخصها لك اليوم ـ من أبدع الشخصيات التى رسمها قلمها ، على كثرة مارسم !٠٠ وقد نشرت قصة « آدم بيد » فى سنة ١٨٥٩ ، فأثارت عاصفة من استحسان النقاد ، مما رشحها لان تحتل مكانا كبيرا بين شوامخ الادب الانجليزى ٠ ولقد كشفت هذه القصة عن أمرين كانت أعين أقرب المقربين تعمى عنهما ، فى نفسية « جورج » وحياتها ٠ أما أول الامرين ، فتمثل فى ظل قاتم غام على ما كان للمؤلفة من روح فكهة ، مشرقة ، مما نم عن أن ثمة حزنا كان دفينا فى أعماقها ، تجهد فى أن تخفيه ٠٠ حتى عن نفسها !٠٠ وأما الامر الثانى ، فهو اشراقة من ايمان تخللت سطور القصة ، رغم ماكانت تجهر به الكاتبة من كفر بكافة المذاهب الدينية ! (كما سبق ان قرأت ضمن فصول كتاب أبواب الحب المغلقة الذى قدمه لك « كتابى » فى الاعداد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧)

ولقد ولدت « جورج » فى سنة ١٨١٩ ، وعملت فى مجلة «ويستمنستر ريفيو » ، حيث التقت بكبار رجال الفكر مثل « سبنسر » و «كارليل» و « نيومان » ٠٠٠ وماتت فى نهاية سنة ١٨٨٠ ، بعد ان خلفت وراءها كثيرا من المؤلفات التى خلدت اسم « جورج اليوت » ٠٠ وأهمها: رومولا ، فيلكس هولت ، دانييل ديروندا ٠ وبقى أن تعرف ان اسم « جورج اليوت » كان اسما مستعارا ، وان اسمها الاصلى هو « مارى آن ايفانز »

وبمناسبة نشر هذه القصة ، يقدم لك « كتابى » على غلاف هذا العدد لوحة جميلة تمثل « بيتى سوريل » احدى بطلات القصة كما تخيلها ورسمها الفنان الانجليزى جون كولييه

١ ـ الشقيقان

◆ فى الثامن عشر من شهر يونية سنة ١٧٩٩ كان خمسة من العمال منهمكين فى صنع أبواب واطارات للنوافذ ، فى « الورشة » المتسعة الارجاء التى يملكها المستر « جوناثان

بيرج » ، النجار والبناء بقرية (هايسلوب) ٠ وكان أكثر هؤلاء العمال طولا ، رجلامفتول العضلات ، كبير العظام ، ترتفع قامته الى نحو ست أقدام ،وقد رفع كمى قميصه الى مافوق مرفقيه ، مشمرا عن ساعدين قويين كفيلين بكسب جائزة البطولة فى مباريات القوة البدنية ٠ ولكن اليد الطويلة ، اللدنة ، ذات الاصابع العريضة الاطراف ، كانت توحى بأنها خلقت للاضطلاع بالاعمال التى تتطلب مهارة وحذقا



الكاتبة الانجليزية « جورج اليوت »

هذا هو « آدم بيد » ، الذى تلقى طول قامته ومهارة يديه عن أصله السكسونى ٠٠ وكان كبير الوجه ، خشن التقاطيع، لايجد فى وقت راحته من تسلية سوى ماينم عن خلق حميد ، وذكاء موفور ، صادق

وكان فى وسع المرء ان يدرك ، من أول نظرة يلقيها على هؤلاء العمال ، ان الذى يلى « آدم » فى المرتبة بينهم هوشقيقه « سيت » ، الذى كان يناهزه طولا ، ويشبهه فى الملامح ، وان شاب كتفيه العريضتين بعض الانحناء ٠ ولم تكن نظرته حادة ثاقبة ، وانما كانت رقيقة حنون تبعث على الثقة فى صاحبها والاطمئنان اليه ، ولذلك كان المساكين والافاقون الكسالى يتهافتون عليه ، وهم على يقين من انهم سيظفرون منه ببعض الدريهمات ٠ بينما كانوا يحرصون على البعد عن أخيه « آدم » ما استطاعوا

وتوقف العمال عن العمل فى الساعة السادسة مساء ، فغادروا « الورشه » ، ولكن « سيث » تريث ، ونظر الى «آدم» باهتمام ، وكأنه يترقب منه ان يقول شيئا ، فسأله «آدم» :

ــ هل ستذهب الى المنزل قبل حضور الموعظة ؟

ــ لا ٠٠ سوف لا أذهب الى الدار قبل الساعة العاشرة ٠٠ وربما رافقت « دينا موريس » الى منزلها اذا راق لها ٠٠ ولا يخفى عليك انها تأتى من دار « بويسر » دون رفيق

* * *

◆ **وقصد** « آدم » الى الدار ، بينما توجه « سيث » الى القرية حيث كان أفراد طائفة النظاميين ــ « الميثوديست » ــ يعقدون اجتماعاتهم ، ويلقون مواعظهم ٠٠ ورأى الناس يقتربون عندما أخذت « دينا موريس » ترتقى المركبة التى كانت تستخدم كمنبر للخطابة ، دون ان يظهر فى مسلكها أى تهيب أو رهبة ، وانما تقدمت فى ثبات وبساطة وكأنها ذاهبة الى السوق ٠٠ كانت تبدو كأنها لاتفطن الى شىء مما حولها ٠٠ولم تنبعث من عينيها أية نظرة جادة ، وانما فاضت نظراتها بحب أسبغته على الجميع دون ان تتفرس فيهم ٠٠ ثم شرعت تتكلم بصوت واضح غير عالى النبرات ، فاسترعى اخلاصها وطلاقة لسانها وصدق حديثها انتباه المستمعين اليها ، فراحوا يصغون باهتمام ، ودون أية مقاطعة

واذ انتهت العظة ، سار « سينت بيد » الى جانب « دينا موريس » في الطريق المحفوفة بالمراعى ومزارع القمح ، بين القرية ومزرعة ضيعة « هول فارم » ٠ **ولم يفته ان يلاحظ البوادر التى كانت تعلو وجهها ٠٠ كانت تنم عن رزانة واهتمام لايشجعان أى معجب على الاقدام على شىء ، فانطوى على نفسه وأخذ يردد فى سريرته شيئا كان يبغى ان يقوله لها ، لولا انه**

لم يجد الشجاعة على مصارحتها به ، الا عندما وصلا الى أبواب فناء دار أصحاب ضيعة « هول فارم » ٠٠ فاستجمع اذ ذاك جرأته وقال :

ـ ربما ظننت اننى أغلو فى جرأتى ، اذ أعاود الحديث بعد ما صارحتنى بأفكارك وآرائك ، ولكنى تبينت ان الدين يتضمن نصوصا تؤيد الزواج وتشجع عليه ، أكثر مما تعارضه . **فقد قال « بولس الرسول » ان : « اثنين خير من واحد » ، وهو قول يسرى على الزواج كما يسرى على كل شىء آخر . فخليق بنا يا « دينا » ان نكون قلبا واحدا وعقلا واحدا ٠٠** ولن أكون الزوج الذى يفرض عليك ما يتعارض مع العمل الذى خلقك الله له . وانما سألجأ الى جميع الوسائل لكى أكفل لك حرية فوق هذه التى تتمتعين بها ، لا سيما وانت مضطرة الآن الى كسب أودك ، فى حين انى أتمتع بقوة تكفى لان أعمل من أجلنا معا

وكانا عندئذ قد وصلا الى أحد الممرات الضيقة المفضية الى أحد مكاتب « التفتيش » ، فوقفت « دينا » وقالت فى صوت رقيق ، هادىء ، ثابت النبرات :

ـ أشكرك يا « سيت بيد » على حبك لى ، واذا قدر لى أن أرى فى أى شخص أكثر من مجرد أخ مسيحى لى ، فلن يكون هذا الشخص غيرك ٠٠ **على اننى لست فى حل من الزواج ، أو التفكير فى انشاء بيت لى فى هذا العالم ، لان الله دعانى لكى أردد كلمته وأذيعها ٠٠ فهو الذى يملك التصرف فى نفسى وفى عملى !**

وودعها عند باب الفناء ، اذ لم يشأ أن يدخل المبنى ، وانما فضل العودة من طريق المزارع التى اجتازها مع « دينا » عند مجيئهما .

* * *

• **وكانت** الساعة العاشرة عندما وصل الى داره ، فلما رفع

« السقاطة » ، وفتح الباب ، سمع صوت أدوات وآلات فتولته الدهشة ، وسعى الى والدته فسألها : « ماهـــذا يا أماه ؟٠٠ كيف يعمل والدى الى هذه الساعة المتأخرة ؟ »

فأجابته قائلة : « ليس والدك الذى يعمل ، وانما هو أخوك ٠٠ آنه دائما يقوم بجميع الاعمال ، وكأنما ليس فى الدار من يعمل سواه ! »

ومضت والدته « ليزبث بيد » فى هذه الثرثرة اللائمة ، اذ انها لم تكن تخشى « سيت » ، الذى لم يسبق له فى حيـاته ان أخشن لها القول ، وانما كان يتقبل دائما فى دعـة كل ماتصبه فى أذنيه من صنوف المشاكسات المكبوتة التى يوحى بها ماكانت تكتمه من غيظ لا تقوى على مجاهرة « آدم » به ، اذ كانت تهابه فى خوف امتزج بحب كان يرقى الى درجـة العبادة !

واكتفى « سيت » بأن وجه اليها نظرة قلقة ، ثم تركهـا واتجه الى « الورشة » ، فاذا أخوه منهمك فى العمل ، فقال له: « ماهذا يا ادى ؟٠٠ هل نسى والدى النعش ؟ »

ـ أجل يابنى ، انها القصة القديمة دائما !٠٠ عـلى اننى مضطر الى أن أتمم صنعه !

ورفع آدم نظره الى أخيه ، فما أن تأمل وجهه ، حتى هتف:

ـ ماذا حدث ؟٠٠ ماذا بك ؟٠٠ هل تعانى أية متاعب ؟

وكانت عينا « سيت » محتقنتين ، وقد ظهرت على وجهـه الوديع آيات الانقباض والغم الشديد ٠٠ وأجاب عن تساؤل أخيه بقوله :

ـ أجل يا ادى اننى فى عناء وضيق ، ولكنه شىء لابد من تحمله ولا حيلة لنا فيه ؟٠٠ لنترك هذا الآن ، ودعنى أقوم بدورى فى العمل الذى تؤديه واذهب أنت الى الفراش

ـ لا يابنى ، اننى أفضل مواصلة العمل ، فقد وعدنا بتسليم هذا النعش في (بروكستون) قبل الساعة السابعة من صباح

غد ، وسوف أوقظك عند شروق الشمس ، لتساعدني في حمله عندما أتمه !

وهكذا استمر « آدم » يعمل طول الليل ، وهو يفكر في طفولته وأيامها السعيدة ، ثم في أيام الحزن والالم التي تعاقبت بعد ذلك ، عندما اعتاد والده السهر في الحانات والمشارب العامة ، وبدأت والدته تبكي وتنتحب في الدار ... وتذكر « آدم » تلك الليلة التي شاهد فيها أباه – للمرة الاولى – ثائرا متهيجا ، وكأنه وحش ضار .. فكانت ليلة عار مخزية ، وألم ، وعذاب ، تصرف فيها والده تصرف الحيوان الارعن !

وعند شروق شمس اليوم التالي ، خرج الشقيقان يحملان النعش على أكتافهما ، قاصدين (بروكستون) ، فوصلا اليها في الساعة السادسة صباحا .. ولم يمكثا الا ريثما أسلماه الى العميل ، ثم كرا عائدين الى الدار .. واجتازا الوادي الذي كان يعترض طريقهما ، ثم مضيا في المراعي التي كان يشقها الجدول المائي . وعلى حين غرة ، شرع « سيث » يغذ السير ، وهو يهتف لاخيه : « ماهذا الجسم العالق بشجرة الصفصاف ؟ »

وهرعا معا نحو صفصافة قائمة على حافة الجدول ، وتعاونا على اجتذاب جسد طويل ، ثقيل ، من الماء .. ثم أخذا يتأملان في أسى صامت ، تلكما العينين الجاحظتين ، اللتين كانتا تحملقان نحو السماء ، وقد جمدت حدقتاهما .. ونسيا كل شيء ، اللهم الا أن أباهما كان مسجى أمامهما ، وقد فارق الحياة !

٢ – في دار « هول فارم »

◆ **كان** مبنى « هول فارم » من أجمل المباني القديمة في الريف ، وقد شيد بالآجر الاحمر .. وكان في وقت ما مقرا

للسيد الاقطاعى فى تلك المنطقة ، ومركزا لادارة « التفنيش » المشرف على أراضيه

وكانت الدار — فى اليوم الذى تجرى فيه أحداث هذا الفصل — زاخرة بالحياة ، برغم ان الفترة كانت أكثر فترات السنة خمولا .. الفترة التى تسبق الحصاد !.. كذلك كان الوقت — الذى يبدأ فيه الفصل — أكثر أوقات النهار كسلا وهدوءا ، اذ كانت الساعة الانيقة التى تحملها «مسز بويسر» — والتى تملأ كل ثمانية أيام — تشير الى الثالثة بعد الظهر !

أما « مسز بويسر » ، فكانت سيدة مليحة ، لم تتجاوز الثامنة والثلاثين من عمرها .. وكانت أنيقة ، ناصعة البياض ، ذات شعر فى صفرة الرمال ، وقوام رشيق ، وقدمين بديعتى الشكل ، خفيفتى الحركة .. وكانت اذ ذاك قد أقبلت على التطريز ، وهى تتحدث الى « دينا موريس » — ابنة أختها — و « بيتى سوريل » ، وهى ابنة أخت لزوجها ، يتيمة الام ، تتمتع بقسط وافر من الجمال ، ولا تعدو سنها السابعة عشرة

وقالت « مسز بويسر » موجهة الخطاب الى « دينا » :

— أنك يادينا شديدة الشبه بعمتك « جوديث » ، اذا ما عكفت على الحياكة .. كنت لا أفتأ أقول لها انها مسوقة الى ان تحمل يوما ما رطلا من الهموم والمتاعب ، لتجنب سواها أن يحمل أوقية !.. وما أرى ان انضمامها الى طائفة النظاميين (الميثوديست) ، قد بدل شيئا من أحوالها ، اللهم الا حديثها !.. ألا ليتك تستقرين هنا ، فى الريف ، فقد تقعين على رجل كريم يتزوجك .. لسوف تتبينين ان كثيرين من الرجال لن يحجموا عن طلب يدك ، اذا أنت تخليت عن الوعظ والارشاد ، فهما أسوأ مافعلت عمتك فى حياتها !.. وانى لاوقن من ان عمك (تقصد زوجها) سيبذل لك يد العون ، فيمنحك خنزيرا ، وربما وهبك بقرة أيضا ، اذا أنت تزوجت

.. ولو من « سينت آدم » الفقير ، المعدم ، الذى ينتمى الى طائفة النظاميين ، والذى لاينتظر ان يكون لديه يوما مال يدخره !

.. اننى أعرف ان خالك لن يتوانى عن مساعدتك ، فهو دائما كريم مع أقاربى - لانهم جميعا فقراء - وهو لاينفك يرحب بهم فى داره .. وأعتقد انه سيبذل لك من العون مايبذله لبيتى ، مع انها ابنة أخته !

وقطع الحديث مقدم مستر « اروين » قس (هايسلوب) ، والكابتن « دونيثورن » ، حفيد السيد الاقطاعى الذى يملك أراضى (دونيثورن) ووريثه .. وتحولت مسز « بويسر » عما كانت تثرثر فيه ، لتقول لدينا :

- أراهن انهما جاءا ليثيرا الحديث عن مواعظك يا « دينا » ، فعليك ان تتولى الرد عليهما لاننى بكماء فى هذه الناحيه . لقد قلت مافيه الكفاية عن العار الذى تجلبينه لاسرة عمك ، وما كنت لاحفل بهذا الامر فى الحقيقة لولا انك ابنة أخت زوجة « مستر بويسر » ، والناس مضطرون الى أن يحتملوا أقاربهم لانهم من لحمهم ودمهم !

★ ★ ★

◆ **ولكن** مستر « اروين » كان آخر من تضـايقه مواعظ النظاميين .. كما ان « ارثر دونيثورن » الشاب ، لم يأت إلا ليجاذب « بيتى سوريل » أطراف الحديث !

وروى القس ، قبل ان يبرح الدار ، كيف وجد «تياس بيد» غريقا فى الجدول . فما ان سمعت « دينا » بالحادث ، حتى قررت ان تبادر بالذهاب الى دار « بيد » ، عسى ان تستطيع ان تواسى أرملة الغريق وأن تخفف عنها حزنها .

أما « بيتى سوريل » فكانت تفكر فى النظرات التى رمقها « الكابتن دونيثورن » بها ، أكثر من تفكيرها فى « آدم بيد » ومتاعبه ، فقد بعثت هذه النظرات البراقة ، من عينى شاب

جميل ، راق ، والحافلة بالاعجاب ٠٠ بعثت هـذه النظرات دفئا جعل وجيب قلبها يتسارع

وكانت بيتى قد ألفت شغف الناس بالتطلع اليهـا ، ولم يخف عليها ان مستر « كريج » ـ البستانى فى مزارع السيد « دونيثورن » ـ غارق الى أذنيه فى حبها ٠٠ **كما كانت تعرف ان « آدم بيد » الفارع الطول ، الصريح ، الماهر ، الشجاع ، الذى تتجلى فيه روح السلطةوالسيطرة على جميع المحيطين به، والذى كان خالها يقول عنه دائما انه يعرف عن طبيعة الاشياء فوق مايعرف كثير ممن يظنون انهم خير منه ٠٠ كانت تعرف عن « آدم » هذا ـ الذى كان يبدو شديد المراس مع الآخرين، والذى لم يعتد الجرى وراء الغوانى ـ ان وجهـه خليق بأن ينقلب الى شحوب باهت ، أو أن يتضرج ، بكلمة منها أو نظرة ٠٠ فى أى يوم شاءت !**

ولم يكن مجال المقارنة أمام « بيتى » متسعا ، ولكنهـا لم تتمالك ان لاحظت ان « آدم » كان على شىء من الرجولة ،وكان لديه دائما مايقوله عن أى شىء ، **عن معرفة ودراية ٠٠ كمـا** انها كانت واثقة ـ الى حد اليقين ـ من ان خالها كان يريدها على أن تشجع « آدم » على الزواج منها ، وانه يغدو شـديد الاغتباط لو انها فعلت ذلك ، فقد كان « آدم » خلال السنوات الثلاث السابقة ـ أى منذ أشرف عـلى بناء صومعة الغـلال (الشونة) الجديدة ـ موضع تكريم وحفاوة مستمرين من أهل « الهول فارم » !٠٠ وقد اعتادت بيتى ، خلال عامين على الاقل من هذه الاعوام الثلاثة ، أن تسمع خالها يقول : « قد يكون آدم بيد عاملا أجيرا ـ فى يومه الراهن ـ ولكنه لن يظل كذلك دائما ، بل سيأتى اليوم الذى يصبح فيه سـيدا ٠٠ وانى لاوثق من ان الفتاة التى تتزوج منه ستكون قد ظفرت بلقيـة ثمينة فى يوم عيد مبارك ! »

وكانت « بيتى » ترد على هذا بقولها : « آه ٠٠ بل ما أبدع

الحصول على زوج غنى ، « جاهز الغنى » ٠٠ ولكن قد يتصادف ان يكون مثل هذا الزوج « جاهز الغباء » أيضا ٠٠ ولا جدوى من ان تملأ جيبك بالمـــال حتى قمته ، اذا كان ثمة ثقب فى أحد أركانه ! »

على ان « بيتى » لم تكن فى حاجة قط الى تشجيع « آدم » ، اذ كان يروق لها ان تشعر بأن هذا الرجل فى قبضتها !٠٠ أما الزواج منه ، فكانت تراه مسألة أخرى ، فان أحلامها كانت تجمح بها نحو الثراء والبذخ ٠٠ ولو ان « آدم » كان غنيا ، وفى امكانه ان يحقق لها أحلامها ، فيبتاع لها الاقراط الكبيرة الجميلة ، والعقود الغالية ، والدور الفاخرة ، لاحبته الى الحد الذى يحملها على الزواج منه

ولقد طرأ فى الاسابيع الاخيرة عامل جديد ، أحدث أثره فى « بيتى » ، اذ شـــعرت بأن مستر « ارثر دونيثورن » كان مستعدا لان يتجشم العناء ، فى سبيل أن يظفر برؤيتها ٠٠ وكانت « دينا » ـ فى تلك الاثناء ـ قد رحلت الى بلدة صناعية، لتلقى العظات الدينية !

٣ ـ الحب الاول

• **خيل** لآدم بيد ـ كما يخيل للكثيرين غيره من الرجال ـ ان مظاهر الحب الموجه الى سواه ، ليست سـوى بوادر حب موجه اليه • حتى لقد جاء عليـــه وقت ، فى ذلك الصيف ، شعر فيه ـ وهو يساعد « بيتى » على جنى العنب من كروم « الهول فارم » ـ بأن المرء لايمكن ان ينسى ، اذا ما انتقل الى العالم الآخر ، تلك اللحظات التى اعتقد فيها ان أول امرأة قدر له ان يقع فى هواها ، قد بدأت بدورها تحبه !

ولم يكن مخطئا حين اعتقد ان « بيتى » قـــد تغيرت بعض الشىء • فالواقع ان الخوف والقلق اللذين اقترنا بالحب الاول

ـ عندما هز كيانها فى عنف ـ كانا أقوى من غروزها وخيلائها .. وبينما كان « آدم » يتقرب اليهـا ، راحت هى تفكر فى « آرثر دونيثورن » ، وتسائل نفسها : متى سـيقدر له ان يعود لزيارتها ؟

وشعرت « بيتى » للمرة الاولى بأن فى حنو « آدم » ، وحياءه ـ الذى لم ينل من رجولته ـ شيئا يكفل لها راحـة النفس وطمأنينة القلب .. كانت تهفو الى رجل يوليها الحب ويحنو عليها !.. ولكن « آرثر » كان بعيدا عن القرية ، وكان عسيرا عليها ان تحتمل الفراغ الاليم الذى خلفه غيابه .. ثم انها لم تكن تخشى ان يلاحقهـا « آدم » بالتودد اليهـا ، وترديد أحاديث الهوى والغزل ، الى الدرجة التى تثيرها وتضايقها ، فلقد عهدته دائما متحفظا ، مقلا فى كلامه ، لاسيما معها .. ومن ثم فقد رأت ان بوسـعها ان تستمتع ـ دون ماخوف ـ بقرب هـذا الرجل القوى ، الامين ، الذى كان يحبهـا .. وما خطر لها ـ فى أنانيتها ـ ان « آدم » جدير بالرثاء هـو الآخر .. وانه لن يلبث ان يعـانى يوما ما كانت تعـانيه اذ ذاك من عذاب .. عذاب الفراق !

وكان « آدم » هو الذى ابلغهـا ان الكابتن « دونيثورن » عائد بعد يوم أو اثنين ، فجعلتها هـذه المعرفة أكثر ميلا الى الترفق بآدم والعطف عليـه .. وما كان آدم ليجـرؤ على أن يكشف لبيتى عن حبه ، مهما تكن عوامل الاغراء .. بل انه ظل لايجسر على ان يطارحها الهوى ـ ولو وهب الدنيا بأسرها ـ متريثا حتى يرى عطفها هذا ينمو ويتطور الى حب

وفى ذلك اليوم ، لم يلبث ـ بعد ان سـاعدها فى جنى الكروم ـ ان أحس ببوادر الحب فى عطفها .. فلما فرغا من الجنى ، تعمد ان يقتطف لها وردة ، ثم تأبط ذراعها عائدين الى الدار .. ومكث هناك فترة يتحدث الى مستر « بويسر »

وزوجه ، حتى اذا ما انصرف ، قال مستر « بويسر » لبيتى ، على مألوف عادته : « آه ٠٠ لو استطعت ان تقتنصى « آدم » زوجا يا « بيتى » ، لغدوت أسعد امرأة ٠٠ وانا الكفيل بذلك ! »

ولم يلاحظ الخال تلك الهزة التى بدرت من « بيتى » ، اذ طوحت برأسها فى اباء واستهجان ، وهى تقول لنفسها ، وفى سريرتها : « حقا ٠٠ لسوف تكون سعادة البؤساء ! »

★ ★ ★

◆ **ثم** جاء اليوم الثامن عشر من أغسطس ٠٠

كان « آدم بيد » عائدا الى داره ، بعد ان أنجز بعض عمل فى احدى المزارع ، فمر بأحد الاحراش ، **واذا به يلمح فى نهاية الطريق ـ التى كانت تتخلل الحرش ـ شبحين ٠٠ كان كل منهما يواجه الآخر ، وهما واقفان ، وقد تشابكت أيديهما ، ولكنهما بادرا الى الابتعاد مجفلين ، عندما سمعا نباح كلب « آدم » ينبعث عاليا !** ٠٠ وأسرع أحدهما ، فمرق خلال منفذ الى خارج الحرش ٠٠ أما الآخر فقد لاح وجهه متضرجا ، وبدا عليه شىء من الارتباك والاضطراب ، وهو يسعى فى خطوات متعثرة نحو « آدم »



وكان هذا « الآخر » ، هو « آرثر دونيثورن » ! ٠٠ فان

الشاب كان قد عاد الى البلدة منذ أسابيع قلائل ، ليقضى فترة احتفل خلالها بعيد ميلاده الحادى والعشرين ٠٠ وكان مزمعا السفر فى اليوم التالى ، لينضم الى فرقته فى الجيش ٠٠

وكانت العلاقات بين الشابين حتى ذلك اليوم ، قائمة على ود متبادل ، وحب ، واحترام ٠ أما الآن ، فقد بهت « آدم » ، ووقف مذهولا ٠٠ ثم تحول هذا الذهول الى نوع من الغضب الجارف !٠٠ وحاول « ارثر » ان يهون من الامر ، وان يتظاهر بأن لقاءه و « بيتى » جاء وليد المصـادفة فحسب ، **بيـد ان « آدم » أحس بأنه ضحية غدر ، وان هـذا الغدر سلبه شيئا من حقه ٠٠ وان السارق هو نفس الرجل الذى كان يحترمه ويقدره ، فلم يسعه ان يترك الامر ينتهى بهذه البساطة ، ولم يملك ان يفلت « السارق » فى تسامح ، وانما اشتبك معه فى جدال انقلب الى عراك** ٠٠ وسرعان ما خر « ارثر » تحت ضربات « آدم » الحديدية !

ولم يفترق الشابان فى ذلك اللقاء ، حتى تعهـد « ارثر » بأن يكتب الى « بيتى » يعلنها بأن لا سبيل الى أى اتصال بينهما بعد اليوم ٠٠ وكان الشاب عند وعده بالفعل ، فبدأ « ارثر » يروض نفسه على الايمان بأنه لم يحـدث بين « بيتى » وذلك الشاب مايزيد على مجرد « استلطاف » برىء ، لم بقدر له ان يستمر ٠٠ غـير انه سرعان ماتبين ان الصـبر الذى كان يأخذ به نفسه ، فى انتظار ان تتطور عواطف « بيتى » نحوه ، فتنضج وتتكشف عن حب ٠٠ تبين ان هذا الصبر بدأ يتلاشى ـ منذ ذلك اللقاء فى الحرش ـ ليحل محله شـعور متزايد بالقلق والاضطراب !

وفى تلك الاثناء ، كانت « بيتى » قد تلقت خطاب « ارثر »، فكان صدمة أسلمتها الى يأس مرير ٠٠ **وفى غمرة هذا اليأس، تمنت شيئا من التغيير يسرى عنها الاسى والاكتئاب ، ومن ثم شرعت تسائل نفسها : لم لا أتزوج من « آدم » ؟٠٠ فماكانت**

لتحفل بأى شىء ، طالما كان فى وسع هذا الشىء ان يدخل تغييرا يبدل من حياتها !

★ ★ ★

◆ **وكأنما** كان القدر من ناحيته يعمل نحو هذه الغاية .. فان مستر « بيرج » - صاحب « الورشه » التى كان « آدم » يعمل بها - لم يلبث ان عرض على الشاب فى شهر نوفمبر ، أن يساهم معه في عمله ، بأن يصبح شريكا له .. ولم يبادر « آدم » الى الموافقة فحسب ، وانما وجد ان هذه الفرصة جاءت فى موعد مناسب لتحمله على أن يحسم أمرا .. فقرر ان الوقت قد حان ليخطب « بيتى » !

ولم تنبس « بيتى » ببنت شفة ، حين فاتحها فى الامر .. ولكنها تطلعت الى وجهه الذى كان قريبا من وجهها ، ثم ألصقت خدها البض بخده ، وكأنها هرة وديعة ، وجدت يدا حنونا تتمسح بها !.. وكالهرة أيضا ، تاقت نفسها الى من يدللها ويربتها !.. وخامرها فى نفس الوقت احساس غريب ، اذ هفت نفسها الى الشعور بأن « ارثر » كان معها مرة أخرى !

ولم يحتج « آدم » الى ان يقول شيئا بعد هذه البادرة ، وانما اكتفى بأن قال : « أظن ان لى الآن ان أفاتح خالك فى الامر يابيتى .. أليس كذلك ؟ »

وهكذا ، لم يأت المساء ، حتى كان وهج المدفأة فى قاعة الجلوس بدار « هول فارم » ، ينعكس على وجوه تغمرها الغبطة والهناء ، اذ كان « آدم » قد أفضى الى مستر « بويسر » وزوجته بأنه وجد حياته قد غدت مهيأة لان تتسع لزوجة بجانبه ، وان « بيتى » قد وافقت على أن تكون تلك الزوجة !

وكان ذلك فى شهر نوفمبر ..

ولكن ، ما ان حان شهر فبراير ، حتى كانت المأساة قد استكملت عناصرها في حياة « بيتى سوريل » .. فاضطرت

الى أن ترحل الى قرية بعيدة ، حيث وضعت طفلا ٠٠ وكان ابن « ارثر دونيثورن » !٠٠ ثم تعمدت ان تترك الطفل فى احدى الغابات ، حتى اذا عادت اليه ، ألفته ميتا !

ولكن موته لم يحسم المأساة ، فما لبثت السلطات ان ألقت القبض عليها ، وقدمتها الى المحاكمة ٠٠ وكان من المقرر ان يقضى عليها بالاعدام ، لولا ان رأفت بها المحكمة فى اللحظة الاخيرة ، فاكتفت بأن قضت بنفيها من البلاد !

وبعد سنوات قلائل ، صدر عفو عن « بيتى » ٠٠ ولكنها قضت نحبها فى طريق العودة !

٤ ـ زوجة « آدم بيد »

◆ **وتوالت** الايام ، حتى كان خريف سنة ١٨٠١ وكانت « دينا موريس » فى دار « هول فارم » ، وقد أقبلت فى زيارة ، تعود بعدها الى عملها فى المدينة ٠٠ ولاحظت « مسز بويسر » ان وجه « دينا » ـ الذى لم يعتد ان ينم عن شىء مما يخالجها ـ قد تضرج خجلا ، حين قال « آدم » أثناء احدى زياراته لآل « بويسر » :

ـ كيف تزمع « دينا » الرحيل ؟٠٠ لقد حسبتها أتت لتستقر بيننا مدى الحياة ، وانها قد تخلت عن فكرة الرجوع الى المدينة

فهتفت مسز بويسر : « وهكذا حسب كل انسان أوتى عقلا !٠٠ ولكنى أرى ان لابد لك من ان تكون نظاميا ـ ميثوديست ـ لكى تفكر بعقلية النظاميين ، فتقدر أفعال أى واحد من طائفتهم !٠٠ وفيما عدا ذلك ، فمن الخطل ان يتكهن الانسان بالغاية الحقيقية التى قد تنشدها الخفافيش عند طيرانها ! »

وهنا هتف مستر بويسر : « ما الذى ارتكبناه فى حقك

يادينا ، حتى تهربى منا ؟٠٠ ان فى رحيلك نكثا بعهدك ، فان خالتك لاتفتأ تحلم بأن تجعلى هذه الدار مستقرا دائما لك ! »

وجهدت « دينا » كى تنبعث نبرات صوتها هادئة ،وهى تقول: **« لا نكث هناك ياخالى ، فلقد قلت فى أول مرة وفدت فيها على هذا المكان ، اننى لم آت الا لاجل محدد ٠٠ واننى لن أمكث الا الفترة التى يكون فيها مقامى مصدر راحة لخالتى »**

فصاحت مسز بويسر : « حسننا ٠٠ومن قال انك لم تعودى مصدر راحة لى ؟٠٠ واذا كنت لم تزمعى الاقامة معى ، فقد كان خليقا بك آن لاتتجشمى عناء المجىء ٠٠ حتى لاتذكرينى بالفراغ الذى يخلفه غيابك ، بعد ان ألفت هذا الغياب ! »

★ ★ ★

◆ **وعندما** انصرف « آدم » من الدار ، صحبته « دينا » لتزور أمه ، التى كانت معتلة الصحة ٠ وفى طريقهما الى خارج الدار ، عاد يثير موضوع رحيلها عن « هول فارم » محاولا اقناعها بالبقاء ٠٠ وقال فى معرض الحديث : « انك أدرى بشئونك يا « دينا » ، ولكن ٠٠ لو كان قد قدر لك انتكونى أختى ، وان تعيشى معنا طوال العمر ، لعددت ذلك أكبر نعمه يمكن ان نحظى بها ! »

ولم تحر « دينا » جوابا ، بل واصلت السير الى جواره صامتة ٠٠ ولكنهما لم يكادا ينفذان خلال الممر الضيق المفضى الى فناء الدار ، حتى رأى « آدم » وجه الفتاة وقد تضرج ،وبدا عليها شىء من الاضطراب المكبوت ، فتولته الدهشة ، وخيل اليه آن وجهها احتقن استياء ، فقال : « ارجو ان لا أكون قد آذيت شعورك ، أو أسأت اليك يا « دينا » بما قلت ٠٠ ولعلنى قد أسرفت فى الحديث متحررا ، ولكنى لا أبغى سوى الخير لك ٠٠ وفيما يتعلق بى شخصيا ، أعتقد اننى قانع بأن تقيمى على بعد ثلاثين ميلا من قريتنا ، اذا رأيت فى هذا صوابا ! »

يا لآدم من مسكين !٠٠ ولكنه ككل الرجال ، يخطئون دائما في تعرف ماتختلج به نفوس النساء !

★ ★ ★

◆ **عندما** فتحت « ليزابيث » عينيها على صباح يوم الاحد ، رأت « آدم » يجلس في الدار ، منصرفا الى القراءة في نسخة التوراة المصورة التي كان يعتز بها

وأقبلت الام تحدثه طــويلا عن « دينــــا » ، وكيف انهم سيفتقدونها اذا رحلت ، في حين ان الجدير بهم ان يعملوا على استبقائها ٠٠ وشاء «آدم» ان يضع حدا لثرثرتها في النهاية ، فقال انها آذا كانت تفكر في نفسها وفي شعورها ازاء رحيل « دينا » ، فخليق بها ان تروض نفسها على الحياة والفتاة بعيدة عنها ٠٠ فهتفت آلام العجوز :

ــ لا ٠٠ ليس بوسعي ان أحمل نفسي عــلى ارتضاء ذلك ، وأنا أراها وكأنها خلقت خصيصا لك ٠٠بل ما من قوة تستطيع ان تقنعني بأن الله لم يخلقها ، ولم يبعث بهــــا الى هنا الا من أجلك أنت ٠٠ وماذا يهمك في ان تكون الفتــــاة من طائفــة النظاميين ؟٠٠ ما أرى ان هذا يقف عائقا دون الزواج منها !

وهنا ، اضطجع « آدم » في مقعده ، وراح يتطلــع الى أمه مفكرا ، اذ فهم أخيرا ماكانت تهدف اليه من وراء حديثهــا ، فشرع يحاول اقصاء الفكرة عن رأسها ٠٠ ولكن « ليزابيث » لم تكن بالتي يسهل تحويلها عن غايتها ، بل انها ما لبثت ان طردت هي المعارضة من رأسه ، وراحت تقنعه بوجهة نظرها ، حتى لم يعد « آدم » يحتمل ضغط أفكاره ، فقرر ان يغــــادر الدار

واستبد به العجب وهو يتبين كيف ان حب « دينا » تملكه في قوة طاغية ، وراح يستبد به ، حتى لم يدع له سبيلا لكي يتعرف ان كان هذا الشعور صادقا أو انه نتيجة وهم ٠٠ وان

كان هذا الحب من حقه ، ومن الصواب أن ينساق له ، أو ان في ذلك مايسىء الى أخيه « سيت »

وانتهى به الامر الى مفاتحة « سيت » ، فاذا الشاب يطمئنه الى أنه تخلى منذ زمن طويل عن كل فكرة كانت تزين لهالزواج من « دينا » ، وانه ماكان ليتوانى عن تحبيذ فكرة زواج أخيه منها ، اذا كان فى ذلك هناؤه !٠٠ ولكنه أردف قائلا ، انه لا يكاد يظن ان « دينا » ترتضى الزواج !

وقال سيت فى النهاية : « بوسعك ان تسألها ٠٠ انها لم تستأ منى عندما سألتها فى الامر ، وانت الآن أصلح مما كنت أنا اذ ذاك ! »

وهكذا أقدم « آدم » على مفاتحه « دينا » فى الموضوع ، فلم تتردد الفتاة فى ان تصارحه بأن قلبها كان شديد الميل اليه ، ولكنها ترجو ان يمهلها ريثما تستخير السماء !٠٠ واثر هذا الوعد ، بادرت الى مبارحة « هول فارم » ، راحلة الى المدينة

ومكث « آدم » ينتظر ٠٠ وطال الانتظار بضعة أسابيع ، ثم رحل بدوره الى المدينة ينشد جواب « دينا » !

والتقيا هناك ٠٠ وسارا معا مسافة طويلة ، قبل ان تشرع « دينا » فى الحديث قائلة :

ـ لتكن مشيئة الله يا آدم !٠٠ **ان حياتى مرتبطه بحياتك الىدرجة اننى لوعشت بعيدة عنك، لكانت حياتى عبثا !**٠٠اننى لاشعر فى هذه اللحظة ـ وانت معى ـ بأن قلبينا مفعمان بحب واحد ، ومن ثم فانى أجد فى نفسى القوة الكافية لكى أتزوج وأنجب أطفالا ، وأنفذ مشيئة السماء ، فأعوض ما فاتنى فى الايام الماضية

فهتف آدم : « **اذن ، فلن نفترق بعد اليوم يادينا ، حتى يفصل الموت بيننا** »

وقبل كل منهما الآخر فى غبطة طاغية !

كتب الأولون



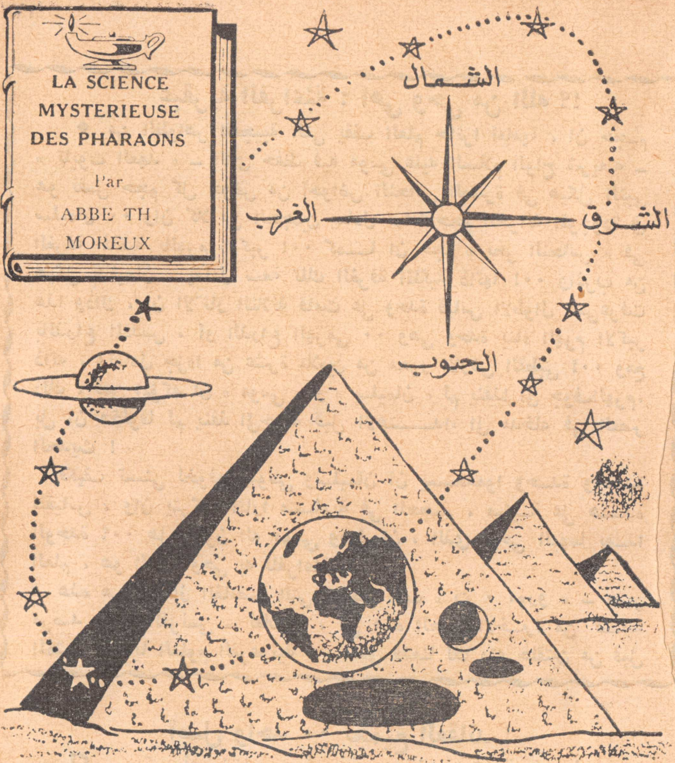
كنوز الكتب القديمة

عزيزى القــارىء ...

قرأت معى فى الاعـداد الماضية من كتابى ، من روائع الكتب القديمة ، هذه الكتب على التوالى :

« ديكاميرون » : بوكاشيو
« دون كيشوت » :
« الالياذة » : هوميروس
« اميل » : جان جاك روسو
« حى بن يقظان » : ابن طفيل
« روبنسن كروزو » : دانييل ديفو
« غرام الاخوين » : (كاتب فرعـونى مجهول)
« يوتوبيا » : توماس مور
« الجمهورية » : افلاطون
« الكوميديا الالهية » : دانتى
« الأوديسة » : هوميروس
« العالم كما يسير » : فولتير
« غرام مشبوب » : لين يوتانج
« رباعيات عمر الخيام »
عفاف (كوزى سانكتا) : فولتير
« رسالة الغفران » : المعرى
« نظرية التطور » : داروين
« رأس المال » : كارل ماركس
« العقد الاجتماعى » : روسو
« الابطال وعبادة البطـولة » : توماس كارليل
« أسرار انحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية » : ادوارد جيبون
« الامير » : نيقولو مكيافيللى
« خفايا العلوم الفرعونية » : ت. مورو

وفيما يلى الجزء الاخير من هذا الكتاب



خفايا العلوم الفرعونية

الكتاب الذى يكشف أسرار بناء الأهرام !

للأب والعالم الأثرى "ت . مورو"

تلخيص : أنطون العبيدى

عبقرية الفراعنة : أهى وحى من الله ؟!

◆ من الظواهر العجيبة التى يقف العلم حائرا أمامها ، ان حجم « تابوت العهد » - الذى حفظ فيه موسى عليه السلام ألواح شريعته - هو نفس حجم كل حوض من أحواض النحاس العشرة فى هيكل النبى سليمان ٠٠ وان كلا من الحجمين يعادل تماما حجم الخزانة الموجودة فى الغرفة الملكية بالهرم الاكبر !٠٠ كما ان حجم « بحر النحاس » فى هيكل سليمان ، يعادل سعة تلك الغرفة الملكية ذاتها !٠٠ وأغرب من هذا وذاك ، ان الآثار الثلاثة قامت على وحدة قياس الاطوال التى عرفت بالذراع المقدس ، أو الذراع الهرمى ٠٠ وهى وحدة بناء الهرم الاكبر ذاته ، وتعادل جزءا من عشرة ملايين من محور الارض القطبى !٠٠ ومع ذلك ، فمن المؤكد ان « موسى » و « سليمان » لم ينفذا الى جوف الهرم ، بل ان مخلوقا لم ينفذ الى جوفه قبل الاهتداء الى مدخله فى العصر الحديث !

فكيف تسنى لخوفو وموسى وسليمان أن يستخدموا وحدة واحدة للقياس ، وان يتركوا آثارا متساوية فى الحجم ، مبنية على هذه الوحدة ؟٠٠ هل يكون اله موسى وسليمان ، الذى اوحى اليهما بهذا العلم ، هو الذى أوحى به للفراعنة ؟!

هذه هى الالغاز الغامضة التى تعرض الاب « ت ٠ مورو » - مدير مرصد بورج الفرنسى - لعلاجها ، فى هذه الحلقة الاخيرة من كتابه الممتع « خفايا العلوم الفرعونية » ، الذى قدمنا لك منه حلقتين من قبل

أصل واحد ٠٠ لجميع العقائد !

◆ **لكى** يبقى أى تقليد أو مذهب فى وقاية من التحريف والتشويه ، يجب أن يعهد به الى نخبة مختارة ، تحافظ عليه لتنقله من جيل الى جيل ، دون أن تعرضه لعبث الناس ٠ وتقسيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة مثال على ذلك ، ففى الوسع ان تبقى هذه القاعدة سليمة ، طالما ظلت فى أيدى نخبة من المثقفين ، يصونونها كما لو كانت وديعة مقدسة !٠٠ ولكن من الخطأ أن نظن ان أى دين أو ثقافة ، أخذ عن دين آخر قديم ، أو ثقافة أخرى قديمة ، لمجرد وجود بعض تشابه بين الجديد

والقديم . ومن قبيل هذا الخطأ ، مازعمه بنو إسرائيل من ان النصرانية لم تفعل شيئا أكثر من نقل تعاليمها عن اليهودية! .. ولسنا هنا فى مجال تفنيد هذا الزعم ، ولكنا قد نجد فى الديانات الشرقية القديمة تعاليم تشبه بعض التعاليم الدينية التى اعتنقها العبرانيون ، والنصارى ، ولكن أحدا لايستطيع أن يزعم أن اليهودية أو النصرانية اشتقت من تلك العقائد القديمة !

هذه كلمة لابد منها لفهم التناقض الذى يقع فيه المؤرخون حين يقولون ــ عن جهل بالمذهب الكاثوليكى ، مثلا ــ ان تعاليم هذا المذهب ليست سوى امتداد طبيعى لعقائد مشتركة ، تمت الى ديانات غابرة ، وان المسيحية اقتبست هذه التعاليم عن المصريين ، أو البابليين أو المدارس الفلسفية اليونانية !..

وهناك تعليل يتمثل فى اننا اذا آمنا بأن الجنس البشرى من اصل واحد ــ وهو مايثبته العلم الحديث ــ فان من المعقول ان بعض المعتقدات الدينية ، والاحداث التاريخية ذات الصلة بماضينا البعيد ، قد تناهت الينا ــ عبر الاجيال ــ عن طريق الشعوب المهاجرة ، وان بعضها فقد فى أثناء الطريق ، وبعضها تعرض للتحريف والمسخ .. ومن المعقول ان نجد تشابها بين بعض تلك المعتقدات وبين معتقداتنا الحاضرة ، ولكن هذا لايمكن أن يؤخذ دليلا على ان هذه نقلت عن تلك ، وانما يمكن القول ان التشابه ربما كان دليلا على وجود أصل مشترك .. أى ان العقائد ــ قديمة وحديثة ــ نبعت من مورد واحد فى الاصل !

ومثل هذا يقال عن بناة الاهرام . فلا يخلق بنا ان نقول ان بعض العقول كانت تدخر فى ذلك العصر حقائق علمية تكشف للانسان الاول ، وتناقلتها الاجيال سليمة غير محرفة الى أن بلغت بناة ذلك الصرح الاثرى المصرى !

ومثله يقال أيضا عن العقائد الدينية لدى الفراعنة . فمن الجدير بالملاحظة ، ان نجد عند الشعوب القديمة ادراكا شاملا

يتصل بأصول عباداتهم ، وان نتبين أن هناك تطورا فى العقائد، ولكنه تطور الى الوراء !٠٠ وهذا التطور العكسى – أو الانتكاس – أمر طبيعى فى الواقع ، لان كتل العامة من الشعوب ، تنساق سريعا وراء الخرافات ، فتنأى عن معتقداتها الاصليـــة ، حتى تواتيها اشراقة فكرية وروحية ، تكشف لها عن تلك المعتقدات من جديد ٠٠ وهى فى هذا تكتشفها ، ولكنها لاتنقلها عن الماضى ، لانها فى انسياقها للخرافات ، جهلت عقائدها الاصلية !

« الله ٠٠ الواحد ٠٠ الاحد » !

• **بعد** هذا نستطيع أن نقول ان تعدد الآلهة لدى الفراعنة ، لم يكن يمثل المظهر الاصلى للديانات عندهم ، على الاطلاق ٠ واذا كان الفراعنة قد عبدوا كل أنواع الحيوان ، كالكلدانيين ، الا ان أقدم النصوص تثبت ان الامر لم يكن كذلك فى البداية ٠ وقد ورد فى مواضع كثيرة من النقوش التى وجدت على اهرام الاسرتين الثالثة والرابعة ، ذكـر : « الله ، الاله ، الواحـد ، الاحد » !٠٠ وفى « كتاب الموتى » – الذى تضـمن صـلوات وطقوسا جنائزية فرعونية – مناجاة للاله ، تنم عن ايمان يفوق كثيرا ، فى صفائه ونقائه ، ماعرفته العصـور الحديثـة !٠٠ ولكن عامة الشعب ما لبثوا ان انسـاقوا وراء الخرافات التى زينت لهم الاغراق فى تمجيد أجدادهم وملوكهم الى درجة العبادة ، فما لبثوا ان اتخذوا منهم آلهـة !٠٠ ويثبت هـذا ماورد فى « نشيد الى خنوم » ، وهو أقدم كتاب فى العالم يحدثنـا عن تأليه الملوك الاجداد ٠ كما وجد حديثا نص فى هرم « سيتى الاول » يشير الى الاله « اتوم » ، اى الجد !

أما كيف انتقل الفراعنة من عبادة الاجداد الى عبادة الحيوان ، فيحتاج منا الى انتقال مؤقت الى بلاد الكلدانيين وآشور ، اذ كانت فيها حضارة متقدمة عن حضارة مصر فى عصر الاهرام ٠ وكان القوم يعبدون « الله » ، ولكن تقاليدهم تعرضت للتحريف

والتشويه ، حتى أصبح « الله » عندهم واحدا ، ومتعددا فى آن واحد •• اى ان هذا الاله الواحد كانت له اسماء عديدة ، ثم اختلط عليهم الامر ، فاعتبروا هذه الاسماء دالة على آلهة عديدة • والذى يظهرنا على هذا التشويه للوحدانية ، ان كل اسم كانت تتقدمه « ال » أو « ايل » ، التى تدل على الاله ، فى جميع اللغات السامية • وفى هذا مايفسر لنا اسم « ايلوحيم » الذى اطلقه العبرانيون على « الله » • وفى اللغة الاشورية نجد « ايلو سماس » ، أى الشمس ــ مما ينم عن صلة العقائد الاولى بالكواكب ــ و « ايولو » ، أى أبو الآلهة ••

نخلص من هذا الى ان الاصل فى عقائد الانسان هو الوحدانيه ، ولكنها تعرضت للتشويه بانسياق الشعوب للخرافات • وكان العبرانيون هم الشعب الوحيد ــ بين الشعوب القديمة ــ الذى حافظ على عبادة الاله الحق ، برغم ما تخلل ذلك من انحرافات لامهم عليها الانبياء ، كعبادتهم العجل الذهبى فى غيبة النبى موسى !

عندما كلم الله •• موسى !

• **والواقع** الذى تؤيده الحقائق هو ان « يهوا » كان ــ منذ عهد النبى ابراهيم حتى مجىء المسيح ــ هو « الاله الوحيد » الذى تجب له العبادة • ونجد فى مخطوط قديم يرجع الى خمسة عشر قرنا قبل الميلاد ان « يهوا اله ، ولا اله سواه » •• وقد ورد فى « التوراة » ان الله قاد « ابراهيم » الى أرض كنعان ، لينتزع بنى اسرائيل من البيئة الوثنية التى سادت بلاد الكلدانيين !

وعندما طلب الازلى الى موسى أن يعلن لشعب اسرائيل أنه منقذه من عبوديته للفراعنة ، فكر موسى فيما عسى ان يشير به الى الله ، **فقال الله لموسى : « أنا من أنا (أى أنا هو الذى أنا) •• هذا ماتجيب به على بنى اسرائيل • انه اله آبائكم ، اله ابراهيم ،**

واله اسحق ، واله يعقوب ، يرسلني اليكم•وهذا هو اسمى الى الابد » •• وهكذا كان اسم الله « انا » ، فاذا تكلم عنه الانسان رمز اليه بلفظ « هو » ، وحرف الى « يهوا » أو « حيوفا » •• وكان الله هو الذى أوحى الى موسى بذلك ، اذ قال : « انا من انا » ، أى الكائن الذى لايحد ولا يتقيد بأى قيد ، ويجل عن كل وصف وتعريف » • وليس أدل على نبوءة موسى من انه نشأ فى البلاط الفرعونى ، وألم الماما تاما بعلوم المصريين ، فى عصر كانت التقاليد الفلسفية والدينية فيه قد شوهت ، وتردى الفراعنة فى عبادة الاوثان •• ولكن هذا لا ينفى انهم عبدوا « الله الواحد الاحد » فى عصر من عصورهم ، على ماذكرنا ••

ونتجه الآن الى ناحية أخرى من نواحى العقائد والتعاليم القديمة • فالجميع يعرفون قصة الخطيئة الاولى ، وكيف تقمص الشيطان جسم أفعى أوحت الى حواء وآدم بأكل ثمرة شجرة الحياة ، أو شجرة الخلد • ومع اننا لانجد ــ أو لعلنا لم نعثر بعد ــ على أصل لهذه القصة فيما خلفه الفراعنة ، الا أن من الانصاف ان نذكر ان فكرة « الافعى » السماوية ــ التى تتخذ مكانها بين أبراج الشمس ! ــ نشأت أصلا فى مصر •• كما ان شجرة الحياة نجدها مرسومة على عدد كبير من لوحاتهم الجنائزيه ! •• على ان الفكرة تظهر أكثر وضوحا فى مخلفات بابل واشور ، اذ نرى بينها رسوما لشجرة تمتد غصونها أفقية ، تحت ثقل ثمارها •• ويقف أمامها شخصان ــ رجل وامرأة ــ وتظهر خلف المرأة «أفعى» !

مابين الفراعنة والاغريق !

• **ولنكتف** بهذا القدر من الحديث عن الفلسفات القديمة الخاصة بالدين والمعتقدات ، لننتقل الى القواعد والنصوص العلمية • والواقع ان تتبع هذه ، أصعب من تتبع تلك ، ومرد ذلك الى ما سبقت الاشارة اليه فى الفصول الاولى من هذا الكتاب ، من ان الامور العلمية قلما تجتذب اهتمام العامة ،وقد

ظلت زمنا طويلا وقفا على نخبـة مثقفة من الكهنة والفلكيين ، كانوا يمثلون فى العصور السحيقة طبقة العلماء ٠٠ وكان هؤلاء



رسم لشجرة الحياة ، من مخلفات بابل وأشور

يقتصرون على تدريسها للمختارين من تلاميذهم ، تدريسا شفويا . وقد أدت هذه العوامل كلها الى ضياع كثير من الحقائق والقواعد العلمية ـ وهى فى طريقها الينا عبر القرون ـ لاسيما عندما كانت الحضارات التى ازدهرت فيها هذه العلوم ، تذوى وتنهار . وليس أدل على ذلك من ان الاغريق اضطروا فى كثير من الحالات الى ان يضعوا ، من جديد ، صيغا وقواعد علمية كانت معروفة من قبل ، ولكنها ضاعت وهى فى طريقها اليهم ، وان كانت الابحاث قد دلت على انهم لم يصيبوا من التوفيق فى ذلك ما أصاب اسلافهم ، واصحاب الحضارات التى سبقتهم

ومثال ذلك ان النسبة بين محيط الدائرة وقطرها ـ وهى التى يرمز اليها بالحرف « ط » ـ لم تكن معروفه بدقة عند الاغريق ، مع انها حسبت حسابا دقيقا فى عصور قديمة . بل انها تبدو أدق وأضبط كلما رجعنا الى الوراء فى التاريخ . ففى المتحف البريطانى وثيقة من ورق البردى ـ عرفت باسم « بردى ريندا » وترجع الى ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح ـ تثبت ان تربيع الدائرة كان يشغل أذهان المفكرين فى ذلك الحين . كما ان أطوال هرم « خوفو » وأبعاده تدل على ان القوم كانوا على معرفة .. وقت بنائه ـ بنسبة قطر الدائرة الى محيطها ، معرفة أدق بكثير مما توصل اليه الاغريق

ومن هذا نرى ان بعض الحقائق العلمية التى عرفها الانسان ، منذ بدء التاريخ ، قد ضاعت ، وبعضها تعرض للتحريف والتشويه .. وبعضها بقى سليما الى حدما ..

خوفو وموسى وسليمان استخدموا وحدة واحدة للقياس !

◆ على اننا نفهم من التوراة ان وحدة القياس التى كانت مستعملة فى زمن النبى « سليمان » ـ مثلا ـ هى « الذراع » .. وقد أثبت « نيوتن » انها غير الذراع القديم الذى كان مستخدما عند المصريين ، والاشوريين ، والفينيقيين ، وغيرهم ، وانما

كانت وحدة قياس خاصة ، احتفظ بها العبرانيون لانفسهم ، وأضفوا عليها قداسة ، وزعموا انها منة خصهم الله بها • • وقد حملوها معهم الى مصر ، ثم حملوها معهم فى خروجهم منها !

ولكن من أغرب المصادفات ، ان هذا الذراع المقدس هو عين الذراع الهرمى ، الذى أطلنا الحديث عنه من قبل ، واثبتنا وثيق صلته بمحور الارض !•• وقد أثبتنا كذلك ان الهرم بنى قبل وفود بنى اسرائيل الى مصر • فكيف توصل بناة الهرم الاكبر الى هذه الوحدة من وحدات القياس ؟•• وكيف توصل اليها بنو اسرائيل ؟

ان النتيجة الواضحة التى انتهت اليها الابحاث فى هذا الصدد ، تشير الى **ان ثمة قوما كانوا يعيشون على الارض ، ويعرفون « الذراع الهرمى » أو « الذراع المقدس » ، قبل عصر بناة الاهرام •• وعن هؤلاء القوم ، انتقلت وحدة الاطوال هذه الى الفراعنة ، والى أجداد الشعب الاسرائيلى • ولكن •• من أين جاء أولئك القوم بهذه الوحدة التى تلتزم الامم الحديثة استخدامها ، لانها ثابتة ، غير معرضة للتغيير أو التحوير ؟**

والآن ، لنرجع الى « التوراة » حيث وردت تفصيلات عن بناء هيكل سليمان ، قبل مولد المسيح بألف عام تقريبا • فقد جاء فى هذه التفصيلات ان « سليمان » استخدم رجلا من مدينة (صور) ـ يدعى « حيرام » ـ كان على دراية بصناعة كل الاشياء النحاسية • وكان مما أقامه « حيرام » هذا لسليمان ، « بحر النحاس » المعروف ، الذى ورد عنه ما يأتى فى الكتاب الاول من سفر الملوك السابع :

« وعمل البحر مسبوكا •• عشرة أذرع من شفته الى شفته ، وكان مدورا ، مستديرا ، ارتفاعه خمسة أذرع • • وخيط ثلاثون ذراعا يحيط به بدائرة (أى ان محيطه ٣٠ ذراعا) •• وغلظه شبر ، وشفته كعمل شفة كأس بزهر سوسن • يسع ألفي

(بث) ‥ وكان قطره عشرة أذرع »

وأول شيء ينبغي تحديده ، هو شكل الوعاء ٠ وتجمع الدلائل على انه كان على شكل نصف كرة ٠ ويؤيد ذلك ماورد فى النص من انه مستدير تماما ، وان عمقه يساوى نصف قطره ٠ ويرى الفلكى الانجليزى « بيازى سميث » ، ان المحيط المذكور فى النص هو محيط الدائرة الداخلية ، وان ذكر سمك الحوض ، وتقديره بعرض اليد « شبر » انما يدل على ان النسبة بين محيط الدائرة والقطر لم تكن معروفة اذ ذاك ٠ واستنادا الى ماقلناه من قبل ، يكون معنى هذا ان الوعاء على شكل نصف كرة ، محيط دائرة فوهته الداخلية ٣٠ ذراعا هرميا ، فيكون قطره ٢٣٨٧٣ بوصة هرمية ، وسمكه ٥ر٥ بوصة هرمية ، فتكون سعته ٣٥٦٢٠٧ر بوصة هرمية مكعبة ٠ وهذا الرقم اذا قسم على خمسين ـ وهو عدد هرمى من مضاعفات ٢ و ٥ ـ فانه يعطينا ٧١٢٤٢ر بوصة مكعبة هرمية ٠ **ومن عجيب المصادفات، ان هذا الرقم اذا قربناه الى ٧ على مليون ، يمثل سعة « تابوت العهد » ـ الذى بناه النبى موسى بأمر من الله ليحفظ فيه ألواح الشريعة ـ ويمثل أيضا سعة خزانة الهرم الاكبر ‥ والخزانة أثر قديم كان المصريون يضعونه على مراكبهم المقدسة، ويضعون فيه تماثيل للآلهة والحيوانات المقدسة !**

هل هو وحى من الله ؟!

● **ومن** المحقق ان موسى ـ رغم انه عاش طويلا فى مصر ، ووقف على أسرار كثيرة من علوم الكهنة ، باتصاله بهم ـ لم ينفذ الى داخل الهرم الأكبر ، ولا نفذ اى مخلوق آخر سواه فى ذلك العصر ٠ فكيف استطاع موسى أن يحدد لتابوته سعة خزانة ظلت دفينة تحت ملايين الاطنان من الحجر ، الى أن قدر لاول انسان أن ينفذ الى داخل الهـرم فى العصر الحديث ؟ ‥ والاغرب من هذا ، ان الرقم ٧١٢٤٢ر يمثل أيضا سعة كل

حوض من عشرة أحواض من النحاس ، بناها « حيرام » فى هيكل سليمان ، وكانت سعة « بحر النحاس » تعادل سعة كل منها ــ على حدة ــ خمسين مرة ٠٠ وقد ورد ان سعة « البحر » كانت ٢٠٠٠ «بث» ، وان سعة كل حوض كانت ٤٠ « بث » ٠٠ أى أن هذا الحجر الاخير يعادل ٧١ر٢٤٢ بوصة هرمية مكعبة ، **فكأننا ازاء مكيال محدد ، تكرر فى أكثر من جيل ، ولدى أكثر من أمة ٠٠ فمثلته عند الفراعنة خزانة الهرم الاكبر ، وعند بني اسرائيل ــ من بعدهم ــ « تابوت العهد » ، وأحواض سليمان النحاسية** ٠٠ وأشد غرابة من هذا ، ان المكيال الكبير الذى يمثل سعة « بحر النحاس » ــ وسعة ٥٠ حوضا نحاسيا ــ نجده ممثلا داخل الهرم الاكبر فى الغرفة الملكية ، على شكل كتلة من الاحجار الجرانيتية الملتحمه ــ بما يشبه البطانة أو الكساء ــ تغطى جوانب الغرفة وتحدد شكلها !

فبأى شيء نفسر هذا التوارد العجيب بين تفكير مهندس الهرم الاكبر ، وموسى ، وسليمان ؟ ٠٠ وبأى شيء نفسر استخدامهم وحدة للاطوال واحدة ، هى الذراع المقدس الذى يعادل جزءا من عشرة ملايين جزء من محور الارض القطبى ، مع مايقتضيه الوصول الى هذه الوحدة من معرفة بالصفات الكونية للكرة الارضية ، على ماشرحناه فى الفصول الاولى من هذا الكتاب ؟

لعل أقرب تعليل الى المنطق والعقل هو ماقاله « بيازى سميث » : « أليس الجواب الوحيد ، ان اله اسرائيل هو الذى أوحى بتلك الحقائق الى ذرية سام الذين وضعوا تصميمى « تابوت العهد » و « بحر النحاس » ! »

وقد سبق ان ورد مايثبت أن قدماء المصريين عرفوا فى فترة من الفترات : « الله ، الاله ، الواحد ، الاحد » !

قصة « يوسف » ٠٠ وحلم فرعون !

٠ **وكلنا** يعرف قصة « يوسف » مع فرعون مصر ، وقد حدثت حوالي عام ١٩٦٠ قبل ميلاد المسيح ٠ فقد رأى «فرعون»

فى نومه سبع بقرات سمان تأكلها سبع بقرات عجاف هزيلة ٠ ويقول فرعون ، فيما ورد فى التوراة : « واستيقظت ، ثم رأيت فى حلمى ، وهو ذا سبع سنابل طالعة فى ساق واحدة ممتلئة وحسنة ٠ ثم سبع سنابل يابسة رقيقة ، ملفوفة بالريح الشرقية ، نابتة وراءها ٠ فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة » ٠٠ وفسر « يوسف » الحلم بأن الله انما شاء أن ينذر فرعون بأن مصر مقبلة على سبع سنوات من الرخاء والشبع العظيم ، تتلوها سبع سنوات من الجوع والقحط ٠٠ واما عن تكرار الحلم على فرعون مرتين ، فلأن الامر مقرر من قبل الله ، والله مسرع ليصنعه !

وأشار « يوسفُ » على فرعون باختزان القمح فى سنوات الرخاء السبع ، لادخار مايفى بحاجة الجميع فى سنوات القحط التى تعقبها ٠ فلما بدأت هذه السنين الاخيرة ٠٠ « كان الجوع فى جميع البلاد ، بينما كان الخبز فى مصر ٠ كان الناس يفدون الى مصر من كافة بقاع العالم ليشتروا منها القمح من يد يوسف ، لان المجاعة كانت قد تفاقمت فى جميع المسكونة »

وتثبت الوثائق المصرية العديدة انوادى النيل ــ على خصبه ــ كثيرا ماتعرض للقحط ، كما ان رخاءه ــ فى سنى الرخاء ــ جعله ملتقى الشعوب المجاورة ٠ ونجد على احدى مقابر الاسرة الثانية عشرة ، مثلا ، صورة لوصول احد رؤساء القبائل الرحل ، من الساميين ، تصحبه أسرته وخدمه ٠ ويظهر فى الصورة أمين الفرعون « اوزوريس الثانى » ، وهو يقضى للجميع حاجتهم ، ويوزع عليهم الاقوات ٠ والآن ، لنتساءل : **هل كان من الممكن ليوسف ــ من الناحية العلمية ــ ان يتكهن بزمن مجاعة مقبلة ؟**

الثابت ان القدماء كانوا على معرفة بكلف الشمس (وهو عبارة عن بقع تظهر على وجه الشمس فى أوقات متفاوتة) ٠ وقد سجل الصينيون وجوده ، وأشكاله ٠ وفي كتاب «مار ــ توا ــ ين»

وصف ممتاز لخمس وأربعين مشاهدة لكلف الشمس ، بين سنتى ٣٠١ و١٢٠٥ ميلادية ٠ ولقد أثبت العلم الحديث ، ان الكلف يظهر فى قرص الشمس كل احدى عشرة سنة تقريبا ، فى المتوسط ٠ ويمكن القول ان الحد الاقصى للكلف يوافق ارتفاع حرارة أغلفة الشمس ٠ وقد تناول السير «وليم ارسكيل» – فى سنة ١٨٠١ – هذه الظاهرة ، فتساءل عما اذا كان للتغيرات التى تطرأ على كلف الشمس ، أثر ما فى شدة أو اعتدال الطقس فى مختلف الفصول ؟٠٠ وخلص الى انه توجد عناصر لحل هذه المسألة بطريق غير مباشر ، تتمثل فى أثر الاشعة الشمسية فى زراعة القمح بانجلترا ، فى الفترة مابين سنتى ١٦٥٠ و ١٧١٣ ٠ **فقد تبين من دراسة السير الطبيعى لمحصول القمح خلال هذه السنوات ، وقوع قحط أو نقص وقتى فى المحصول بوجه عام ، فى الازمنة التى لم يظهر خلالها كلف فى الشمس ، وخلص من هذا الى ان حالات الجفاف والرطوبة قد تتوقف على كمية الاشعة الشمسية التى تصل الينا !**

كيف توصل « يوسف » الى تحديد زمن المجاعة ؟!

◆ **وقد** رأيت أثناء أبحاثى ودراساتى عن الشمس – وقد ضمنتها كتابى « المسألة الشمسية » فى سنة ١٩٠٠ – ان أحقق هذه الآراء الخطيرة التى أبداها « ارسكيل » ، فوضعت جدولا ، لا عن منطقة من المناطق ، وانما عن العالم بأسره ٠ **ولعله من العجيب ان نرى فى هذا الجدول – الذى وضعته فى أواخر القرن الماضى – ان الخط البيانى لانتاج القمح يسير بانتظام مع الخط البيانى الدال على النشاط الشمسى كما يعبر عنه الكلف !٠٠** واذا أضفنا الى كمية الحرارة المنبعثة من الشمس ، معدل الجفاف والرطوبة ، وراقبنا الظاهرة فى المناطق الاستوائية – حيث المناخ أكثر ثباتا من المناخ الاوربى – رأينا ان فصول الامطار وفصول الجفاف تتتابع وفقا للدورة الشمسية التى تتم فى

أحد عشر عاما ، بحيث يبلغ منسوب الامطار أقصاه ، عندما يبلغ كلف الشمس أقصاه !٠٠ ومن المعروف جيدا فى سيلان والهند ، ان خمس أو ست سنوات من الجفاف ، تتداول مع خمس أو ست سنوات من الرطوبة ٠ وهذا التداول يطابق الدورة الشمسية ٠٠ ومن ثم نرى ان الهند ـ مثلا ـ تتعرض للمجاعة مرة فى كل ١١ سنة تقريبا ٠ وهذه الارقام جميعها تبين المتوسط بوجه عام

ومن ثم فان سنوات الرخاء السبع ، التى أعقبتها سنوات سبع مجدبة ، أمر محتمل الوقوع طبقا للتفسير المتقدم ٠ ٠وان كان من غير المحتمل أن يستطيع فلكى ـ فى الوقت الحاضر ـ أن يعين تماما السنة التى يبلغ فيها كلف الشمس أقصاه ٠
وعلى هذا ، فما لم نفترض أن يوسف اوتى من العلم ما يفوق كثيرا علمنا الحديث ، فان من المعتقد ان تنبؤه كان تقريبيا ، بمعنى انه استند الى قانون تجريبى كالذى نستند اليه اليوم ، عن طريق مراقبة عدد كبير من الدورات الشمسية ، واستخراج متوسطها ٠ **ومع ذلك ، فهناك اعتبارات تضعف من شأن هذا الرأى** ٠ تلك هى ان تعاقب أوقات الجفاف والمطر ، متمشيا مع دورة الكلف الشمسى ، لايبدو واضحا خارج المنطقة الاستوائية ، لاسيما وان النشاط الشمسى يتعرض لطفرات فجائية تشتد معها الحدود القصوى ٠ ويبدو ـ فى الوقت الحاضر ـ ان هذه الطفرات تحدث مرة فى كل ثلاث فترات من فترات الكلف ٠ أى ان النشاط الشمسى ، ومنسوب الامطار، يزدادان كل ٣٥ سنة تقريبا ٠ والى جانب دورة السنوات الخمس والثلاثين ، توجد دورة ثالثة تحسب بالقرون ، وتتدخل فى عمل الدورتين السابقتين ٠٠

واذا طبقنا هذه المعلومات على مصر، رأينا ان التكهن بالاحوال الجوية أشد مايكون تعقدا ٠ فمن ناحية الارتفاع ، نرى ان الامطار في مصر ـ وكافة المناطق المجاورة لها ـ كانت يجب ان

تسير وفقا لدورات الكلف الشمسى التى تتم فى احدى عشرة سنة ، ولدورة السنوات الخمس والثلاثين ، بحيث تحدث المجاعات بصفة دوريه ، دون أن يتسنى التنبؤ بها بدقة تامة ، وانما بفارق يتراوح بين عامين وثلاثة . على أن التاريخ يتنبأ بأن المجاعات كانت كثيرة الحدوث فى البلاد المتاخمه لمصر ، وليس فى مصر بالذات،لان وادى النيل الضيق يدين بخصوبته لفيضانات نهره ، لا للامطار الدورية . واذن ، فلكى تحدث مجاعة فى مصر ، يتعين أن يحدث نقص فى منطقة منابع النيل بالذات . (ويلاحظ ان قدماء المصريين لم يكونوا يعرفون أسباب الفيضان) . وهذا النقص ، مضافا اليه نقص الامطار فى مصر نتيجة لحالة الشمس ، هو الذى يمكن أن يسبب مجاعة خطيرة فى هذه البلاد .. وهذا مما يضاعف الدهشة من دقة تحديد « يوسف » لوقت المجاعة ..

فمن اين اوتى هذا التحديد ؟!

ليس من تفسير بشرى لهذا الحدث .. تماما كما هو الامر بالنسبة لموضوع الذراع المقدس ، أو الهرمى !

(هكذا اختتم الاب « مورو » بحثه الممتع ، الفذ ، فى « خفايا العلوم الفرعونية » . فلقد اثبت ان الفراعنة كانوا على دراية واسعة بكثير من القواعد العلمية التى توصل اليها العلم الحديث، أخيرا .. ولكن ، من اين استقوا هذه الدراية ؟.. ومن اين جاءهم هذا العلم ؟.. ستبقى كل أسئلة فى هذا الصدد دون اجابة أكثر مما قاله الاب « مورو » : « ليس من تفسير بشرى لهذا الحدث » ! .. اللهم الا اذا نفضت آثار الفراعنه عنها مزيدا مما تطوى جوانحها عليه ، أو ان يتحدث أبو الهول !.. فياليته يتحدث !)

اقرأ معى :

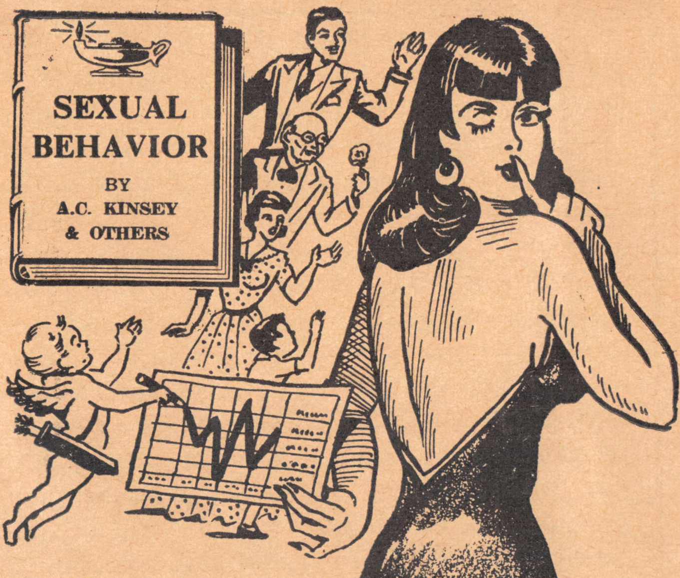


كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى أعداد سابقة من « كتابى » الكتب الشائقة التالية

- آراء جريئة فى الحياة : للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- آلهة ومقابر وعلماء : سيرام
- الالمان ، شعبا وعباقرة : اميل لودفيج
- مستقبل زوجك فى يدك : مسز ديل كارنيجى
- التاريخ السرى للاحتلال البريطانى : ويلفريد بلنت
- أقنعة الحب السبعة : أندريه موروا
- فى داخل افريقيا : جون جنتر
- من فرعون الى فاروق : هـ . وود جارفيس
- كفاحى : سومرست موم
- فى داخل مراكش : جون جنتر
- واليوم أقدم لك « التقرير » الذى أثار دويا هائلا فى أمريكا عندصدوره



السلوك الجنسي !

التقرير الذى هز الولايات المتحدة
- من أقصاها الى أقصاها - بما كشفه
من أسرار الحياة الجنسية بين أهلها !

للباحث الأمريكي الكبير الفريد كينزى وآخرين .

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

نذير .. الى المجتمع العربى !

◆ عندما ظهر الجزء الاول من سلسلة الكتب التى يضعها الدكتور « الفريد كينزى » - الاستاذ بجامعة انديانا - وفريق من العلماء ، عن « السلوك الجنسى لدى الانسان » ، اهتزت الاوساط الامريكية ، و هبت الصحف كما هب رجال الدين وبعض قادة الفكر والمجتمع ، يهاجمون الدكتور « كينزى » وزملاءه ، ويتهمونهم بمحاولة الاساءة الى الشعب الامريكى ، بما كشفت عنه بياناتهم من انحرافات وشذوذ وفضائح جنسية . على ان الرأى العام لم يلبث ان اقتنع بأن الهدف الاول للمؤلف وأعوانه ، هو الاصلاح . فلقد درج المجتمع - أى مجتمع ! - على أن يدس رأسه فى رمال التقاليد ، ويتحاشى المساس بالموضوعات الجنسية ، حتى بات الخوض فيها يعتبر نزوعا الى « الاباحية » و « التهتك » ! .. أما « كينزى » ، فقد جمع لموضوعات كتابه الاول: « السلوك الجنسى لدى الانسان الذكر » ١٢٫٠٠٠ فرد ، عاملهم كما يعامل العالم الجرذان البيضاء والارانب التى يحتفظ بها فى معمله ليدرس طبيعتها .. ثم خرج - بالطرق التى ستقرأها فى القسم الاول من الكتاب الذى نلخصه لك اليوم - بنتائج وبيانات تبين ان التغاضى عن التربية الجنسية للمجتمع ، من شأنه أن يؤدى الى انحطاط سلوكه الجنسى ، وانحرافه !

وانقلب الرأى العام من مستهجن الى محبذ لما فعله « كينزى » وزملاؤه ، حتى لقد ظلت الصحف والمجلات الامريكية تعلق على كتابه هذا - الذى اشتهر باسم « تقرير كينزى » - أكثر من عام ، ونقلت عنها صحف العالم أجمع .. كما أصدر مئات العلماء الامريكيين ، فرادى وجماعات ، الكتب والنشرات معلقين على البيانات والنتائج والمعلومات التى تضمنها الكتاب

و « كتابى » اذ يعنى بتقديم « السلوك الجنسى لدى الانسان » ، فيما يلى ، يحاول ان ينبه الرأى العام الى الاخطار التى تهدد المجتمع من جراء التقاليد المضللة التى تترك مسائل الجنس محوطة بالغموض والجهل ، عسى ان يكون هذا مدعاة الى وضع أسس تربية جنسية سليمة للمجتمع العربى عامة !

فى سبيل وعى ناضج .. بالمسائل الجنسية !

• **هذا** الكتاب خلاصة دراسة ـ خليق بالتاريخ ان يسجلها ! ـ للسلوك الجنسى البشرى . وقد ظلت هذه الدراسة متواصلة تسع سنوات ، تحت اشراف ومساعدة جامعة « انديانا » ، ولجنة الابحاث فى المسائل الجنسية بمجلس البحوث القومى الامريكى ، والقسم الطبى بمؤسسه «روكفلر» . وهى دراسة قائمة على التنقيب عن الحقائق ـ بغية الكشف عما يفعله الناس فى الناحية الجنسية ـ وعن العوامل التى تتوقف عليها الفوارق فى السلوك الجنسى بين الافراد ، وبين الجماعات . اذ أن هناك وعيا متزايدا ـ منذ زمن ـ لدى كثير من الناس ، للوصول الى معلومات علمية عن الجنس .. معلومات مستقلة تماما عن الاعتبارات الخاصة بالقيم الخلقية ، والعرف الاجتماعى . ويلمس الاطباء البشريون والنفسيون ، وعلماء التحليل النفسى ، ان أغلب مرضاهم فى حاجة الى مايساعدهم على وضع حدود للاضطرابات الجنسية التى تنشأ فى حياتهم . **كذلك يتزايد اليوم عدد الراغبين فى ايجاد وعى متنور فى المسائل التى من قبيل التوافق الجنسى فى الزواج ، والارشاد الجنسى للاطفال ، وتهيئة الشباب جنسيا قبل الزواج ، والتربية الجنسية ، ونواحى النشاط الجنسى التى تتعارض مع العرف ، والمشكلات التى تواجه المعنيين باستغلال الدين ، والعرف ، وقوة القانون ، فى تمكين المجتمع من الاشراف على مسلك الافراد !**

على اننا نحتاج ـ قبل بحث هذه المسائل علميا ـ الى مزيد من الالمام بالسلوك الفعلى للناس ، والروابط التى تربط هذا السلوك بالنواحى المتعلقة بعلم الحياة وعلم الاجتماع فى حياة الافراد .. اذ أن السلوك الجنسى البشرى كان قبل اليوم من أقل النواحى المطروقة فى علوم الاحياء والنفس والاجتماع ،

بحكم ما للعادة والقانون من سلطان على العلماء كأفراد ،ونتيجة للقيود المفروضة على البحث العلمى فى هذه الناحية . **ولسنا ندرى كيف يهتم أى مجتمع بالمسائل المتعلقة بوظائف الجهاز التنفسى ، والجهاز الهضمى ، وغيرهما من أجهزة الجسم البشرى ، ويشيح عن المسائل المتعلقة بالوظائف الجنسية ؟!** ولعل مرجع ذلك الى الارتباط الوثيق - فى حضارتنا - بين الجنس ، والقيم الدينية ، والتقاليد ، والعرف . على أن السلوك الجنسى قد يتجاوز فى أثره أشخاص القائمين به ، الى سواهم ، وربما ألحق الضرر بالنظام الاجتماعى كله

ويتعلل المدافعون عن العرف القائم بالحقيقة المتقدمة ، لتبرير رقابة المجتمع على السلوك الجنسى ، متجاهلين الحقائق التاريخيه المتعلقة بمنشأ هذا العرف . واذا كان المفروض فى القانون الجنائى انه يهدف الى حماية ممتلكات الفرد وشخصه، فهو كفيل - والحال هذه - بأن يوفر للفرد حماية كافية ضد أى عدوان جنسى . ومن ثم فان وجود بنود فى القانون ،خاصة بالافعال الجنسية - فوق مجرد حماية شخص الفرد - دليل على آن هذه البنود انما سنت لحماية العرف ذاته ، وليس لحماية الفرد . ومن هنا نرى ان اخفاق أى عالم فى الذهاب فى دراساته الجنسية الى أبعد مما ذهب اليه العلماء حتى الآن، انما يعتبر فى الواقع انعكاسا لاتجاهات المجتمع وشعوره ازاء هذا الموضوع . على اننا نرى اليوم اهتماما واسع النطاق بما يمكن ان يترتب على القيام بدراسة موضوعية ، تستند الى بحث وتحر للحقائق الخاصة بالجنس ، على أسس علمية بحتة

وهذه الدراسة - التى يتضمنها كتابنا - محاولة لجمع الحقائق والبيانات العلمية فى موضوع الجنس ، دون تأثر بايحاء من الاعتبارات الاجتماعية والخلقية . أى انها دراسة علمية محض ، جمعت بياناتها خلال أحاديث وتحريات مباشرة، مع طوائف من الاهلين ، اقتصرنا فى اختيارهم على سكان

الولايات المتحدة الامريكية ، مراعين فى هذا الاختيار ان يمثلوا سكان الولايات جميعها ، وبكافة ارجائها ، أدق تمثيل . كما روعى ان تتضمن الدراسة مجموعات من حالات تمكن من وصف المناهج الجنسية لكل طبقة من طبقات السكان ، ولكل طائفة من طوائفهم . **ومن ثم فقد تناول البحث اثنى عشر ألف شخص ، خلال المدة من سنه ١٩٣٨ الى سنة ١٩٤٩ . على ان الدراسة تستدعى بحث حالات مزيد من الجماعات ، لتحليل مشكلات شائعة ، أو للالمام بأوضاع خاصة تتعلق بألوان السلوك الجنسى . ومن ثم رؤى ان يتسع نطاق البحث لكى يشمل مائة ألف حالة** . ويقدر الزمن الكافى لدراسة هذه الحالات جميعا ، بعد ان زيد عدد القائمين بجمعها وفحصها ، بعشرين سنة أخرى !

البيض .. والسود !

◆ **أما** الدراسة الراهنة ، فقد اقتصرت على البيانات التى أدلى بها الاثنى عشر ألف شخص السابق ذكرهم ، ومنهم ٦٣٠٠ من الذكور ، بينهم ٥٣٠٠ من البيض !.. وخليق بنا ان نذكر ان هذه دراسة لكافة نواحى السلوك الجنسى للانسان بوجه عام ، وليست للنواحى العضويه والنفسية والاجتماعية وحدها . إذ ان السلوك الجنسى لدى الانسان موضوع يدخل فى اختصاص كل علم . ولهذا روعيت ، فى اختيار الافراد الذين بحثت حالاتهم فى هذه الدراسة ، أمور تتعلق بالناحية الوراثية ، أو بالتركيب الجسدى ، أو بعلم النفس ، أو علم الاجتماع .. الخ . وقد قضينا ساعات طويلة خلال السنوات التسع التى استغرقها هذا البحث ، فى التشاور وتداول الرأى مع مئات من الاخصائيين فى ٣٣ ميدانا من ميادين العلم والتخصص والنشاط الانسانى ، عدا العلماء الذين يعملون معنا بصفة أصلية . ومن هذه الميادين : التشريح ،

وعلم الاجناس ، وعلم الاحياء ، وعلم الغـدد الصماء ، ونمو الاطفال ، والقانون الجنائى ، ومختلف فروع الطب البشرى ، وطب الامراض العصبية ، والطب النفسى ، والتحليل النفسى ، وعلم النفس العام ، وعلم النفس التطبيقى ، والتربية الجنسية ، والامراض السرية .. فضلا عن التشاور مع اخصـائيين من لدن السلطات العسـكرية ، والصحة العـامة ، والخدمات الاجتماعيـة .. الى جانب الاستفتاءات الشعبية العـامة ، والاحصاءات

(ويلى هذا شرح للاساليب التى اتبعت فى الاتصال بالاشـخاص الذين درست حالاتهم ، وفى سـؤالهم واستدراجهم الى الافضاء بالبيانات ، ثم فى فحص تلك البيانات ، وتحليلها ، وصياغة النتائج)

أول دراسة من نوعها .. فى تاريخ البشر !

◆ **وفى** كثير من الدراسات التى نشرت عن الجنس ، نلمس خلطا واضحا بين القيم الاخلاقية ، والنظريات الفلسـفية ، والحقائق العلمية . كما نرى ان الاهتمام بتبويب أنواع السلوك الجنسى ، للوصول الى قواعد عامة شاملة .. هذا الاهتمـام عدا على التعريفات والتحديدات العلمية للحقائق التى تهدف اليها تلك الدراسات . ومن هنا كان لابد من عمل دراسـة للسلوك الجنسى لدى الانسان ، عـلى أسس أسلم من كـل الدراسات السابقة

وليست بنا حاجة هنا الى ان نورد الصعاب ، والعقبـات ، والاجراءات التى اكتنفت فحص البيانات فى أضـواء العلوم المختلفة ، ولا الاسـاليب العلميـة التى اتبعت فى الفحص واستخلاص النتائج ، اذ أنها لا تهم القارىء العادى فى قليل أو كثير ، بل انها قد تربكه ، وتعرقل أمامه سبل تفهم النتائج

الصافى لهذه الدراسات الفذة ، التى تعتبر أول دراسات من نوعها فى تاريخ الجنس البشرى ، من حيث اتساع نطاقها ، ودقة أساليبها ، وخطورة البيانات التى تجلت خلالها !

وهذا الكتاب ، هو الجزء الاول من سلسلة من الكتب التى ستتضمن دراسة السلوك الجنسى لدى البشر • ويختص هذا الجزء بدراسة السلوك لدى الذكور

٦ مصادر لتحقيق ذروة الشعور الجنسى !

◆ **قد** يتألف النشاط الجنسى لدى أى فرد ، من مجموعة متباينة من الاعمال والتجارب التى يصل جزء منها الى أوجه عندما يتحقق مايعرف بسورة الشهوة ، أو ذروة الشعور الجنسى • **وهناك ستة موارد رئيسية لتحقيق هذه الذروة ، هى : (١) التهييج الذاتى (العادة السرية) ، (٢) الاحلام التى تواتى النائم وتصل به الى أوج الشهوة الجنسية ، (٣) الغزل الذى يجرى بين أفراد الجنسين ويصل بهم الى ذروة اللذة الجنسية دون اتصال مباشر (أى دون جماع) ، (٤) الاتصال الجنسى المباشر بين الجنسين ، (٥) الاتصال الجنسى المباشر بين فردين من جنس واحد ، (٦) الاتصال الجنسى المباشر بين انسان ومخلوقات أخرى ، كالحيوان ! ••** وقد تكون هناك موارد أخرى للذة الجنسية ، ولكنها نادرة ، وتافهة القيمة

وتتطلب الاتصالات الجنسية لدى الذكر المراهق أو البالغ اضطرابات بدنية فى كل الحالات تقريبا ، تعرف بالتهييج الشهوانى • وهى ظاهرة تحدث أيضا فى كثير من نشاط ماقبل المراهقة ، وان كان بعض اللهو الجنسى الذى يصدر عمن هم أصغر من ذلك سنا ، يخلو من الاحساس باللذة الجنسية • والحافز الجنسى قبل المراهقة أكثر شيوعا بين الذكور منه بين الاناث ، حتى ان كثيرات من صغار الاناث ـ

بل وقسما من الكبيرات والمتزوجات ـ قد يشتركن فى بعض أوجه النشاط الجنسى ـ كالغزل ، بل والجماع ـ دون ما رد فعل شهوانى !٠٠ والتهييج الشهوانى ظاهرة مادية تتضمن عددا لا حصر له من التغيرات البدنية ، والطبيعية ، والنفسية، يمكن قياس كثير منها بأجهزة ووسائل المعامل ، لو توفر لدى الرأى العام تقدير الابحاث العلمية ٠ والآثارة بالحركات المنظمة ، هى المصدر العملى الرئيسى لهذا التهييج لدى الحيوانات الثديية ، بما فيها الانسان ٠٠ ولكن الثدييات الراقية ،لاسيما الانسان ، أسرعها تكيفا بتجاربها فى هذا الصدد ، أو تجارب سواها ، بحيث تصبح الاثارة النفسية هى المورد الاكبر لاثارة الشهية لدى كثيرين من الكبار ، لاسيما اذا كان الشخص منهم متعلما ، أو اذا كانت قواه الذهنية مدربة ، مرهفة ٠ وهناك أشخاص يصلون ـ فى بعض الاحيان ـ الى ذروة اللذة بالاثارة النفسية وحدها !

مظاهر الاثارة الحسية !

● **والاثارة** الحسية ، أو الشهوانية ، تحدث أيا كان مصدرها طائفة من التغيرات « الفسيولوجية » ـ أى المتعلقة بوظائف أعضاء الجسم ـ تتضمن بقدر ما نعلم ، حتى الآن ، نشاطا فى افرازات الغدتين القائمتين فوق الكليتين (الادرينال)، وبعض حركات لاارادية ، وتزايدا فى معدل النبض ، وازدياد ضغط الدم ، واشتداد فى الدورة الدموية مما يرفع درجة الحرارة فى بشرة الجسم ، كما يتدافع الدم الى الاجزاء المطاطة من الجسم كجفنى العينين ، والشفتين ، وشحمتى الاذنين ، وحلمتى الثديين ، وعضو الذكورة ـ لدى الذكور ـ والبظر وشفرى الفرج الكبيرين وجدران المهبل ـ لدى الاناث ـ فضلا عن تناقص جزئى ، ولكنه كبير نسبيا ، فى قوى الحواس ، واشتداد فى التوتر العصبى ، وتصلب الى حد ما فى بعض

أجزاء الجسم ، أو فى كل الجسم ، عندما يصل التوتر أقصاه، ثم .. تنطلق الاعصاب فجأة من اسار التوتر ، فتحدث تشنجات موضعية ، أو اختلاجات شاملة ، قوية . وهذه هى اللحظة المعروفة لدى علماء الاحياء باسم «سورة الشهوة » ، أو « ذروة الانتصاب » !

ولا يفطن الشخص عادة لهذه التغيرات ، ما لم يكن معنيا بها من الناحية العلمية ، لاسيما وان انصرافه الى ملاحظة نفسه يفقده كثيرا من مقدرته الحسية ، أثناء بلوغ التهيج أقصاه . وكل ما قد يفطن اليه ، هو ـ كما جاء فى تعبير من فحصنا حالاتهم ـ « فورة » أو « اهتياج المشاعر » ، دون درايه بما فى هذه الحال . ويفهم من اجابات من سألناهم ، ان الرجل العادى ، والعالم ـ على السواء ـ يعزوانها الى المشاعر ،وليس الى اضطراب فى وظائف الاعضاء

وأهم نتائج « سورة الشهوة » الجنسية ، هو التخلص فجأة من التوتر الشديد ، وعودة الجسم بغتة الى حالة عادية ، أو أقل من العادية . وقذف افرازات « البروستاتا »والحويصلات المنوية عن طريق مجرى البول وعضو الذكورة ، هو النتيجة العادية للتقلصات التى تصيب هذه الاعضاء عند سورة الشهوة، لدى الذكور الناضجين . على ان هذه السورة قد تحدث دون ان يحدث قذف منوى ، وهذه هى القاعدة لدى الذكور والاناث الذين لم يبلغوا سن المراهقة ، ولدى فئة ضئيلة من الذكور البالغين (١١ من ٤١٠٢ فى الحالات التى فحصناها) المصابين بقصور فى القذف ، أو الذين يكبحون أعضاءهم الجنسية لمنع القذف !.. ومع ذلك ، فان التهيج الشهوانى لدى الصبية ـ من ذكور واناث ـ يتضمن نفس النتائج التى يستشعرها الكبار ، فيما عدا القذف . واذا كان من الممكن بلوغ سورة الشهوة ، دون ان يعقبه قذف ، فان من المشكوك فيه ان يحدث القذف دون ان يسبقه بلوغ سورة الشهوة ، فى الاحوال

العادية · على ان فى الحالات التى فحصناها ، أزواجا صرحوا بأنهم يصلون لحاله القذف ، دون ان يستشعروا لذة من الجماع ، كأن يكون هذا الجماع مع زوجات لا استجابه لديهن، أو مع بائعات الهوى · وهناك ذكور يصرحون بأنهم « لم يبلغوا التهيج الشهوانى مطلقا ! » فى العلاقة الجنسية الشاذة ، الضالة ، التى تحدث بينهم وبين أفراد من جنسهم !

تباين سلوك الافراد الجنسى !

• **ويتباين** السلوك خلال « سورة الشهوة » تباينا كبيرا باختلاف الافراد ، كما تتباين النواحى الاخرى للسلوك الجنسى فى أى قوم · على ان أوصاف « سورة الشهوة » فى الكتب الطبية ، وكتب الزواج ، وغيرها ، تتشابه تشابهها كبيرا · ويرجع هذا الى نقص خبرة المؤلفين ، والى اخفاقهم فى البحث عن التباين أثناء حصولهم على البيانات من الاشخاص الذين يبنون عليهم دراساتهم · ومن هنا لم يفطنوا الى الدقة اللازمة عندما يزجون النصائح للاشخاص المتباينين ، فيما يتعلق بتحقيق التوافق الجنسى ، والاساليب الجنسية فى الزواج · **فالواقع ان هناك تباينا كبيرا بين البالغين · ومن الطريف ان هناك تباينا لايقل عنه بين الاولاد الذين لم يبلغوا سن المراهقة · وقد ذكر أحد من فحصنا حالاتهم ، ان النهج الذى يألفه الشخص الذكر ـ فيما قبل المراهقة ـ عند بلوغه سورة الشهوة ، يظل يلازمه بنفس المظهر بعد المراهقة ·** ويبدو ان التباين فى مناهج استجابة الاشخاص لسورة الشهوة ، انما يتوقف ـ الى حد ما ، على الاقل ـ على الاختلافات الطبيعية فى التركيب البدنى للاشخاص

على أن آلاف الحالات التى درسناها تضمنت تفصيلات كثيرة عن طبيعة « سورة الشهوة » ، وهى ـ الى جانب البيانات التى حصلنا عليها من أفراد كبار فى السن ، على علاقات جنسية

بأولاد صغار ! – توفر لنا مادة لوصف مختلف أنواع الاستجابة أو النشاط ، التى تحدث فى هذه الحالة :

أولا – نشاط يصيب الاعضاء الجنسية أصلا .. فلا توتر جسدى يذكر ، أو لا توتر مطلقا فى أعضاء الجسم الاخرى ، ويكون بلوغ ذروة الشهوة فجائيا ، ودون تدرج يذكر ، أو دون تمهيد على الاطلاق ، وانما يتصلب عضو الذكورة ، وقد تنتابه اختلاجات خفيفة ، أو تقتصر الاختلاجات على مجرى البول . وينساب المنى – من البالغين – عن طريق مجرى البول ، دون قذف قوى ، ثم تنقضى السورة فلا تخلف سوى آثار طفيفة . وينتمى لهذا النوع ٢٢ فى المائة من الاشخاص الذين لم يدركوا سن البلوغ ، ممن درسنا حالاتهم ، كما تنتمى اليه نسبة أكبر من المتقدمين فى السن

ثانيا – حدوث بعض التوتر فى الجسم .. ويتضمن عادة انقباضا أو التواء فى الساقين والفم والذراعين وبعض الاعضاء الاخرى ، مع تدرج فى الوصول الى سورة الشهوة ، وتصلب فى الجسم كله ، وبعض اختلاجات فى عضو الذكورة ، ثم تشنجات قليلة عند بلوغ السورة ، ولكن لاتبقى آثار من هذا بعد انقضاء السورة . وهذا أكثر الانواع شيوعا ، وينتمى اليه ٤٥ فى المائة من الذكور غير المراهقين ، ومثلهم تقريبا من البالغين

ثالثا – حدوث توتر بالغ الشدة ، واختلاجات عنيفة ، كثيرا ماتتضمن انتفاضات فجائية فى الجسم كله .. وكثيرا – أيضا – ماتتصلب الساقان وتتقلص عضلات البطن وتتصلب ، وتجمد الكتفان والعنق مع ميل الى الامام فى كثير من الاحوال ، ويتعذر التنفس أو يتهدج ، وتجمد العينان أو تغمضان بشدة ، وتسرى فى الجسم كله ، أو أجزاء منه ، التواءات تشنجية ، تصحبها أحيانا اختلاجات أو انتفاضات عنيفة فى عضو الذكورة . وقد يكون للشخص بعض سيطرة ضئيلة على هذه الحركات غير

الارادية ، مع سعى تدريجى ، بطىء أحيانا ، نحو ذروة الشهوة التى تتضمن ارتجافات عنيفة تصيب الجسم كله ، وتنفس عسير ، وأنين ، وبكاء ، او عويل تصاحبه دموع غزيرة أحيانا (لاسيما لدى صغار الصبية) • ويستغرق القذف عدة دقائق فى كثير من الحالات •• ويكون الشخص عادة قادرا على اعادة العملية مرة ثانية ، أو أكثر من مرة • والى هذا النوع ينتمى ١٧ فى المائة من الذكور غير البالغين ، الذين درسنا حالاتهم ، ونسبة أقل من البالغين

رابعا ـ نفس حالات النوع الاول أو الثانى ، مع ضحكات هستيرية ، وحديث ، وحركات « سادية » ـ (أى تصدر عن رغبة فى الايلام) ـ أو « ماسوشيسية » ، أى تصدر عن لذة فى التعرض للالم ، تنتهى الى نوع من الحركات المخبولة تستمر حتى بلوغ ذروة الشهوة • وينتمى الى هذا النوع ٥ فى المائة من غير البالغين ، ومثل هذه النسبة من البالغين

خامسا ـ نفس الحالة السابقة ، ولكنها تنتهى بارتجاف شديد العنف ، ثم انهيار ، وشحوب بالغ ، واغماء أحيانا • وفى أحيان أخرى ، لايحدث هذا الا عند أول تجربة للفرد ، أو فى فرص طارئة خلال حياته • وهذه الحالة غير منتظمة الا لدى ٣ فى المائة من غير البالغين أو من البالغين ، ولكنها أكثر شيوعا بين الاناث

سادسا ـ الشعور بالالم أو بالخوف عند الاقتراب من ذروة الشهوة •• ويصبح العضو التناسلى لدى كثير من البالغين شديد الحساسية فجأة عند الذروة وبعدها ، ويعانى بعضهم آلاما مبرحة ، وقد يصرخون اذا مس العضو • ومنهم من يشعر بهذه الحال قبل السورة ، فيحاول الابتعاد عن شريكه فى العملية ، وربما بذل محاولات عنيفة لتفادى بلوغ السورة ، وان شعر بلذة من هذه الحال • على انه سرعان مايعود الى اتمام

العملية ، وقد يكررها • وينتمى الى هذا النوع ٨ فى المائة من الصبية الصغار ، ونسبة أصغر من الصبية الكبار والبالغين

فضول ٠٠ لرؤية المناطق المستورة !

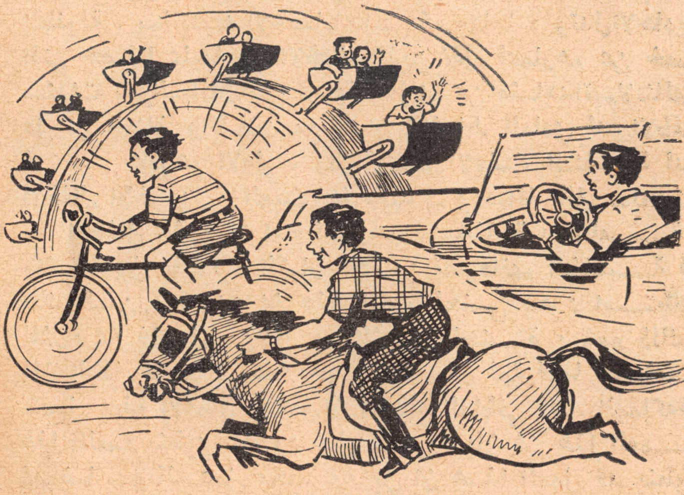
• **تؤكد** الدراسات التى قمنا بها مع أطفال صغار ، ومع آبائهم ، على أن كثيرا من الاتجاهات التى تحدد نوع السلوك الجنسى للشخص فى بلوغه ، انما تنمو وتتطور معه فى صغره • ولقد ذهب « فرويد » الى ان كل الاثارة التى تنشأ عن اللمس ، والاستجابة له ، انما تقوم على أسس جنسية • ويبدو أن ثمة قدرا كبيرا من الصحة فى هذا القول • فقد أصبح من الواضح ان السلوك الجنسى للشخص البالغ ، انما ينشأ عن أنواع معينة من العبث بالاعضاء التناسلية فى الطفولة ، مما تثبته الاحصاءات التى أجريناها • **وتدل الاحاديث التى حصلنا عليها من الاطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات ، والبيانات التى قدمها آباؤهم عن مشاهداتهم لابنائهم ، على ان العناق والقبلات من ألوان النشاط العادى لدى الاطفال فى سنى عمرهم الاولى ، وان كشف الاعضاء التناسلية لدى الاطفال الآخرين ، والعبث بها باليد ـ وأحيانا بالفم ـ يحدثان من الاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والخامسة ، بكثرة تفوق مايذكره الكبار عادة من تصرفاتهم الخاصة فى تلك السن • ويبدو ان هذا اللعب الجنسى مجرد استطلاع ناشىء عن فضول ، وخال من الشهوة الجنسية • ومع ذلك ، فان الطفل يتعلم فى سن جد مبكرة ، ان ثمة قيما اجتماعية تتصل بهذه الاعمال ، كما ان انفعاله العاطفى أثناء انهماكه فى هذا اللعب ينطوى على رد فعل لشعوره بأن فى هذا العمل غموضا ، وبأنه عمل محرم ٠٠ بل ان هذا العمل قد ينطوى أحيانا على استجابة شهوانية ، ويؤدى الى بلوغ حالة السورة لدى الصبى !**

وقد يحدث انتصاب العضو التناسلى لدى الطفل عقب مولده مباشرة ، كما تلاحظ كثيرات من الامهات . كذلك فان أتفه اثارة للعضو أو التوترات البدنية العامة ، والمواقف العاطفية فى الحياة اليوميه ، تؤدى الى انتصاب مباشر ، ولو لم يكن هناك دافع جنسى معين لهذا الانتصاب . وتظهر الطبيعة العامة لذلك ، آذا نحن تأملنا قائمة من المثيرات غير الجنسيه ، كهذه التى ننشرها فيما يلى :

مصادر غير جنسية للتهيج الشهواني بين غير المراهقين والحديثي البلوغ أسباب بدنية أو عضوية

الاحتكاك بالملابس
الاستحمام بالدش

لمس الكهرباتى
ركوب العجلة الدوارة فى الملاهى



رسم يمثل بعض الالعاب أو العوامل المادية التى تؤدى الى الاثارة الجنسية لدى الصبية

الحـــوادث
قيادة السيارات بسرعة
التزحلق على الجليد
التغير المفاجىء فى البيئة
حركة السيارات أو الاوتوبيس
المصارعة والملاكمة
ركوب الجياد
ركوب المركبات الانزلاقية السريعة
قيادة الدراجات بسرعة
ركوب الطائرات
الجلوس فى الكنيسة
التبـــول
الغوص من مكان مرتفع
السباحــــة

أسباب أساسها الانفعال العاطفى

الفـــزع
الخوف من سطو شخص غريب على البيت
وقوع حوادث على مقربة
الوصول للمدرسة متأخرا
« تسميع » الدرس فى الفصل
الوقوف أمام تلاميذ الفصل بأمر المدرس
الوصول الى البيت متأخرا
اشعال النار فى حقل
مشاهدة الالعاب المثيرة
ممارسة الالعاب المثيرة
طوابير استعراضات الجنود
سماع نداء الباعة على الملاحق الصحفية
سماع شخص يصرخ
الوحدة بالليل
ممارسة العزف الموسيقى المنفرد
فقد التوازن على ارتفاع
رؤية سلالم البيت الطويل
رؤية الاطلال من قمة مبنى
مشاهدة طائرة تؤدى حركات بهلوانية
رؤية الصبى اسمه مطبوعا
مطاردة البوليس للصبى
الغضب
سماع الفرق الموسيقية
الحرائق الكبيرة
الاختبارات المدرسية
رؤية البوليس
تسلم شهادات الفترة
سماع مقذوف نارى
مشاهدة أفلام الحرب
مشاهدة الافلام الاخرى
خشونة القول
الخوف من العقاب
سماع قصص المغامرات
الخوف من صبى آخر
سماع السلام الوطنى
السقوط من ارتفاع بسيط
القصص البوليسية
دخول بيت خال
العثور على نقود
الفرار من البيت

الاحلام الليلية التى تدور حول القتال ، والحوادث ، والوجود مع حيوانات متوحشة ، والسقوط من أماكن عالية ، ورؤية العمالقة ، والفرار من مطاردين ، والذعر

المواقف الجنسية التى تثير الصبية قبل سن المراهقة بعد دراسة حالات ٢١٢ صبيا

رؤية الاناث	١٠٧	الاتصال الجسدى بالاناث	٣٤
التفكير فى الاناث	١٠٤	قراءة قصص الحب	٣٢
النكات الجنسية	١٠٤	رؤية الاعضاء الجنسية لذكور	٢٩
الصور الجنسية	٨٩	مشاهدة التمثيليات أوالافلام الماجنة	٢٣
صور الاناث	٧٦	رؤية حيوانات فى جماع	٢١
رؤية الاناث فى الافلام	٥٥	مراقصة الاناث	١٣
رؤية الصبى نفسه عاريا فى المرآة	٤٧		

وهكذا يهتاج الصبى غير البالغ للمواقف الناشئة عن الانفعالات العاطفية السابق ذكرها ، سواء أكانت حسية أوغير جنسية ، ولكنه اذا ما اقترب من العام العشرين من عمره ، يصبح مهيأ بحيث لايهتاج الا بالاثارة المادية لاعضاء التناسل ، أو المواقف التصورية ذات الطابع الجنسى • وبالنسبة للاشخاص الكبار ، تغدو هذه العوامل ـ حتى الاثارة المادية ـ نادرة التأثير ، ما لم يصحبها جو من الاستعداد النفسى • وهكذا تتحول الطاقة البدنية الاصلية العامة ، فتصبح ـ بالتجربة والتكيف وفقا للتجربة ـ جنسية بالشكل الذى يعرفه البالغون •• وتتخذ عوامل التهييج الشهوانى شكلا « جنسيا نفسيا »

كيف يثبت الذكور كفاءتهم ؟!

• **ولقد** اعترف ٧٠ فى المائة من الصبية الذين لم يبلغوا سن المراهقة ـ ممن درسنا حالاتهم ـ بأنهم مارسوا بعض

العبث بالاعضاء التناسلية لصبيه آخرين أو لفتيات · أما بين الفتيات المماثلات فى السن ، فلم تمارس هـذا العبث سوى نسبة لاتزيد على ١٤ فى المائة فقط · ومعظم هـذا العبث الجنسى السابق للمراهقة ، يحدث بين سن الثامنة وسن الثالثة عشرة ، وان كان بعض أنواع هذا العبث يحدث فى كل مراحل الطفولة المبكرة حتى سن المراهقة · وقد اقتصر هذا اللعب لدى ٢٤٫٣ فى المائة من الصبية على عام واحد ، و١٧٫٩ فى المائة على سنتين ، و١٠٫٤ فى المائة على ثلاث سنوات · وعدم امتداد مثل هذا العبث لابعد من ذلك دليل على أثر الثقافة ، لانه فى الحيوانات الشبيهة بالبشر كثير الحدوث ، ويستمر حتى الممارسة الجنسية بعد البلوغ · وكثيرا ماتكون التجربة الاولى للصبى مع صبى آخر – أو فتاة – يكبر فى السن قليلا ·· فالكبار يعلمون الصغار ، حتى فى الامور الجنسيه · وتضم البيانات التى جمعناها حالات تم فيها الاتصال الجنسى بين صبية غير بالغين وأناث بالغات ، وهناك حالات أكثر من هذه ، كان الاتصال مع ذكور بالغين !

والاتصال الجنسى بين الصبى وشخص من جنسه ، أكثر – فى الحالات التى درسناها – منه بينه وبين الاناث · وذلك لما يبثه النظام الاجتماعى فى نفسه من عزوف عن الفتيات ، ولاعجابه بأن يظهر ذكورته – لاسيما مع من يكبره – ولرغبته فى آن يفاخر الصبية الذين يكبرونه بها !·· ومن ناحية أخرى فان أعضاء الذكورة تستثير اهتمام الصبية الصغار ، سواء من الناحية التشريحية أو من ناحية وظائفها ، الى درجة لا نجدها عند الكبار ، الذين تكون مشاعرهم قد اتجهت نحو الجنس الآخر

ويذكر ٤٨ فى المائة من الذكور الكبار ، وحوالى ٦٠ فى المائة ممن لم يكونوا قد بلغوا سن المراهقة – حين قدموا الينا

بياناتهم ـ انهم قاموا ببعض الاتصال الجنسي مـع أفراد من جنسهم ، قبل البلوغ • ومتوسط العمر الذى يبدأ فيه مثل هذا الاتصال لاول مرة هو ٩ سنوات وربع !

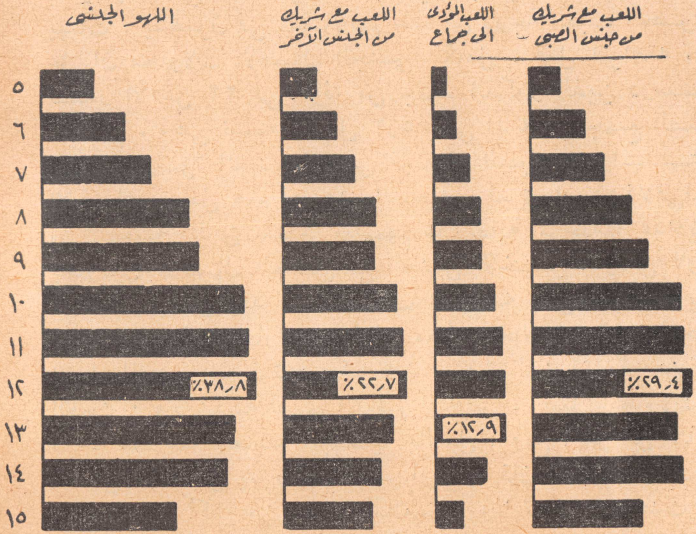
على ان ٩٩ر٨ فى المائة من هذه الحالات تقتصر عـلى كشف الاعضاء التناسلية وعبث الطرف الآخر بها ، دون ما نتيجه جنسية أو تهيج شهوانى • أما أقصى أنواع الاتصال ، فيحدث بين صبية يجتازون سن المراهقة ، وصبية يصغرونهم ، لاسيما اذا كان الاولون قد اكتشفوا معنى العادة السرية ، وتوصلوا بممارستها الى بلوغ « ذروة الشهوة » • ففى مثل هذه المرحلة من العمر ، يشعر الصبى بقيمة اجتماعية لاثبات كفاءته !•• وكم من صبى يميل الى عرض فنونه فى العـادة السرية أمام صبى واحد ، أو عدد من الصبية معا !•• وفى الحالة الاخيرة، قد يشترك الصبيه فى عرض فنونهم ، لاسيما وان وجـود الصبية الآخرين يزيد من تحمس الصبى لذلك • وقد تلازمهم هذه الظاهرة فيما بعد ، اذ يوجد فى المدارس الثانوية والعليا أفراد لايمارس الواحد منهم العادة السريه الا فى وجود زميل له ، ولكن دون حدوث اتصال شخصى بين الاثنين •• وهذه الحالة، رغم ذلك ، تدخل فى نطاق الشذوذ الجنسى ، أو العـلاقة الجنسيه بين فردين من جنس واحد •• ثم انها تقود الى الخطوة التالية ، وهى عبث كل منهما بأعضـاء الآخر ، وهى ظاهرة تتفشى بين ٦٧ر٤ فى المائة من الذكور الذين لم يستكملوا بلوغهم • أما الاتصال بين صبى وآخر ، ممن مارسـوا ألوان الشذوذ الجنسى ، فقد ورد فى أقوال ١٧ فى المائة من غـير البالغين ، كمـا ورد فى أقوال ١٦ فى المـائة من البالغين ، ممارستهم للاتصال بالفم • وصغر النسبة فى الحالتين يرجع الى شعور الصبية أن هذه الالوان من النشاط محرمه فى المجتمع!

والشذوذ الجنسى قبل المراهقة ، يمتد فى حوالى النصف من الحالات ، الى مابعد المراهقة والبلوغ • وهذه النسبة تتوقف

على مستوى التعليم · فهى تظل ٥٠ فى المائة عند ذوى المستوى التعليمى المنخفض ، أما بين الذين ينتقلون الى مرحلة الدراسة الثانوية ، فلا تبقى الا عند صبى من كل أربعة صبية !

سن الاتجاه الى الجنس الآخر !

◆ **ومتوسط** السن التى يبدأ فيها العبث الجنسى بين صبى وفتاة من الجنس الآخر ، هو ٨ سنوات وعشرة شهور ، أى قبل متوسط سن الشذوذ الجنسى بخمسة شهور · ومع ذلك فان النشاط مع الجنس الآخر لايشاهد بين الذين لم يبلغوا سن المراهقه الا فى ٤٠ فى المائة من الحالات · ويبدأ العبث — كما فى الحالة الاخرى — بكشف الاعضاء الجنسيه ، ويقتصر



رسم بيانى يمثل النسبة المئوية للذكور الذين يمارسون اللهو الجنسى فى مرحلة ما قبل البلوغ

الامر على هذا لدى ٢٠ فى المائة من الصبيه الذين يمارسون هذا العبث ٠٠ **وهناك فضول لدى الصبية من كل من الجنسين، للتعرف على الاعضاء الجنسية لدى الجنس الآخر ، وهوفضول تذكيه القيود التى يفرضها المجتمع على كشف الاعضاء التناسلية لكل من الجنسين أمام الجنس الآخر ٠٠ اذ ان حرص الاهل على اخفاء الاعضاء التناسلية لبنات الاسرة عن عينى الصبى يستثير فضوله ، لاسيما فى الاوساط التى يسمح فيها للصبى بأن يظهر أمام الغير شبه عار ، حتى سن البلوغ ، بينما يبذل حرص ظاهر فى تغطية جسم الفتاة بالثياب مذ تبلغ الرابعة أو الخامسة من عمرها !**

و٨١ر٤ فى المائة من الصبية غير البالغين ، الذين يتصلون ببنات ، يذهبون فى اتصالاتهم هذه الى درجة العبث العضوى ٠ على ان محاولات الاتصال الجنسى الكامل ، قبل المراهقة ، لم تصدر الآ عن ٢٢ في المائة من جميع الذكور الذين درسنا حالاتهم ، وهى نسبة تشمل ٥٥ر٣ فى المائه من جميع الصبية الذين مارسوا العبث الجنسى قبل البلوغ ٠ والمستوى الاجتماعى عامل هام فى هذه الناحية ، فنرى ان ٧٤ر٤ فى المائة من الصبيه الذين يقتصر تعليمهم على نهاية المرحلة الاعدادية ، يحاولون الاتصال الجنسى مع الجنس الآخر ، ولكن ٢٥ر٧ ـ فقط ـ ممن يعدون لاستئناف الدراسه بالمرحلة الثانوية ، يمارسون هذه المحاولات ٠ وفى معظم الحالات ، تكون التجربه الاولى للصبى مع فتيات يكبرنه ، وسبق لهن ان مارسن هذا العبث ٠ وبالنسبة لذوى التعليم الناقص ، تصل المحاولات الى درجة ممارسة العملية الجنسية بالفعل ، ومع أكثر من فتاة ٠ أما فى حالة من يتاح لهم تعليم أرقى ، فان المحاولات قد لا تصل الى أكثر من مجرد التلامس ، ولا تعدو ان تحدث مرة أو اثنتين فقط ، ومع فتاة أو اثنتين

وهذا التباين الواضح ، والمرتبط بمستوى التعليم قبل المراهقة ، يبرز مدى الاهمية القصوى التى تتوقف على التفكير فى وضع برنامج للتربية الجنسية

ويستمر ثلثا الصبية الذين يمارسون العبث الجنسى مع أفراد من الجنس الآخر ، فى مواصلة اتصالاتهم هذه بعد البلوغ ، متجهين فيها الى الغزل أكثر منهم الى الجماع . ومرة أخرى ، يبدو هنا الاثر الكبير للمستوى الاجتماعى . فان ثلاثة أرباع الذين عرفوا الجماع قبل البلوغ - ممن اقتصروا على الدراسة الاعدادية - يستمرون فيه أثناء المراهقة وبعدها .. أما الذين أعدوا لاستكمال الدراسة ، فلا يستمر منهم فى هذا النوع من الاتصال الجنسى سوى مايقل عن ٢٠ فى المائة .

وهنا نرى أن للجماعة والوسط أثرا كبيرا ..

علاقة البشر بالحيوان !

◆ **أما** الاتصال الجنسى بالحيوان ، فيقتصر فى الغالب على الصبية الذين يعيشون فى الريف . والثلث ممن مارسوه ، بدأوا تجربتهم الاولى فى سن التاسعة ، ولكن حالات النشاط تزداد بين من تتراوح أعمارهم بين ١٠ و ١٢ سنة ، ولا يصل المستوى فى أية مرحلة اخرى من العمر الى مايصل اليه فى هذه المرحلة بالذات . **والذين يمارسون العلاقة مع الحيوان قبل البلوغ ، يستمرون فى ممارستها بعد البلوغ .. على طول الخط !**

وبلوغ ذروة الشهوة - كما ذكرنا من قبل - ليس نادرا بين الصبية ، قبل المراهقة ، كما انه يحدث بين البنات . ولما كان هؤلاء الصبية عاجزين عن القذف ، لذلك نجد ان كل ما كتب فى هذا الصدد من قبل ، ناقص . ومع ان البيانات التى حصلنا عليها ليست كاملة الى الدرجة التى تمكننا من استنتاج فكرة

عامة بالنسبة لاهالى الولايات المتحدة جميعا ، الا ان بعض الصبيه الذين ساهمت بياناتهم فى دراستنا هذه ، وصفوا حالات شعروا بها قبل البلوغ ، لامجال للشك فى انها « ذروة الشهوة » ٠ وخير ماحصلنا عليه فى هذا الصدد ، هو ما أفضى به فتيان بالغون ، كانت لهم اتصالات بصبية يصغرونهم ، واستطاعوا على ضوء معرفتهم بعد البلوغ ، ان يفسروا ما كان يعترى أولئك الصبية ٠ ومن البيانات التى جمعناها من ملاحظة ٣١٧ صبيا غير بالغ ، نلمس وجود قدر كبير من الطاقة الجنسية لدى أولئك الصبية ٠ وقد عرف معظمهم « ذروة الشهوة » كهدف وغاية ، رغم صغر أعمارهم ، ومنهم من كان يلجأ الى العدوان والقوة فى سبيل الاتصال الجنسى ٠٠ ولوحظ ان معظمهم كان معرضا لمراقبة وقيود شديدة من أولياء أمورهم !

الطاقة الجنسية تولد مع الانسان !

• **ولقد** لوحظت حالة « ذروة الشهوة » لدى صبية فى مختلف مراحل العمر ، ابتداء من ٥ أشهر ، الى سن المراهقة ! وهى صورة طبق الاصل مما يلاحظ لدى البالغين ، فيما عدا القذف ٠ وترجع هذه الحالة ـ كما ذكرنا من قبل ـ الى سلسلة من التغيرات النفسية ، والى اهتزاز الجسم فى حركات منتظمة ـ مثل حركة السيارة ـ تؤدى الى نبضات دافعة فى المثانة وعضو الذكورة ، والى تغيرات واضحة فى طاقة الحواس ، والى توتر العضلات ، ثم انطلاقها فجأة من اسار التوتر مع اختلاجات وتقلصات ٠٠ ثم تختفى هذه الظواهر تماما ٠ وقد لوحظت هذه الظواهر عند الاطفال المشاكسين والكثيرى البكاء ، كما لوحظ انهم يهدأون بعد انتهائها ٠ **وقد روقب ١٦ طفلا من الذكور الذين لم يتجاوز عمر أكبرهم ١١ شهرا ، فوجد ان ٧ منهم بلغوا « ذروة الشهوة » فى انفعالاتهم هذه ٠ كما روقبت حالات**

خمسة من الصبية الذين لم يبلغوا سن المراهقة ، وامتدت المراقبة شهورا ، بل أعواما فى بعض الحالات ، حتى بلغ كل منهم السن التى يستطيع فيها أن يدرك حالة « ذروة الشهوة » ، فكانت النتيجة فى جميع الحالات ، ان السلوك المفضى الى هذه الحالة فى كبرهم ، يشبه تماما ما كان يحدث فى صغرهم !

واذا نحن حاولنا أن نصل الى قاعدة عامة ـ بالنسبة لسكان الولايات المتحدة جميعا ـ فى هذا الصدد ، وجدنا ان الصبية الذين يبلغون ذروة الشهوة فى سن مبكرة قبل المراهقة ، فئة ضئيلة ، يتعرض أفرادها لظروف تنطوى على اختبار لطاقتهم ومقدرتهم . على ان هذه الفئة ـ برغم ضآلتها ـ تثبت أن كثيرا من الاطفال الذكور ، والصبيه ، قادرون على بلوغ « ذروة الشهوة » ، وان من المؤكد أن نصف الصبية ـ بل أكثر من النصف ـ يمكن أن يصلوا الى « الذروة » وهم فى سن الثالثة أو سن الرابعة ، وان كلهم تقريبا يستطيعون مثل ذلك قبيل بدء المراهقة بخمس سنوات ، اذا كانوا يعيشون فى مجتمع لاتقوم فيه موانع وقيود !.. وأغرب ناحية فى هؤلاء ، مقدرتهم على تكرار بلوغ ذروة الشهوة فى فترة محدودة من الزمن ، وهى مقدرة تفوق حتما ما لدى الفتيان الذين تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والعشرين ، والذين يكونون بدورهم أقدر من الذكور الذين تجاوزوا العشرين . وقد وجد بالمشاهدة ، ان من الاطفال الذكور من يتكرر بلوغه هذه الحال ١٠ مرات فى ساعة من الزمن ، وهو فى الشهر الحادى عشر من عمره !

وهذه البيانات جميعها تعزز صحة ماذهب اليه « فرويد » من ان الناحية الجنسية توجد لدى الحيوان البشرى منذالطفولة المبكرة ، وان كانت لاتقوم دليلا على صحة مارآه من ان ثمة مرحلة من مراحل التهييج الشهوانى العام تسبق أى نشاط تناسلى معين

على أن ثمة علماء ينفون وجود الناحية الجنسية فى الاعراض

التى تظهر على الاطفال والصبية الصغار ، ويرون انه وان كان الاطفال يمارسون أعمالا تشبه العادة السرية ، ويبحثون عن زميل للمشاركة فى العبث بالاعضاء التناسلية ، الا ان هذا لايقوم دليلا على أن أعمالهم تقترن بلذة جنسية معينة ، وان استمرأها الاطفال . **على اننا نختلف عن هؤلاء العلماء ، بأننا لم نصل الى ماوصلنا اليه من نتائج الا بالمشاهدة ، والاختبار ، وسؤال من يستطيعون الادلاء ببيانات . وان وجود الطاقة الجنسية المبكرة ليطابق تماما ما اكتشفه العلماء لدى الحيوانات الثديية الاخرى ، فلا عجب اذا وجدناها لدى الانسان ، وهو من هذه الحيوانات !**

ارتفاع المستوى الاجتماعى يسمو بالاحاسيس الجنسية !

◆ **وهكذا** تبدأ الحياة الجنسية لدى الآدمى الذكر ، فى الطفولة المبكرة ، وتستمر فى النمو باطراد حتى تبلغ أقصى نشاطها فيما بين الخامسة عشرة والعشرين من عمره . على ان معدل النمو يزداد سرعة فيما يسمى بـ « فترة المراهقة » ، فيكتسب الصبى مظاهر الرجولة ، ويبدأ فى قذف الحيوان المنوى الناضج ، مما يؤدى الى الاخصاب اذا ما اتصل ببويضة ناضجة . وتمثل هذه الفترة ـ لدى معظم الذكور ـ تحولا كبيرا فى السلوك الجنسى ، ينقل الفرد من سلوك ماقبل المراهقة الى سلوك الشخص البالغ

على أن الحياة الجنسيه لدى الصبية تكون غير ذات هدف ، وقد لاتظهر عيانا ، نظرا للقيود التى يفرضها نظامنا الاجتماعى على الفرد . أما لدى البالغين ، فالحياة الجنسية غاية فى حد ذاتها ، وتتكشف أعراضها ـ لدى كل الفتيان تقريبا ـ فتغدو منتظمة ، وكثيرة الظهور ، رغم قيود النظام الاجتماعى . **ومن الحالات التى درسناها ، نجد ان التحول الى النشاط**

الجنسى البالغ اتخذ لدى ٥٠ فى المائة الاشكال الآتية : تحول العبث مع أفراد الجنس الآخر الى غزل ، وانتهت محاولات الجماع التى بذلت قبل البلوغ الى حالات جماع ناضجة ٠ وكذلك كان مصير العبث الجنسى السابق للبلوغ مع أفراد من نفس الجنس ، أى أن الشذوذ الجنسى اتخذ شكلا عمليا نشيطا !٠٠ وفى ٥٠ فى المائة من الحالات كذلك ، انتهت أساليب ماقبل المراهقة بمجرد البلوغ ، لتبدأ أساليب جديدة للنشاط الجنسى البالغ، على أسس من معرفة اجتماعية يكتسبها الفرد فى وضعه الجديد ، وعلى هدى فنون جديدة للاتصال البدنى يتعلمها الفرد فى هذه الفترة ٠ وفى حالات كثيرة ، كان اكتساب الفتى للقدرة على القذف يضع نهاية لسلوك ما قبل البلوغ ، ولكنه يتركه حائرا يتردد فى الاقدام على اية صلات جنسية اجتماعية جديدة ٠ وما أحرى العوامل الاجتماعية والنفسية التى تكتنف هذا التحول ، بأن تكون موضوع دراسة دقيقة ، لاسيما وقد لوحظ ان الذين يقدمون مباشرة على نشاط البالغين بمجرد وصولهم الى المراهقة ، هم الذين يعيشون فى مستوى اجتماعى منخفض ٠ على أن تجارب ماقبل البلوغ — سواء استمرت بعده مباشرة أو لم تستمر — تحدث آثارا ونتائج تشجع النمو الجنسى فى فترة المراهقة وما بعدها ، أو تعرقله !

(يتبع)



حوادث سعيدة.. بالجملة!

أو

عندما يظهر الطفل!

كوميديا تمثيلية للكاتب المسرحي المعاصر بيير دوناى

تلخيص : فرج جبران

لماذا نقتل الاطفال غير الشرعيين ؟
لماذا نلقى بهم الى عرض الطريق ؟
لماذا ننكر عليهم حق البنوة ؟
لماذا تتنكر لهم أمهاتهم ؟
لماذا ينكرهم آباؤهم ؟

هذه هى الاسئلة التى تعالجها هذه المسرحية التى تعرض فى باريس منذ أربع سنوات .. ولما ينتهى تمثيلها بعد !

انها تلقى نجاحا هائلا .. ويصفق لها الجمهور كل ليلة .. ومع ذلك فانها تعالج المشكلة برفق ، وفى سخرية لاذعة ، وفكاهة مترفعة !

ان المؤلف يعالجها فى منزل وزير « الاسرة والشئون الاجتماعية » نفسه ، وفى أسرته الخاصة !.. وهو يعالج الى جانبها أيضا مشكلة النفاق الذى يلجأ اليه بعض المسئولين أحيانا ، اذ تضطرهم الظروف الى التنكر لمبادئهم التى ينادون بها !

ونظرية المؤلف بسيطة جدا : فالمسألة فى نظره مسألة شجاعة .. فهو يقول ان الآباء ينكرون أبوتهم لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين لسبب بسيط جدا ، هو انهم يخافون ..

وممن يخافون ؟!

انهم يخافون ألسنة الجيران !

وهذا هو السر !!

- ١ -

◆ **ترفع** الستار عن الفصل الاول فاذا نحن نرى الام الحسناء ـ زوجة الوزير ـ التى أشرفت على سن اليأس ، تتحدث الى ابنتها الشابة الجميلة الصغيرة .. ويدور الحديث

بين الاثنتين حول موضوع دقيق يتعلق بحادث سعيد تتوقعه « الام » !

والام تشعر بشيء كثير من الضيق والحرج لهذا الحادث السعيد المنتظر ، فانها قد تعدت سن هذه الحوادث السعيدة ، ولها ابنه شابة فى سن الزواج ، كما أن ابنها هو الآخر شاب وسيم جاوز العشرين من عمره !

وفى أثناء الحديث الطريف الذى يجرى بين الام وابنتها ، تلاحظ الام أن ابنتها تلقى عليها عدة أسئلة دقيقة لكى تتثبت من الحادث السعيد الذى تتوقعه ، فتفاجىء ابنتها بهذا السؤال :

– ولكن من أين لك هذه المعلومات الدقيقة فى هذا الموضوع ، وانت قد تلقيت العلم فى مدرسة الدير المحافظة ؟!

وتبتسم الفتاة وتصارح أمها بأنها قد حصلت على هذه المعلومات أثناء دراستها لفن التمريض فى « الصليب الاحمر » !

فاذا خرجت الام بعد هذا الحديث دخل الابن « جورج » وقد عاد من عمله ، فيلقى التحية لأخته ويبدأ بين الاثنين حديث نعرف منه أن بين الاخ وأخته صداقة وطيدة ، وانه يستشيرها فى مسائل كثيرة تتعلق بحياته الخاصة وبمستقبله ..

ويصارح الاخ أخته بأنه وقع فى شباك الغرام ، وان التى يحبها ليست الا « ناتاشا » ، السكرتيرة الخاصة لوالده ، وزير الاسرة والشئون الاجتماعيه !

وتلومه أخته لانه أحب « ناتاشا » سكرتيرة والدهما ، لان فى هذا الحب احراجا للوزير . ولكنه يجيبها على ذلك بأن « ناتاشا » تحمل درجتى الدكتوراه فى الحقوق والليسانس فى الآداب !

ولكن ليس هذا كل شيء ، فالحب ليس عارا على أى حال . ولكن الكارثة تتمثل فى أن « ناتاشا » هى الاخرى تتوقع حادثا سعيدا ! والحادث السعيد هو ثمرة غرامها بجورج !

وتكاد الاخت تصعق لهذا الخبر وهى تسمعه من شقيقها ، فتلومه على نزقه وتهوره .. ولكنها لاتكتمه أن أمهمـا ، هى الاخرى ، تتوقع حادثا سعيدا من نفس النوع الذى تتوقعه « ناتاشا » .. ويسر الشاب بهذا الخبر ، وان كان يبدى شيئا من الدهشه . وهو يقول لاخته : « اذن فاننى أواجـه نفس الموقف الذى يواجهه والدى ! »

وفيما هما يتحدثان ، يدخل الاب ، وهو الوزير المسئول عن شئون الاسرة والمجتمع الفرنسى .. يدخل الرجل فرحا سعيدا ، فاذا التف ولداه حوله ليشتركا معه فى سعادته وسألاه عن سبب مايبدو عليه من سرور ، أعلن اليهما أنه انتصر فى البرلمان على خصومه السياسيين ، ونجح فى أن ينتزع من المجلس قرارا باغلاق جميع منـازل اللهـو والعبث فى فرنسـا كلهـا ، رغم المعارضة الشديدة .. كما انه نجح فى نيل الموافقة على قانون خاص بمضاعفة العقوبة على جريمة الاجهاض !

والابن يهنىء والده بهذا النجاح البرلمانى الكبير ، ويقول له

ـ حسنا فعلت يا والدى ! فان فرنسا فى حاجـة الى رجال ، وسيكون من نتيجة ذلك اقبال الشبان على الزواج ..

ويتطور الحديث ، وتخرج الفتاة حتى تتيح لشقيقها الفرصة كى يصارح والده بموقفه من « ناتاشا » . وما تكاد تخرج حتى يبوح الولد بسره لأبيه ، فيعلن اليــه انه يريد أن يتزوج من سكرتيرته ناتاشا !.. ولكن الاب يعارض فى ذلك ، فيضطر الابن الى الاعتراف بأنه يحبها . ولا يجد الوالد ان الحب سبب مقنع للزواج ، فيقول له الابن ـ مضطرا ـ ان ناتاشا تنتظـر حادثا سعيدا .. وانه هو السبب فى ذلك !!

ويصعق الوالد لهذا الخبر ، ويثور على ولده ، ويهدده بأنه سيصدر أمره فى اليوم التالى بفصل «ناتاشا» من وظيفتها !.. فيضحك الابن ويقول لوالده انه لاحاجة به الى اصدار هذا الامر لان ناتاشا ستقدم له استقالتها فى اليوم التالى !



« ثمار الخريف » لوحة من معروضات متحف « والاس » بلندن ،
للفنان « جوردبانز » (١٥٩٣ - ١٦٧٨)



النوم .. سلطان ! لوحة جميلة من معروضات متحف « والاس » بلندن ، وهى من ريشة الفنان الهولندى « أدريان بروور »

ويعود الابن فيذكر والده بمبادئه التى دافع عنها فى البرلمان حتى انتصر على خصومه السياسيين ، وان هذه المبادىء من شأنها تشجيع الشبان على الزواج ومضاعفة العقوبة على جريمة الاجهاض !

وفيما هما ـ أى الوالد وابنه ـ يتناقشان فى الموضوع الخطير ، تدخل الام ، فلا تسمع من حديث الاثنين الا صوت زوجها وهو يقول :

ـ انها لكارثة !

والرجل يقصد بالكارثة ما وقع بين ابنه وسكرتيرته ، وما انتهت اليه علاقتهما ، ولكن الزوجة تظن انه يقصد بكلمته حالتها هى والحادث السعيد الذى تتوقعه ، فتكرر القول :

ـ نعم ! انها لكارثة حقا !

وتقص على زوجها ما جرى من حديث بينها وبين ابنتها ، وكيف انها اكتشفت سعة معلومات ابنتها فى موضوعات لاتتصل بحياة الفتيات الصغيرات الساذجات ! ويكتشف الرجل فجأة أن زوجته تتكلم عن حادث سعيد خاص بها هى ، فيصاب بصدمة أليمة ويقص عليها كيف ان « ناتاشا » هى الاخرى تنتظر حادثا سعيدا .. وان ابنهما جورج هو السبب فى هذا الحادث !

.. واذا الام هى التى تصاب الآن بصدمة أليمة ، فتصيح بزوجها :

ـ ان « ناتاشا » كاذبة فى دعواها .. ومن أين لجورج ان يعرف أن الولد ولده ؟

★ ★ ★

• **والاسرة** فى ذلك المساء نفسه تنتظر زيارة الجد الثرى ـ أى والد الوزير ـ الذى لا يلبث أن يدخل ومعه ابنته العانس أى شقيقة الوزير

ويداعب الشيخ الثرى ابنه الوزير فيقول له انه لايجب أن يتوقع منه أن يترك له مالا يرثه بعد مماته ، وذلك لان دوره، أى دور الوزير ، قد انتهى !٠٠ ويضيف الجد الثرى انه قد قرر ان يوصى بثروته لحفيده وحفيدته ، أى ابن الوزير وابنته ، وانه سيهبهما هذه الثروة عند زواجهما لانهما فى هذه الحالة يستحقان مساعدته اذ سيكون لهما أولاد يتعهدان بتربيتهما !

وينتقل الحديث بعد ذلك الى موضوع دقيق هو موضوع انجاب الاولاد وتحديد النسل ، فيدلى كل برأيه فى هذا الموضوع رغم انه شديد الاحراج

ثم ينصرف الجد الثرى ومعه ابنته العانس ٠ ويدور الحديث بعد انصرافه بين الوزير وزوجته ، فيتناولان نفس الموضوع الدقيق ٠٠ موضوع الحادث السعيد الذى تتوقعه الزوجة بعد أن جاوزت سن الشباب ٠ والوزير ينصح زوجته بأن تستعين بطبيب أخصائى حتى تتخلص من حالتها وينتهى الحادث السعيد !٠٠ **وهذا هو نفس الوزير الذى سن تشريعا يقضى بمضاعفة العقوبة على جريمة الاجهاض !**

فاذا ما استرعت زوجته نظره الى ذلك أجابها بأن الانتخابات قريبة ، وشيكة الوقوع ، وانه يخشى أن يفتضح خبر الحادث السعيد الذى تتوقعه زوجته فيتخذ منه خصومه السياسيون مادة للهجوم عليه ، وقد لايتورع أحدهم فيتهمه بأنه ليس والد الطفل الذى تتوقع زوجته خروجه الى الحياة !

وفى أثناء الحديث يدق جرس التليفون ، واذا بالمتحدثة هى والدة الزوجة التى تقيم فى بلدة أخرى ، وهى تريد أن تطمئن على صحة ابنتها ، وعلى صحة زوج ابنتها ، وعلى صحة حفيدها ، وعلى صحة حفيدتها ٠٠ الخ ٠٠ وهى لاتقنع الا بأن تتحدث الى كل واحد وواحدة من هؤلاء بنفسها ، ولابد لها أن تسمع صوته فى التليفون ٠ ولذلك تنتقل سماعة التليفون الى

يد و أذن كل فرد من أفراد الاسرة !
غير أن الفتاة « كليمنس » ابنة الوزير تصاب باغماء وهى تتحدث مع جدتها فى التليفون ، فتنقل الى حجرة نومها ، ويلحق بهـا شقيقها جورج ٠٠ فاذا ما أفاقت أخذ الاخ يستجوبها فى أسباب هذا الاغماء ، ولا يلبث أن يكتشف أن أخته كليمنس تتوقع هى الاخرى حادثا سعيدا ! وان ما أصابها من اغماء ليس الا عرضا من أعراض الحادث السعيد المرتقب . وهى تعترف لشقيقها بكل شىء ، وبأن خطيبها « روجيه » هو والد الجنين الذى بدأ يتكون فى أحشائها !
وهكذا ينتهى الفصل الاول من الرواية وتسدل الستار على أسرة سعيدة تتوقع ثلاثة حوادث سعيدة : فزوجـة الوزير تتوقع حادثا ، وابنته كليمنس تتوقع حادثا ثانيا بطله خطيبها روجيه ، وناتاشا سكرتيرة الوزير تتوقع حادثا ثالثا بطله جورج ابن الوزير ٠٠ الوزير الذى يحارب بيوت اللهو ليشجع الشبان على الزواج ، ويشجع على زيادة النسل بمضاعفة العقوبة على جريمة الاجهاض !

- ٢ -

• **فاذا** كان الفصل الثانى ، رأينـا الوزير وقد عاد من وزارته حاملا أوراقه وحقيبته الخاصة ، وقد بدا الهم واضحا على وجهه ، فهو يعرف من جهة أن زوجته تتوقع حادثا سعيدا ، وان هذا الحادث قد يثير سخرية الناس اذا ماعرف أمره ، وقد يستغله معارضوه فى الرأى والسياسة ، وقد يكون سببا لسقوطه فى الانتخابات القريبة !
وتجلس الزوجة لتتحدث اليه ، فيعلن لها انه تلقى خطابين من سكرتيرته ناتاشا : الخطاب الاول هو خطاب استقالتها من وظيفتها كسكرتيرة له ، وهو خطاب له طابعه الرسمى . أما



الخطاب الآخر ، وهو خطاب خاص ، فان ناتاشا تعلن فيه للوزير أن جورج ، ابنه ، قد أخبرها بما دار بينهما من حديث وكيف أن والده حاول أن يثنيه عن الزواج منها .. وهى تصارح الاب ، الوزير ، أنها ترفض باباء وشمم أن تتزوج من جورج .. وانها ، علاوة على ذلك ، لاتريد اعترافا بالولد الذى تحمله منه !

والاب يشعر بالهم من كل جانب ، فلا يدرى ماذا يفعل ؟ وهو يصارح زوجته بأنه قام بتحقيق دقيق تبين منه ان ناتاشا تنتسب الى أسرة نبيلة لها اسمها وحسبها ونسبها فى روسيا !

وهنا تصيح الام :

ــ اذا كان الامر كذلك فكيف تسمح لنفسها بأن تسبب لجورج هذا الاذى ؟ كيف تتركه يعشقها ويحبها ثم تنبذه اليوم نبذ النواة وترفض الزواج منه ؟ وهى تريد بعد ذلك أن تستأثر لنفسها بالولد القادم فى الطريق فتنكر على جورج حق الابوة عليه !

وتصيح الام فى اصرار وعناد :

ــ ان الولد هو ابن جورج دون شك !

ويبتسم الاب لموقف هذه التى كانت حتى الامس فقط تتشكك وتقول : « ومن أين لجورج أن يعرف أن الولد الذى تتحدث عنه ناتاشا هو ابنه ؟ »

* * *

• **وفى تلك** الاثناء تتردد الام وابنتها على طبيب اخصائى طلبا للنصيحة والمشورة، لعلهما تجدان مخرجا من الموقف الحرج

وتوصلت الفتاة « كليمنس » الى حل لازمتها ، فقد كانت تعرف مقدار عطف جدها عليها ، ومقدار حبه لهـا ، وكيف وعدها بالمساعدة والمال اذا أوشكت على الزواج ٠٠ ولذلك فقد اتجهت اليه وصارحته بموقفها ٠٠ فاذا تجهم وجه الرجـل وسألها : « وكيف الحل ؟ » ، أجابته بأن عليه أن يدعى أمام والديها أنه أصيب بنوبة قلبية ، وانه يخشى أن يموت بعـد وقت قصير ، وان كل مايرجوه هو ان يشهد حفل زواجها ، فاذا قال ذلك تم الزواج بسرعة دون شك ووافق الوالدان على سرعة عقد الزواج

ويوافق الجد على هذه الخطة !

أما « ناتاشا » فلها شأن آخر ٠٠ اذ يتبين ان الخطـاب الذى حررته للوزير لتعلن له فيه انها ترفض الزواج من ابنه لم يكن الا خطة دبرتها بالاشتراك مع جورج حتى تدفع الاسرة الى الموافقة على زواجه منها

وقد نجحت الخطة !

ولعل أطرف مايحدث فى هذه الاثناء هو دخول الخادم الى حجرة سيدتها لتقدم استقالتها من عملها ٠ فاذا سألتهـا السيدة عن سبب استقالتها رغم رضائها عن عملها ، أجابتها بأن السبب فى ذلك هو أنها ـ أى الخادم ـ تتوقـع حادثا سعيدا !

وتكاد السيدة تصاب بذهول عندما تسمع ذلك ، وتسـأل الخادم عن التفاصيل ، فتعرف أن السبب فى ذلك الحـادث هو صديق الخادم ٠٠ فتهدىء من روعها وتعدها بأن الاسرة لابد ان تعنى بابنها ، فهى أسرة تحب الاطفال ٠٠ واذن فليس هناك مايدفعها الى الاستقالة من عملها فى الوقت الحاضر !

- ٣ -

• **فاذا** كان الفصل التالى فنحن نرى الوزير فى مكتبه ، وقد بدأت الامور تتحسن والازمة تنفرج ، وهناك سيدة تلح فى مقابله الوزير الحاحا غريبا ٠٠ وهى ترفض ان تبوح باسمها أو تذكر مهمتها ، وتقول انها جاءت لمهمة خاصة !

ويصرح لها الوزير فى نهاية الامر بالدخول ، فاذا قابلته قالت له انها « مادلين » !

والوزير لايذكر من هى « مادلين » هذه ٠٠ فتضطر لان تذكره بشبابه وعبثه ، وتقول له انها كانت صديقة الصبا ، وأنها أحست ذات يوم بأنها تتوقع حادثا سعيدا ، فلما صارحته بذلك منحها ٢٠٠٠ فرنك وهجرها ، طالبا منها ان تتصرف فى الامر على أى وجه يحلو لها !

ويتذكر الوزير كل شىء ـ فهذه حلقة جميلة من حلقات الحب والشباب ! ـ وتصارحه مادلين بأنها قد أنجبت طفلا فى ذلك الوقت ، وانها قد عنيت به ٠٠ وقد أصبح الطفل صبيا ثم شابا ، يبلغ من العمر الآن ٢٧ عاما !



وأضافت أنها جاءت تزوره اليوم من أجل هذا الشاب النجيب الذى يحمل شهادة الدكتوراه فى الحقوق !

فاذا سألها الوزير : « وماذا تطلبين له ؟ » ، قالت : « لقد جئت أطلب له عملا ٠٠ وظيفة تليق بشاب يحمل الدكتوراه فى الحقوق ! »

ويرحب الوزير بالفكرة ٠٠ فمنصب سكرتيره الخاص الذى كانت تشغله « ناتاشا » لايزال شاغرا !

ويهنىء الوزير مادلين بما فعلته ، وبعنايتها بولدها وتربيتها اياه تربية شريفة قويمة ٠٠ ويقول : « **اننا نقتل هؤلاء الذين يولدون قبل الزواج لان الابناء يخافون والديهم ٠٠ ولان الآباء والامهات يخافون من ألسنة الجيران !!** »

وعندما يعود الوزير الى المنزل فى ذلك اليـــوم يجد فى انتظاره خطابا من الطبيب الاخصائى يعلن اليه فيه أن التحليل الطبى الذى قام به قد أثبت أن زوجته تتوقع حادثا سعيدا بالفعل !

فيتقرر الابقاء على الجنين ٠٠

كما يتقرر الاسراع بعقد زواج « كليمنس » حتى يشـــهد جدها حفل زواجها ويوصى لها بنصيب من ثروته قبـــل أن يموت فى أزمة من هذه الازمات التى تنتابه !

كما يتقرر رفض استقالة الخادم ، والعناية بطفلها بعد أن يتم الحادث السعيد !

* * *

٠٠ **والاسرة** متهللة مستبشرة بسبب كل هـــذه الحوادث السعيدة ٠٠ وفيما هى كذلك ، يدق الجرس ، فيفتح جورج الباب ويعلن عن قدوم ناتاشا !

وترحب الاسرة بناتاشا ترحيبا قلبيا ٠٠ وتقبل عليها الام لتعانقها وهى تقول لها :

ـ تعالى ياعزيزتى ٠٠ تعالى !٠٠ اننا أسرة تحب الاولاد !!

بلدية بور سعيد

تقبل عطاءات ببلدية بور سعيد لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩٥٦/٧/٧ عن توريد وتركيب أدوات كهربائية بمبنى الحرس الوطنى ببور سعيد

ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما (مائتين وخمسين مليما) خلاف أجرة البريد • وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة الخمسين مليما • وكل عطاء لايرفق به تأمين ابتدائى قدره ٢ ٠/٠ من قيمته لايلتفت اليه

٥١٨٥

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات بمصحة المعاظة (مقر المستشفى الامريكى بهاكستيب سابقا) لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩٥٦/٧/١٥ عن تأجير كانتين المصحة عام ١٩٥٧/٥٦ • وتطلب شروط التأجير من المصحة على ورقة تمغة فئة خمسين مليما مقابل ٢٥٠ مليم للنسخة الواحدة بخلاف أجرة البريد • ويمكن معاينة الكانتين من الآن فى المواعيد الرسمية •

٥٢١٢

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات تفتيش صحة مديرية البحيرة بدمنهور لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩٥٦/٧/١٤ لتوريد الاغذية اللازمة لمستشفيات دمنهور ـ رشيد ـ أدفينا ـ كفر الدوار ـ أبو حمص ـ ايتاى البارود ـ كوم حمادة ـ التوفيقية بحيرة ـ المحمودية ـ شبراخيت ـ الدلنجات ـ أبو المطامير لعام ١٩٥٧/١٩٥٦

وتطلب قوائم المناقصات من الوحدات نفسها على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما نظير مبلغ ٢٥٠ مليما للنسخة الواحدة ، مضافا اليه خمسون مليما أجرة البريد •

٥٢١٥

اعـــلان

مجلس بلدى كفر الدوار حدد ظهر يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٦ لفتح عطاءات توريد ١٢٠ أردب شعير ، عدد ٥٠ حمل تبن • وكل عطاء بدون تأمين ابتدائى لايلتفت اليه •

٥٢٠٦


MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة!
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

كازانوفا .. فى قبضة محاكم التفتيش الرهيبة !

◆ يبدأ أمير العشق والمغامرة – فى هذا الجزء الجديد من مذكراته التى كتب لها الخلود بين روائع الادب الكلاسيكى – سرد مرحلة جديدة من حياته ، امتزج فيها العشق والغزل بأخطر المغامرات وأعنفها !.. ففى مطلع هذه المرحلة ، قدر لكازانوفا أن يقع فى قبضة « ديوان التفتيش » .. أرهب أداة للطغيان باسم الدين والقانون ، عرفها التاريخ ! .. وقد كان مجرد ذكر «محاكم التفتيش» فى القرن الثامن عشر ، كفيلا بأن يثير الذعر فى أشد القلوب جرأة ، اذ كان سلطان هذه المحاكم مطلقا ، لايكاد يحده سلطان آخر .. حتى ولا سلطان رئيس الدولة !

فتعال نخض المخاطر ، مع « كازانوفا » ، لنعرف هذا الجانب المشوق الحافل ، من حياته ..

طاه بارع .. وزوجة فاتنة !

◆ **لم** يلبث القدر ان دفع الى طريقى نبيلا يدعى « مارك انتونى زورزى » ، أوتى موهبة فى نظم الاراجيز الشعرية اللاذعة . وكان يهوى كتابة المسرحيات ، فوضع مسرحيتين هزليتين لم يرض عنهما الجمهور ، ولكنه اعتقد ان فشلهما انما كان خطة مدبرة بوحى ونفوذ الاب « كيارى » ، الذى كان شاعر مسرح القديس (انجيلو) ، بالاسم فقط !.. ومن ثم اشتد عداء « زورزى » للاب « كيارى » ، وعقد عزمه على أن يثأر منه ، فاستأجر عصبة من الاوغاد ، ليحضروا فى كل ليلة المسرحيات الهزلية – التى كان المفروض ان مؤلفها هو الاب « كيارى » ، ولو بصفة اسمية ! – ويعكروا جو المسرح بتهريجهم . وما كنت لاحفل بكيارى ، **ولكننى اضطررت لان أجامل « زورزى » لانه أوتى بيتا فخما ، وطاهيا بارعا ، وزوجة**

فاتنة ، ومن ثم ناصرته ، بأن رحت أنتقد مسرحيات خصمه ، وأنظم فيه بعض الاراجيز اللاذعة ، مما اضطره الى أن يرد على بكتيب صغير ، تناولنى فيه بأقذع الهجاء ، فرددت عليه فى قسوة ، وهددته بالضرب اذا لم ينتق كلماته عندما يتكلم عنى . ولم يحاول ان يرد ، ولكننى تلقيت يوما خطابا غفلا من التوقيع ، يتضمن انذارا لى بأن أرجع عن مشاكسة الراهب !

وفى تلك الاثناء ، عرض على رجل يدعى « مانوتسى » — عرفت فيما بعد انه من أقذر جواسيس ديوان التفتيش الرهيب — ان يبتاع لى بعض الماسات ، دون ان يتعجلنى الثمن ، وبهذا الزعم أصبح يتردد على مسكنى ، فيطلع على كتبى ويعبث بأوراقى أثناء زياراته ، مدعيا الاهتمام بموضوعاتها ، لاسيما ماكان يدور منها حول السحر !.. ووجدتنى أطلعه — فى غباء — على بعض الكتب التى تتضمن مبادىء علم تحضير الارواح ، فما لبث ان جاءنى ذات يوم يقول ان ثمة شخصا — لم يكن فى حل من ذكر اسمه — على استعداد لان يدفع ألف دينار ذهبى ثمنا لخمسة من كتبى ، على شريطة أن يتأكد من أصولها وصحة نسبها الى مؤلفيها ، فأعرته اياها ليطلعه عليها ، واذا به يردها الى بعد أربع وعشرين ساعة ، زاعما انها مزورة . **وقد علمت بعد سنوات انه انما حملها الى الاسقف الذى كان يرأس ديوان محاكم التفتيش ، وان مجرد اقتنائى هذه الكتب كان كافيا لاقناعه بأننى أمارس السحر !**

اتهامات أمام محاكم التفتيش !

◆ **وكأنما** كان القدر مصرا فى ذلك الشهر على سوقى الى محاكم التفتيش ، اذ اتهمتنى سيدة بأننى أعلم ابنها الالحاد ، وهى تهمة كانت كفيلة بأن تقضى على بأن أحرق حيا ، لولا ان الظروف خفت الى معونتى ، فاذا أعضاء ديوان التفتيش لا يملكون أن يودعونى السجون الخاصة بديوانهم ، ومن ثم قرروا

احالتى الى النيابة العادية لتتولى التحقيق معى . **ولقد علمت فيما بعد ان شخصا أجيرا – يؤيده شاهدان – اتهمنى بأننى لا أؤمن بالله ، وانما أعبد الشيطان .. وان من الادلة على ذلك ان ما من مرة لعنت فيها الشيطان اثر خسارتى فى المقامرة !!.. كذلك اتهمت بأننى لا أحفل بالصلاة والطقوس الدينية ، واننى من جماعة « الماسونيين الاحرار » ، واننى كنت على علاقة بأجانب يدفعون لى أموالا فى سبيل الافشاء لهم بما أعرفه – عن طريق عضو الشيوخ الذى تبنانى « براجادان » – من أسرار الدولة !..** وبدا ان ثمة قائمة من الاتهامات ، لاتكاد تنتهى ، حتى لقد نصحنى الاصدقاء المخلصون بأن أنتهز فرصة تحويل قضيتى الى السلطات المدنية ، لاغادر البلاد ، فأغيب عنها فترة من الوقت . ولكن ايمانى ببراءتى جعلنى أرفض هذه النصيحة فى عناد ، لاسيما واننى كنت غارقا فى الديون الى أذنى ، الامر الذى دفعنى الى رهن ماكنت أملك من متاع وأشياء ذات قيمة

على انه يبدو ان ثباتى قد أغرى السلطات الدينية على أن تتدخل فى الامر مرة أخرى ، اذ عدت الى « البنسيون » – الذى كنت أقيم فيه – ذات مساء ، فوجدت صاحبته فى ذعر شديد .. وعلمت منها أن رئيس ديوان التفتيش جاء بنفسه مع نفر من الشرطة ، واقتحموا غرفتى وفتشوها تفتيشا دقيقا . وكنت لحسن الحظ قد أودعت أوراقى الخاصة ورسائلى وما كنت أعتز به من تذكارات ، لدى صديقة لى تدعى مدام « مانسونى » .. ومن ثم فانهم – على مابدا – لم يعثروا على شىء ذى قيمة . غير ان هذا الحادث جعل السيد « براجادان » يزداد الحاحا فى اغرائه اياى على الرحيل عن البندقية ، وان لا أعود حتى يدعونى هو الى العودة . ولكن حنقى بسبب هذا الحادث زادنى اصرارا على البقاء . فتحول يدعونى الى العودة للاقامة فى قصره ، لان الحصانة التى كان يتمتع بها لاتمكن

السلطات من مداهمة مسكنه دون اجراءات خاصة ، تكفى لتنبيهى الى الخطر قبل وقوعه !٠٠ غير اننى أمعنت فى الضلال، وأبيت ان ألين لالحاحه ، رغم ما كان له من فضل على ، وما كان يكنه لى من حب ٠ كنت أتصرف فى رعونة عمياء ، حتى ان دموع الشيخ الطيب النبيل لم تحرك عواطفى ، وانما زادتنى امعانا فى العناد ، فودعنى بقلب مثقل بالحزن والالم ، عندما انصرفت من زيارته

كازانوفا ٠٠ السجين !

◆ **وكانت** هذه آخر مرة أراه فيها ، رغم انه مات بعد ذلك بأحد عشر عاما ٠٠ **فقد فوجئت قبيل فجر اليوم التالى بباب حجرتى يفتح ، ورأيت كبير محققى ديوان التفتيش يدخل قائلا : « أأنت جاك كازانوفا ؟ » ٠٠ ثم أمرنى بأن أقدم له جميع ما لدى من أوراق ووثائق ، وان أرتدى ثيابى ٠ وأدركت ان لا سبيل أمامى غير الطاعة !٠٠ وعندما رأيته يحرص على الكتب الخمسة التى سبق لى ان أعرتها لمانوتسى ، أدركت حقيقة الدور الذى لعبه ذلك النذل !**



وارتديت ثيابى وأنا مشتت البال ، وان عنيت بأن أختار أجمل ماكنت أملك من ملابس، وكأننى كنت ذاهبا الى حفل زفاف ، مما حدا بالسيد «جراندى» ـ وهو اسم المحقق ـ الى أن يرمقنى فى دهشة وعجب! ٠٠ وكان ثمة أربعون جنديا ـ من حملة الاقواس والنشاب ـ فى الخارج ، مما أوحى الى بأنهم كانوا يتوقعون مقاومة عنيفة منى ٠٠ ولكننى لم أحاول

ان ألجأ الى شىء من هذا ، بل تركتهم يقودوننى الى دار رئيس ديوان التفتيش ، حيث احتجزونى فىغرفة موصدة ٠ووجدتنى عاجزا عن ان أستجمع قواى الذهنية ، لافكر فيما قد يحسن دفاعا عن نفسى ، فاستلقيت على أريكة ، واستسلمت لنعـاس مضطرب ، لم أكن أصحو منه الا لارتد اليه !٠٠ حتى اذاكانت الساعة الثالثة من بعد الظهر ، أقبل رئيس الجنـد ، فأعلمنى بأن أمرا صدر اليه بأن يقودنى الى « سجن الرصاص » !٠٠ وكان من أبشع السجون ، وقد سمى بهذا الاسم لان سقفه كان يتألف من عدة ألواح من الرصاص ، بدلا من قوالب القرميد ٠ وكان الفراغ الذى يقع بين غرفه العليـــا وسقفه المحدودب ، مقسما الى « زنزانات » !

وتبعت قائد الجند فى صمت الى « الجندول » الذى أقلنا الى السجن ٠ وبعد ان صعدنا سلما وهبطنا آخر ، عبرنا جسرا صغيرا يصل السجن بقصر الدوقيـة ـ مقر ديوان التفتيش ـ عبر قناة ضيقة تسمى « ديورى بالاتسو » ٠ ثم اجتزنا ردهة طويلة ، انتهينا منها الى غرفة جلس فيهـــا شخص فى ملابس الرهبان ٠ وتأملنى هذا الرجـــل طويلا ، وما لبث ان قال : « خذوه الى سجن أمين ! » ٠٠ وكان ذلك الرجـــل هو الاب « كافاللى » ، سكرتير ديوان التفتيش الرهيب

أمام جهاز الاعدام الرهيب !

◆ **وتسلمنى** كبير حراس السجن ، فتبعته ٠ وصعـــدنا طابقين ، ثم اجتزنا ردهة طويلة ، الى باب أفضى بنا الى ردهة أخرى ، انتهت بباب كشف عنـــد فتحه عن حجرة ضـيقة ، منخفضة السقف ، قذرة ، لاينفذ اليها سـوى بصيص ضئيل من النور ، خلال كوة فى سقفها ٠ وظننت فى البداية ان هذه كانت مقرى الجديد ، ولكننى وجدت الرجل يتنـاول مفتاحا ضخما ، فتح به بابا ثقيلا ، سميكا ـ ذا مزلاج حديدى كبير ـ

لايتجاوز ارتفاعه مترا ، وتتوسطه كوة صغيرة • وأشار لى كبير الحراس لادخل ، ولكننى تلكأت لحظة ، اذ رحت أتأمل آله كبيرة من الحديد ، على شكل حدوة الفرس ، مثبتة الى الجدار

وابتسم السجان اذ فطن الى ماكنت أتأمل ، وقال : « لعلك تحب ان تعرف فائدة هذه الآلة •• **اذن فاعلم انه اذا صدر أمر أصحاب السعادة باعدام أى امرىء ، فانه يجلس على مقعد بدون مسند ، ويلصق ظهره بالجدار ، ثم يهبط هذا الطوق حول عنقه ، ويولج حبل من الحرير فى الثقوب التى فى الطرفين ، ثم يلف حول عجلة ، يتولى ادارتها المكلف بتنفيذ الحكم ، فيظل الطوق يطبق حول عنق المقضى عليه بالاعدام ، حتى يزهق روحه !** » •• فهتفت : « يا للفظاعة !•• وأظنك الشخص الذى يحظى بشرف ادارة العجلة ! » •• ولكنه لم يجب ، بل كرر الايماء لى بالدخول ، فدخلت ، والسقف المنخفض يجبرنى على أن أسير منحنيا • وأغلق السجان الباب خلفى ، ثم سألنى خلال كوة فيه عما أحب ان أتناوله من طعام • فلما أجبته بأننى لم أفكر فى هذه الناحية ، انصرف•• وسمعته يغلق الابواب خلفه !

يد باردة •• فى الظلام !

• **وكانت** بالحجرة نافذة يبلغ اتساعها حوالى نصف متر ، تقسمها قضبان غليظة من الحديد الى ست عشرة فتحة مربعة ، سدت الفتحات الوسطى من بينها بقرص ضخم من خشب البلوط السميك • ولم يكن بوسعى ان أنتصب واقفا ، اذ لم يكن ارتفاع السقف يتجاوز مترا ونصف متر • وكان ثمة جزء يكاد يكون منفصلا عن بقية الغرفة ، مما يوحى بأنه معد ليقام فيه سرير ، ولكنه كان خلوا من أى شىء •• بل لم يكن فى الحجرة أثر لمقعد أو منضدة ، بل اقتصر أثاثها على حوض صغير ، ولوح خشبى مثبت الى الجدار على ارتفاع بسيط من

الارض ، ليتخذ كمقعد ، فألقيت عليه بعباءتي الانيقة ، وسترتي الجديدة البديعة ، وقبعتي التي وشيت حافتها بريش و « دانتيلا » أسبانية غالية • وكان الحر يكاد يزهق الانفاس ، فسرت الى الكوة التي تتوسط أعلى الباب ، ألتمس شيئا من الهواء ، فاذا بي أرى عددا من الفئران الكبيرة تلعب في الغرفة الخارجية • وكنت بطبعي أشمئز من هذه الحيوانات ، بل ان منظرها كان يجعل الدم يتجمد في عروقي •• لذلك أسرعت باغلاق الكوة !

وقضيت حوالي ثماني ساعات ، متكئا بمرفقي الى حافة النافذة ، لا أكاد أحير حراكا ، الى أن ردني الى الوسط المحيط بي صوت ساعة تدق على بعد • وعجبت اذ تركت طيلة هذا الوقت دون ان يحفل أحد بأن يأتي الي • ولم أفكر في الطعام ، ولكنني كنت شديد الظمأ ، وفي فمي مرارة بغيضة •• **واذ انقضت ثلاث ساعات أخرى ، دون ان يفد أحد ، بدأ غيظي يحتدم ، فرحت أصيح ، وأصرخ ، وأركل الجدران والباب ، ولكن •• دون ما جدوى !••** ومرت ساعة أخرى ، ثم أدركني الخور ، فتأملت ماحولي ، حتى اذا اطمأننت الى خلو غرفتي من الفئران ، استلقيت على الارض ، وقد داخلني يقين بأن المحققين القساة ، المجردين من كل شعور انساني ، قد اعتزموا ان يتركوني مهملا في تلك الحجرة حتى أقضي نحبي جوعا وظمأ ! •• على ان ما أثار دهشتي واستنكاري ، هو انني لم أكن أعرف الذنب الذي من أجله عوملت بهذا الشكل •• ولم أكن قد ارتكبت جرما في حق الدولة أو الدين !

وأضناني التفكير ، والتخبط في الاستنتاجات ، الى جانب ماكان قد أصابني من ارهاق عقب ثورتي •• ومن ثم واتاني النوم ، وكأنه أشفق علي أخيرا !

وكان الظلام حالكا عندما استيقظت • وفطنت الى انني نائم على جنبي الايسر ، على الارض • **ومددت يدي اليمنى**

أبحث عن منديلى ، حيث كنت قد تركته ، وشد ماكان ذعرى عندما مسست يدا أخرى ، باردة ، متيبسة !٠٠ ولم تغشنى رهبة الموت فى حياتى يوما ، بمثـل العنف الذى غشيتنى اذ ذاك ، حتى لقـد ظللت دقائق مسمرا فى مكانى ، مشتت العقـل ٠ ثم بدأت أسترد جأشى رويدا ، لاتبين اننى انمـا مسست ٠٠ يدى اليسرى التى سرت اليهـا رطوبة الارض ، وعرقل جريان الدم فيها ثقل جسمى وانا مستلق عـلى جنبى الايسر !

فواكه محرمة ٠٠ فى الجنة !

• **وكان** هذا الحادث ـ على تفاهته ـ سببا فى ان فطنت الى اننى كنت فى حـال كفيلة بأن تجعلنى أغالى فى الاوهام والمخاوف ، مما قد يوهن من جلدى وروحى المعنوية ، ومن ثم قررت ان أقاوم هذه الحال ٠ وشرعت ـ لاول مرة فى الثلاثين سنة التى كانت تؤلف عمرى اذ ذاك ـ أوقظ الفلسـفة التى كانت بذورها كامنة فى أعماقى !٠٠ ألا ما أكثر الذين يموتون دون ان يكونوا قد فكروا فى حياتهم يوما ، تفكيرا حقيقيا ٠٠ لا لان الذكاء كان يعوزهم ، وانما لانهم لم يتعرضوا لاحداث وظروف غـير عادية ، تكفى مفاجآتهـا لان تهزهم فتوقظهم وتنبههم كى ينفضوا عنهم ما ألفوه من رتابة الحياة !

وقدر لضوء النهار ان ينبثق أخيرا ، بعـد ليل خلته لن ينقضى ، فسمعت صوت مزلاج باب غرفتى يتحرك ، وصوت السجان الغليظ ينبعث خلال الباب متسائلا : « هل وجـدت وقتا كافيا لتفكر فيما تحب أن تأكل ؟ » ٠٠ فأجبت ـ متأدبا ـ بأننى أحب قسطا من حساء الارز ، وبعض اللحم المسلوق ، وقطعة من الشـواء ، وخبزا ، ونبيذا ، وماء !٠٠ ولاحظت الدهشة التى اعترت الرجل عندما لم أبادره بالشـكوى أو الاحتجاج ، وما لبث ان سألنى : « ألست فى حاجة الى سرير

وبعض الاثاث ٠٠ انك تخطىء اذا ظننت انك ضيف علينا ليوم أو اثنين ! » ٠٠ فقلت : « اذن ، فاحضر لى ماتراه لازما » ٠٠ وهنا قال : « ومن أين آتيك بهذه الاشياء ؟٠٠ اليك قلما وورقة ، فاكتب لمن ترى ان بوسعه ان يرسلها اليك » ٠٠ فكتبت قائمة بما كنت أحتاج اليه من ثياب ، وأثاث ٠ وطلبت الكتب التى أخذها المحقق من غرفتى ٠ ولكن الوحش أجاب وهو يلقى نظرة على القائمة : « **لاينبغى لك ان تسرف فى طلباتك بهذه السرعة ٠٠ اشطب الكتب ، والورق ، والاقلام ، والمنظار ، وموسى الحلاقة ، فكل هذه من الفواكه المحرمة فى هذه الجنة ! ٠٠ والآن ، الى ببعض النقود أعد لك بها طعامك !** »

ولم يكن فى جيبى أكثر من ثلاثة دنانير ، فدفعت اليه واحدا منها ، وانصرف ليخدم نزلاء « الزنزانات » السبع الاخرى ، على ماعرفت فيما بعد ٠ حتى اذا انتصف النهار ، أقبل بالمتاع والطعام ٠ ولم يسمح لى بغير ملعقة من العاج ، اذ كانت السكاكين والشوك من الممنوعات !٠٠ وقال لى السجان : « اطلب منذ الآن ماسوف تحتاج اليه فى غدك ، لاننى لن أستطيع ان أحضر اليك الا مرة واحدة فى اليوم ٠٠ ولقد قال سكرتير المكتب انه سيبعث اليك ببعض الكتب التى تفيد منها ، لان الكتب التى طلبتها لن تجديك ! »

قلت : « أرجو ان تشكره لانه سمح لى بزنزانة لا يشاركنى فيها زميل ! »

ـ انك لاتدرى ماتقول ، فما تركت وحيدا الا عقابا لك ، وستتبين وطأة هذا العقاب فيمابعد ، فتتمنى لو وجدت زميلا !

هدايا ٠٠ فى عيد رأس السنة !

◆ **وكان** محقا فى قوله ، فما أتعس الانسان الذى يقسر على الحياة وحيدا ، فى غرفة قذرة ، كئيبة ، لاينعم فيها برؤية انسان مثله سوى دقائق معدودات فى اليوم !٠٠ وبالفعل ، لم

ألبث ان شعرت بحنين الى الزمالة ، حتى اننى لم أكن أتردد فى ان أرحب بزميل من القتلة أو المجذومين ، فالوحـــدة فى السجن هم وقنوط ، لايعرف قسوتهما ســوى من يجربهما ، وما أرانى أتمناهما لعدو ، مهما يبلغ بيننا الخصام !٠٠ ولو انهم أمدونى بورق وأقلام ، لخفت شقوتى ، ولكنهم أبوا على هذه الاشياء التى كانت كفيلة بأن تسرى عنى

وجلست الى الطعام ، ولكننى لم أستطع ان أتناول أكثر من ملء بضع ملاعق من الحساء ، برغم ان الزاد لم يدخل جوفى منذ ثمان واربعين ساعة ٠ وقضيت النهار فى المقعد الوثير ذى الذراعين ، الذى كان بين ماطلبت من أثاث ٠ **ولكننى لم أقو على أن أغمض جفنى ، عنـــدما جن الليل ، لثلاثة أسباب : أولها ، الفئران ٠ وثانيها ، الضجيج الذى كان يصدر عن ساعة كنيسة « ســـان مارك » فأخاله منبعثا من جـوف غرفتى ٠ وثالثها ، جحافل البراغيث التى أغارت على جسمى ، فأوسعتنى قرصا ، حتى سممت دمى** !٠٠ وعندما أقبـل « لورنس » ـ السجان ـ فى الصباح التـــالى لينظف الحجرة ، أحضر لى كتابين كبيرين حرصت على ان لا أقربهما ، اذ كانا من مطبوعات السلطات المشرفة على محاكم « التفتيش » ، فخشيت ان يبدر منى ماينم عن استهجان ، فيشى بى السجان !

وكان أشد ما أثار دهشة « لورنس » منى خلال الايام الاولى من اقامتى فى السجن ، هو اننى لم أكن أحاول ان أسأله عن شىء !

وفى عيد رأس سنة ١٧٥٦ ، جاءنى بحزمة كبيرة ، احتوت على « روب دى شامبر » مبطن بجلد الثعلب ، وبالحرير المحشو بالقطن ، وكيس من جلد الدب أدس فيه ساقى ٠ وشد ما كانت فرحتى بهاتين الهديتين ، اذ كان البرد يشتد فى ذلك الفصل من السنة ٠ وأخبرنى السجان انه قد تقرر السماح لى بأن أتلقى ثمانية دنانير فى كل شهر ، لابتاع بها ما أشاء من كتب ،

ولاحصل على الصحيفة الرسمية · وكانت كل هذه النعم من أبي الحبيب السيد « براجادان » · وكم تأثرت حين أنبأني « لورنس » ان الشيخ الجليل ركع أمام أعضاء مكتب التفتيش ليضرع اليهم باكيا ، كي يسمحوا بارسال هذه الهدايا الى ، لاشعر بأن حبه لى مازال قويا !·· ولم أتمالك فى غمرة التأثر ان أمسكت بقلم ، وكتبت على قصاصة من الورق : « أشكر لمكتب التفتيش كرمه ، وللسيدبراجادان فضله الذى لاينسى» !

كازانوفا يحصل على سلاح !

• **وسمح** لى بعد فترة بأن أتريض قليلا كل يوم ، فى الردهة المعتمة التى كانت أمام حجرتى ·· **وفى أحد الايام ، عثرت فيها على مزلاج مخلوع ، ومهمل ، فواتتنى فكرة أوحت الى بأن فى وسعى ان أستخدمه كسلاح للهجوم والدفاع ، عند الاقتضاء · ومن ثم أخفيته تحت ثوبى ، وحملته الى حجرتى ، حيث عكفت ثمانية أيام على حكه بقطعة من الصوان ، حتى شحذت حافته ، وجعلته أشبه بخنجر ذى نصل به ثمانية نتوءات** · وكانت مهمة شاقة ، مضنية ، جعلتنى لا أقوى على تحريك ذراعى ، وأحدثت جرحا فى كفى ·· ولكننى كنت أنسى كل ألم ، اذا ما تأملت ـ فى غبطة ـ نتيجة عملى · واستطعت ان أجد له مخبأ فى الحشو الذى كان فى قاع مقعدى · كما استطعت أن أستدرج « لورنس » فى الحديث ، حتى تأكدت منه مما دار بظنى من قبل ، اذ قدرت ان غرفة «كافاللى» ـ سكرتير ديوان التفتيش ـ كانت تقع تحت « زنزانتى » مباشرة · وكان المألوف ان تنظف تلك الغرفة فى الصباح الباكر من كل يوم ، لذلك خطر لى ان أحفر السقف ، وأتدلى اليها فى الليل ـ مستعينا بأغطية فراشى ـ ثم أختفى فيها الى أن يفتح بابها فى الصباح ، وأن أشق طريقى الى الخارج مستعينا بسلاحى · وكان أهم مافى الخطة ، ان أحول بين

« لورنس » ـ أو رجاله ـ وبين تنظيف أرض غـرفتى ، فى الجزء الواقع تحت السرير ، اذ كنت قد اخترته موقعا للثغرة التى اعتزمت حفرها

وأوحى الى عقلى بأن ادعى المرض ، فزعمت اننى أصبت ببرد قاس ، وبقيت ملازما فراشى بضعة أيام • وكان التراب الذى يثيره « لورنس » ، أثناء كنس زنزانتى ، خير عون لى عـلى ان أنطلق فى السعال أمامه • ولكن الرجل لم يلبث ان ارتاب فى الامر ، فتفقد كل ركن من حجرتى • وفى اليوم التالى لهـذا الحادث ، تعمدت ان أشك أصبعى بدبوس ، حتى تفصد منه بعض الدم الذى تلقيته على منديلى • فلمـا دخل « لورنس » الحجرة ، سعلت فى عنف ، ثم صحت فيه : « أنظر مافعله بى الغبار !•• لقد ظللت أسعل طويلا ، وأحسب ان شريانا فى صدرى قد انفجر ! »

وجاءونى بطبيب ، فلما أعدت على مسمعه هـذه القصة ، أقرنى على ان لاشىء يضر بالرئتين قدر الغبـار !•• وتبينت انهم ماجاءوا بالطبيب ليعالجنى ، وانما •• ليتـأكدوا من ان لا حيلة وراء سعالى ودمى !•• على ان « لورنس » أشفق على ، اذ كان يحصل على قسط كبير من الدنانير الثمانية التى أخذ السيد « براجادان » يبعث بها الى شهريا ، ومن ثم أمر السجان أعوانه بأن لايكنسوا حجرتى كى لايثيروا فى جوها أى غبار !

يذكر الله •• فى محنته !

• **وكانت** ليالى الشتاء طويلة ، قضت على بأن أمكث حوالى تسع عشرة ساعة من اليوم فى ظلام •• اذ لم يكن ضوء النهار الغائم لينفذ الى حجرتى الا لساعات قليلة • واستطعت بكثير من الحيلة ان أحصل على فتيل ، وبعض الزيت • وباستخدام الرخام وسلاحى الفولاذى ، وجدت القداحة التى تولد شررا•• وبهذا استطعت ان أصنع « مسرجة » ضئيلة ، أوقدها كـل



مساء لبضع لحظات ، لاتبين على ضوئها الموقع الذى أحفر فيه . وكانت أرض الحجرة من خشب سميك ، ولكننى ظللت عاكفا على الحفر بسلاحى فى ظلام الليل ، حتى استطعت ان أحدث - تحت السرير - ثغرة كافية . بيد اننى كدت آيأس ، حين وجدت تحت الالواح الخشبية طبقة من البلاط .. وفى غمرة اليأس ، قفزت الى ذهنى بعض المعلومات التى قرأتها عن « هانيبال » ، وكيف استعان بالخل على ان يحفر ممرا خلال جبال الالب ، اذ أن العناصر الحمضية التى يحتويها الخل تتفاعل مع الصخر فتفتته . وعلى هذا ، حرصت على ان أحتفظ بكل ما كان يتبقى من خل « السلاطة » التى كنت أطلب من « لورنس » احضارها مع كل وجبة !

.. كانت أياما رهيبة ، قاسية الاثر على أعصابى . وكنت أجمع الفضلات المتخلفة عن عملى - من شظايا الخشب ، والتراب ، وما اليها - حتى اذا ذهبت الى دورة المياه فى كل صباح ، حملتها معى فى ثنايا ثوبى ، وأفرغتها هناك . وكنت أنصرف بكل كيانى الى الصلاة والدعاء ! .. **والذين يستخفون بنتائج الصلاة لايفقهون شيئا ، فان المرء اذا وجه ثقته الى الله مخلصا ، صادقا ، وجد فى هذا طمأنينة وسكينة تهدئان من روعه !**

وأوشك عملى على نهايته ، ولم يبق سوى ان أحدد الموعد المناسب لمغامرتى . واخترت لهذا عشية عيد القديس

« أوجستين » ، اذ كان ديوان التفتيش مزمعا ان يعقد اجتماعا فى تلك الليلة ، فى دار رئيسه ٠٠ وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر آغسطس

ولكن الحظ كان لى بالمرصاد ٠ ففى ظهر اليوم الخامس والعشرين ، أقبل « لورنس » يعلن الى أن الامر قد صدر بنقلى الى غرفة فسيحة ، نظيفة ، ذات نافذتين كبيرتين تطلان على نصف مدينة البندقية !٠٠ وكان يظن اننى سأطير فرحا بهذا النبأ « السعيد ! » ، ولكننى بذلت جهدا جبارا لاقاوم الاغماء الذى أوشك ان ينتابنى ٠٠ وظللت برهة صامتا ، ثم سألته ان يرجو سكرتير الديوان بأن يدعنى فى الغرفة التى ألفتها وألفت جوها ، ولكنه هتف : « أمجنون أنت ؟٠٠ ان هذا الجحر لايقاس بتلك الغرفة ٠٠ الفارق بينهما كالفارق بين الجحيم والجنة ٠٠ثم ، لاتنس ان هذه أوامر لابد من تنفيذها !» ولم تفلح المعارضة ٠٠وخيل الى اننى أوشك ان أموت رعبا !

(يتبع)



ربات الفن .. عند الاغريق !

◆ فى الحلقة الماضية من « أساطير القدماء » ، رويت لك أسطورة « فايتون » ، ابن « أبوللو » اله الشعر والموسيقى والشمس . وعرفت كيف كانت الارض مسوقة الى الاحتراق – لان نزوة دفعت ابن أبوللو الى قيادة عربة الشمس فى السماء ، ليثبت لاقرانه بنوته لاله الشمس !

– لولا ان سارع « جوبيتر » ، رب الارباب ، الى انقاذها من المصير التعس الذى كان ينتظرها !

وفى عدد اليوم ، أقدم لك أسطورتين جديدتين من تلك الاساطير الممتعة .. فتعال نعش دقائق مع ربات الفن عند الاغريق !

لكل فن .. ربة !

◆ تشير أساطير القدماء الى ان ربات الفن كن تسعا ، هن :

١ – كليوبى : ربة الشعر الحماسى
٢ – كليو : ربة التاريخ
٣ – ايرانو : ربة الشعر الوجدانى
٤ – يوتيربى : ربة الموسيقى
٥ – ميلبومينى : ربة المراثى
٦ – بوليمينيا : ربة الغناء والخطابة
٧ – تيربيخورى : ربة الرقص
٨ – ثاليا : ربة الكوميديا
٩ – أورانيا : ربة الفلك

وقد كان يرمز الى تلك الربات التسع بمستلزمات فنونهن

٠٠ أى ببعض الرموز الخاصة بالملكة الفنية التى ينفثنها فى الغير ٠ فكانت كليو ـ ربة التاريخ ـ تظهر وهى تحمل ألواحا من الخشب كان المعتقد انها تكتب التاريخ عليها ٠ أما ميلبومينى ـ ربة المراثى ـ فكانت تظهر دائما فى ملابس فاخرة ، لان المراثى كانت تعبر عادة عن آلام الملوك والابطال ٠ وكانت ثاليا ـ ربة الكوميديا ـ تصور وهى حاملة قناعا فى يدها ، اذ جرى أهل هذا الفن فيما مضى على ستر وجوههم بالاقنعة المختلفة ، لتحاكى وجوه الشخصيات التى يمثلونها ٠ وكانت تحيط بيوتيربى ـ ربة الموسيقى ـ أدواتها الموسيقية ٠ أما أورانيا ـ ربة الفلك ـ فكانت تبدو دائما محاطة بأجهزة رصد النجوم

ولم يكن هدف اليونانيين من تكوين هذه المجموعة من الربات الا الاعتراف بسمو العلوم والفنون ، التى ترفع من شأن المرء وتقربه من السماء !

الراعى الذى عشق ربات الفن ٠٠ فنجينه من الموت !

◆ **كان** يعيش على مقربة من جبل هيليكون ، راع يدعى « كوماتاس » ، اعتاد ان يتخذ سفح الجبل مرعى لغنم السيد الذى يعمل فى خدمته ٠ وكثيرا ماكان يبقى مع قطعانه فى العراء ، خلال الليالى التى يكون الجو فيها مائلا الى الدفء ٠ وفى ذات ليلة ، رأى الراعى ربات الفن وهن يرقصن فى ضوء القمر ، حول نبع « هيبوكرين » ، فهام بهن حبا ، وبات منذ تلك الليلة خادمهن الامين

والى جانب النبع ، كان ثمة مذبح مكرس لربات الفن ، توجه اليه « كوماتاس » ذات يوم ، وقدم لرباته أحد رؤوس غنمه ، كقربان يتزلف به اليهن ٠ فلما اكتشف سيده فقدان أحد خرافه ، اشتد به الغيظ حتى دفعه الى حبس الراعى فى صندوق كبير ، وتركه هكذا بغير طعام ، لكى يموت جوعا ٠

الا ان ربات الفن أبين ان يتركن خادمهن الامين يلاقى مثل هذه الميتة الكريهة ، فأرسلن أسرابا من النحل تحمل اليه العسل، خلال ثقب أحدثنه فى الصندوق !

وبعد بضعة أشهر ، فتح صاحب الغنم الصندوق ، ولشد ما ذهل حين وجد راعيه كما هو .. حيا يرزق ، ويتمتع بصحة جيدة . ولما كان هذا السيد يعلم ان النحل هو الخادم الخاص لربات الفن ، فقد أدرك ان أولئك الربات هن اللاتى تولين رعاية « كوماتاس » فى محنته داخل الصندوق ، ومن ثم بدأ يعامل راعيه معاملة طيبة كريمة !

ربة الفجر .. وقصة الضباب !

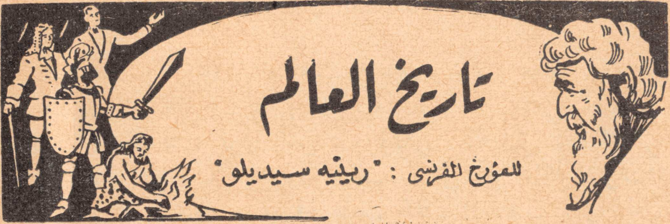
◆ **كانت** « أورورا » ربة الفجر عند الرومان . وقد كانوا يطلقون عليها اسم « ايوس » ، والدة الرياح والنجوم . وكانت ربة الفجر تشرق من مرقدها فى الشرق الاقصى ، قبل مطلع النهار ، فتستقل عربتها الذهبية التى يجرها جوادان أبيضان، وتأخذ طريقها لتستقبل النهار والشمس . وكانت رائعة الجمال ، ذات أصابع وردية ، وأجنحة بيضاء ناصعة ،وترتدى دائما عباءة من الزعفران . وقد أسرها جمال « تيثونوس » ابن « لاوميدون » ، فاختطفته ليعيش معها فى قصرها . وطلبت من « زيوس » – رب الارباب – ان يهبه الحياة الابدية ، فرفض ان يلبى طلبها . ولذلك ما لبث حبيبها ان اكتهل ، ودب الشيب فى شعر رأسه ، ثم أخذت قواه تضمحل تحت وطأة الشيخوخة ، حتى لم يبق منه الا هيكل عظمى يكسوه جلد رقيق متغضن . ومع ذلك ، بقيت ربة الفجر على حبها له ، تسكنه أفخر غرف قصرها ، وتقدم له أجمل الملابس ، وتطعمه « الامبروسيا » ، وهو طعام الآلهة !.. وفى نهاية الامر ، تحول الحبيب الجميل الى جرادة !

وقد أنجبت « أورورا » من حبيبها « ممنون » و « اماثيون » ٠ وأصبح ممنون ملكا على (أثيوبيا) ، وحارب فى حصار (طروادة) معضدا « بريامومس » ٠ ولكن « أخيل » قتله فى هذه الحرب ، فحملت « أورورا » جسده الى مقر ملكه ، وقد تولاها حزن شديد ٠ ثم احتجبت خلف السحب ، وأخذت تذرف الدمع السخين فى الصباح الباكر من كل يوم ، فيرى الدمع على شكل ضباب !

وكان « أوريون » و « كليتوس » من بين الشبان الذين أحبتهم ربة الفجر ٠ كما انها حاولت ان تراود « كيفالوس » ، ولكن هذا الاخير أبدى لها احتقارا تاما ، نظرا لانه كان مخلصا فى حب زوجته « بروكرس » ٠ وثارت كبرياء « أورورا » ، وفكرت فى الانتقام لكرامتها الجريحة ، ومن ثم اقترحت على « كيفالوس » ان يختبر أمانة زوجته ليرى مدى اخلاصها له ، وذلك بأن يزورها منتحلا شخصية رجل آخر ، ومرتديا ثيابا غريبة ، ليعرض عليها هواه بصفته محبا جديدا ٠ ونفذ « كيفالوس » الاقتراح ٠٠ وكم كانت صدمته قوية حين استسلمت بروكريس لهذا المحب الجديد ٠ ولكنها ما لبثت ان اكتشفت شخصية هذا المحب ، ففرت خجلا ٠ وتعقبها زوجها الى أن تمكن من قتلها

وهكذا فازت ربة الفجر بالرجل الذى اشتهته !

أمين سلامة



فجر المسيحية .. يبدد ليل الهمجية !

◆ فى أسلوب قصصى جعل من التاريخ رواية مشوقة ، عرض علينا المؤرخ الفرنسي المعاصر « رينيه سيديللو » - فى الحلقة السابقة من « تاريخ العالم » - أطوار انهيار الامبراطورية الرومانية ، فى الغرب ، وزميلتها الصينية ، فى الشرق ، مبينا أوجه التشابه بين الامبراطوريتين وحضارتيهما . وفى هذه الحلقة ، يمضى فى قصصه التاريخى ، فيروى لنا كيف أغرق فيضان القبائل الهمجية آسيا وأوربا ، قبل بزوغ فجر المسيحية ، وبداية العصر المسيحى :

طوفان البرابرة .. يغرق الحضارات !

◆ كل فصل من فصول التاريخ ينتهى فى فيض من الزحف البربرى . ولقد كانت الحضارات السابقة تغرق - اذا ما حانت نهايتها - فى اطواء طوفان القبائل السامية والهمجية من هنود اوربا ، أما السيل الذى انساب على الحضارتين الصينية والاغريقية الرومانية فجرفهما ، فقد انحدر من منطقة « الاستبس » التى تضم سهول سيبريا . اذ كانت ثمة حركات هجرة مستمرة بين القبائل التركية المغولية التى كانت تعيش حول الصين - حوالى سنة ٣٠٠ - وكان الرعاة « الهون » هم العنصر الرئيسى فى هذه الحركات ، التى أدى ضغطها الى دفع عشائر « الآلان » نحو بحر (قزوين) و (القوقاز) .. واتجه - تحت دفعها - الفنلنديون ، والليتوانيون ، والسلافيون نحو الشمال ، وغدت (اسكندناوه) موطنا للنرويجيين ، والسويديين ، والدانيمركيين . . وسكنت عشائر « القوط » الجرمانية السهول الواسعة بين نهرى (فيستولا) و (الراين) .. فاستوطن « الفاندال » منهم حوض (الدانوب) ، واللومبارد

ضفاف (الالب) ، والساكسون ضفاف نهر (ويزر) ، وعشائر « الالماني » السهول الاوربية الوسطي ، و «الفرانك» ـ أو الفرنجة ـ حوض (الراين) ..

مذاق الخير .. يغرى الرعاة !

◆ كان هؤلاء جميعا متأخرين ، وان تفاوتت درجات تأخرهم ، اذ كان الرعاة ـ سواء المغول منهم أو الجرمان ـ متخلفين عن شعوب البحر الابيض المتوسط بألف سنة على الاقل . وكانوا يعيشون على الرعى ، والصيد ، والحرب . وقد حملهم تجوالهم وهجرتهم المستمران الى حدود الامبراطورية الرومانيــة فى اوربا ، والامبراطــورية الصينية فى آسيا . وزين لهم رخاء الدولتين أن يغيروا عليهما سعيا وراء الاغنام والاسلاب ، والاستقرار ان أمكن !.. فقاموا بعدة اغارات على الحـدود ، مكنت « الهـون » من الاسـتقرار فى شمال الصـين ، و « القوط » من استيطان (البلقان) ، فطاب لروما ان تتغافل عن خطرهم ، وان ترى فيهم موردا طيبا للايدى العاملة والجنود ، وان تطمئن الى المعاهدات التى يؤمنون فيهـا سلامتهـا !.. ولكن مذاق الخيـر والرفاهيــة ، وضعف الامبراطوريتين اغريا الرعاة فاندفع « الهون » واجتازوا السور الاعظم للصين فى سنة ٣٠٨ ، وكانوا فرسانا لايبارون : يأكلون ويشربون وينـامون على خيولهم ، اذا استلزم الامر . وكان كهنة « كونفوشيوس » يدعون الى السلام ، وينفرون من القتال ، فاستسلمت الصين دون مقاومة للغزاة الذين اجتاحوها ، وراحوا يعملون فيها السلب والنهب والحرق والتقتيل والاسترقاق . ولاذت اسرة « تسين » الامبراطورية بالجنوب ، متخذة من (نانكين) عاصمة لهـا ، بينما استقر « الهون » فى الشمال فى سنة ٣١٨ ، ففتحوا قبـور الاباطـرة ، واستولوا على ما كان فيها من حلى ومجوهرات

أمواج متدافعة نحو الغرب

◆ وتوطد اتصالهم بالحضارة ، فاذا بالترف يلين من عزائمهم ، مما مكن لقبائل مغولية أخرى من أن تنحدر من حدود (منشوريا) فتطردهم من شمال الصين ، وتحل محلهم فيه . وكان هذا الحادث مبدأ انقلاب فى التـاريخ ، اذ انـدفـع « الهون » أمام المطاردة المغولية ، نحو أوربا ، ودفعوا بدورهم « الجرمان » نحو حدود الامبراطورية الرومانية ، ومن ثم كان الغزو الجرمانى لهذه الامبراطورية امرا لامفر منه ! ثم نفذت عشائر «الاوستروقوط» الى شمال ايطاليا ـ فى سنة ٣٧٤ ـ واضطرت « الفيزيقوط » الى اجتياح (روما) ودخلوا بلاد (الغـال) ـ فرنسا ـ ولم يتوقفوا الا عند ساحل المحيط الاطلسى .. ودفع « الهون » كذلك عشائر « الالمان » ـ فى سنة ٤٠٦ ـ فدفعت هـذه بدورها عشـائر

« الفاندال » التى دفعت « البورجنديين » فى طريقها الى أسبانيا ، حيث خلعوا اسمهم على أحد أقاليمها : (فاندالوسيا) ، الذى أصبح يعرف باسم (الاندلس) كما بلغوا افريقيا الشمالية ، حيث توقف زحفهم عند (قرطاجة) . وكان الفرنجة هم الآخرون ممن دفعهم الزحف نحو الغرب ، فنزحوا فى سنة ٤٣٠ الى شمال بلاد (الغال) .. اما عشائر « السكسون » و « الانجليز » فقد عبرت البحر الى بريطانيا التى كان الرومان قد تركوها عزلاء عندما استدعوا قواتهم الى (روما) . وقام فريق من « البريتون » - أهل بريطانيا - بالدفاع عن بلادهم ، تحت قيادة الملك ارثر ، وفرسان المائدة المستديرة الذين وضعت الاساطير عن مغامراتهم ..

وبهذه الحركات ، بدأت الامم - التى عرفت فيما بعد - تتكون . وغدت الامبراطورية الرومانية الغربية مجرد اسم . وما لبث ان جاء يوم تحرك فيه « الفاندال » الذين كانوا قد استقروا فى افريقيا ، فاجتاحوا ايطاليا ، ونهبوا روما - فى سنة ٤٥٥ - ثم ارتدوا من حيث أتوا . أما « الاوستروقوط » فقد أسروا آخر الاباطرة الغربيين فى (رافينا) فى سنة ٤٧١ ، فكانت هذه نهاية الامبراطورية

الالف الثانية : ألف سنة مسيحية !

◆ بهذا انتهت الالف سنة التى نمت فيها (روما) وبسطت سلطانها على العالم ، ثم تقلصت وانهارت .. وبدأت ألف سنة جديدة .. الالف المسيحية . أو هل يحسن ان نسميها الالف البربرية ، أو ألف الرعاة المتأخرين ؟.. فقد انساب الرعاة الى الدنيا فى أمواج متتابعة ، وفرضوا سلطانهم . وما لبث ان اقبل العرب، بعد الهون والجرمان ، ثم أقبل أهل الشمال، والمجر ، والاتراك.. كانت تلك القبائل كالرمال ، بينما كان المسيحيون فئة قليلة . وبينما كان البرابرة يدمرون ، كان المسيحيون ينشئون ويعمرون .. وكان البرابرة يخنقون الحضارة ، ولكن المسيحيين عملوا على احيائها ، واستطاعوا فى النهاية ان يفرضوا سلطانهم الروحى ، وان يضفوا على الحقبة التى تحمل اسمهم مجدا وعظمة !

ومن الصحيح ان الامبراطورية الرومانية لم تلق كثير بال الى تعاليم «يسوع الناصرى» ، حتى اننا لانستطيع ان نحدد تماما موعد مولده فى حظيرة فى (بيت لحم) ، ولو ان «كليمنت» ، المؤرخ السكندرى ، يصر على ان ذلك الموعد كان فى ٢٥ مايو . ولكن يوم ٢٥ ديسمبر لم يلبث ان لقى قبولا اجماعيا فى النهاية . أما السنة ، فيتفق الاخصائيون فى حساب التقاويم على انها تسبق

العام الذى اتخذ بداية للعصر المسيحى بأربعة أعوام

وكانت (روما) - فى أوج مجدها - قد تاقت الى دين جديد . فقد أبى «قيصر» و « تيبريوس » ان يؤمنا بالآلهة التى كانت اذ ذاك معبودة ، وانصرف الرومان عن آلهة أجدادهم ، واعتنقوا أرباب الاجانب ، كما فعل الاغريق من قبلهم . وسمح « كاليجولا » بعبادة « ايزيس » ، و « نيرون » بعبادة « ميترا » ، و « اورليان » بعبادة الشمس ، وهكذا كانت (روما) تبحث عن دين وعقيدة !

روما تحمل مشعل المسيحية

◆ وولدت المسيحية ، فكان مولدها ايذانا بمولد عالم جديد !

ونادت المسيحية بحقوق الانسان ، اذ أقرت حرية الفرد ودعت الى المساواة . ولقد ورد فى أقوال القديس « بولس » مايوحى بأنها دعوة الى الدولية والعالمية ، ولكن .. هل كان هذا يعنى الغاء كافة ألوان الولاء القومى ؟! .. ودعت المسيحية الى اطاعة السلطة المدنية ، والخضوع لها . ولكن ، هل تراها دعت الى القضاء على العبودية والرق ؟! .. لقد مجدت الكنيسة الرقيق الذين استشهدوا فى سبيل الايمان ، وسمحت بزواج الاحرار من الرقيق ، ورفعت الى المناصب الكنسية من كانوا من قبل عبيدا ، ولكنها برغم ذلك لم تقيد نفسها بنص صريح بشأن الغاء الرق ، مع ملاحظة انه كان اذ ذاك ضرورة اقتصادية لاغنى عنها !

كذلك دعت المسيحية الى تحرر المرأة ، ومساواتها بالرجل ، ولكنها أبت أن تسمح لها بأن تتبوأ المناصب الكنسية .. ومع ان العقيدة المسيحية لم تدخل تحسينات تذكر على مركز المرأة ، تفوق ما كان لها فى (روما) بكثير ، الا انها سمت بخصالها الروحية ، ورفعت من روحها المعنوية !

ومهما يكن من أمر ، فان (روما) تلقت الدعوة المسيحية فى البداية بامتهان وازدراء . واضطهد الاباطرة اولئك « الفوضويين » الذين كانوا يحاولون ان يزعزعوا الدين الرسمى للعرش الامبراطورى . ولكنهم مالبثوا ان ضعفوا ، فخف اضطهادهم تدريجا ، ثم انصاعوا فى النهاية .. فاذا «الكسندرسيفيروس» يتسامح مع المسيحيين - فى سنة ٢٢٢ - وسمح لهم « جالينوس » بحرية العبادة .. وأخذت قوة الكنيسة الناشئة فى النمو حتى خشى « ديوكليتيان » ان تصبح دولة داخل الدولة . واعتنق « كونستانتين » المسيحية فى سنة ٣١٠ ، واضطهد « ثيودوسيوس » الذين ظلوا على اعتناق « الاساطير القديمة » فى سنة ٣٧٠ ، فقويت شوكة المسيحيين ، وما لبثت (روما) التى حملت يوما مشعل الثقافة الاغريقية ، ان حملت مشعل العقيدة المسيحية ..

(يتبع)



« سن البراءة » لوحة خلابة للفنان الانجليزى الاشهر « رينولدز » (١٧٢٣ - ١٧٩٢) ، بالمتحف الاهلى بلندن • وقد نشر له « كتابى » لوحات لنفس الطفلة فى مواقف آخرى



حسناء من القرن الماضى .. كما صورتها
ريشة الفنان الخالد « انجر »



نحن نقرأ لك كل شهر عشرات الكتب
العالمية، القديمة والحديثة، كي ننتقي
لك كتابا من أروعها نقدمه إليك في
منتصف كل شهر بنصه الكامل، في
ترجمة دقيقة معتمدة مراجعة
وإن «مطبوعات كتابي» لفخورة بأنها
ظفرت برضائك في أعدادها الماضية
فما هي تحفتها القادمة التي أعدتها لك؟
اقرأ التفصيلات في الداخل
مطبوعات كتابي
يصدرها: حلمي مراد
الترجمة الكاملة الأمينة
لشوامخ الكتب العالمية
شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩